الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعـــة باتنـــة 1

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: علم الاجتماع والديمغرافيا
تخصص: علم الاجتماع الديني

نيابة العمادة لما بعد التدرج والبحث العلمي
والعلاقات الخارجية

الأبعاد الاجتماعية في القرآن الكريم "سورة النساء أنموذجا"

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في علم الاجتماع
تخصص: علم الاجتماع الديني

إعـــداد الطالبـــة:
معاشي فطيمة الزهراء

إشراف الأستاذ الدكتـــــور:
مولـــــود سعادة

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاســـــم واللقب	الرتبـــــــة	الجامعـــــة	الصفـــــة
رحالي صليحة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
مولود سعادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا، مقررا
عرعار أنس	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	عضوا
أحمد زردومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة2	عضوا
نصرالدين بوزيان	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة3	عضوا
سامية حمريش	أستاذ محاضر	المركز الجامعي بريكة	عضوا

السنة الجامعية: 2022-2023

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله العزيز الحكيم أولا وآخرا الذي به تتم الصالحات، والذي بفضله خرج هذا العمل من العدم إلى الوجود.

أتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاح هذا العمل المتواضع، وكل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد، ولم يبخل بالنصح والتوجيه، وكل من شجعني وأنار دربي وساهم بأن يخرج هذا المشروع إلى النور.

وأخص بالشكر والتقدير أستاذي المحترم مولود سعادة الذي صبر معي كل هذه المدة ولم يبخل علي بالنصح والتوجيه والإرشاد، كما أتقدم بالشكر الخالص كذلك للأستاذ عرعار أنس الذي كان لي أحسن معين.

أسمى وأجمل عبارات التقدير والشكر والامتنان.

إهـــــــداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى:

-الوالدين العزيزين اللذين لهما الفضل الكبير في نجاحي، أسأل الله العزيز القدير أن يحفظهما ويمدهما بالصحة والعافية.

-أولادي قرة عيني ونور دربي: عماد الدين أمين ابتهال رنيم واياد، اللهم احفظهم وبارك فيهم واجعل الإسلام والعلم طريقهم.

-إخوتي وأخواتي الذين أناروا حياتي وطريقي وخاصة مونية التي لم تفقد الأمل في نجاحي وظلت تشجعني، وتذلل لي الصعاب.

-صديقتي المخلصة والوفية حبيبة التي وقفت إلى جانبي ولم تتوقف عن دعمي ومساعدتي ونصحي، لك ألف شكر وتقدير،

مهما قلت فلن أوفيك حقك.

مقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

القرآن الكريم منذ نزوله درس وحلل وفسر من طرف العديد من الجهات سواء أكانت دينية أو سياسية أو فكرية أو اجتماعية، فمنهم من يرى أن النص القرآني مجرد نص ديني تاريخي يحكي أو يصور المراحل التي مر بها الوجود الإنساني فوق الأرض، ومنهم من يجعله مرجعا للدراسات اللغوية ومصدر للإعجاز اللغوي، ومنهم من فسره تفسيرا دينيا تعبديا ومنهم من حاول دراسة القرآن الكريم دراسة اجتماعية تحليلية ونتج عن ذلك ما يسمى بعلم الاجتماع الإسلامي.

ومن هذا المنطلق بدء بحثي في محاولة لمعرفة ما يحتوي عليه القرآن الكريم من قضايا اجتماعية وكيف عالجها وماهي أهم الأبعاد الاجتماعية التي يحتويها النص القرآني، إلا أن الدراسة في هذا المجال تحتاج إلى وقت وجهد كبير لهذا اخترت سورة النساء فقط، واعتمدتها كمرجع أساسي لتحديد أهم الأبعاد الاجتماعية.

ومن خلال هذه الدراسة يمكن القول إن النص القرآني والذي يتمثل في سورة النساء يعد مصدرا للمعرفة الاجتماعية فهو يحتوي على حقائق حول الانسان والمجتمع، وكذا أبعاد اجتماعية يمكنها أن تساعد في توسيع نطاق البحث في مجال علم الاجتماع بعد استنباطها بطريقة صحيحة.

فجاءت سورة النساء بأبعادها الاجتماعية وقضاياها الإنسانية لترسي قواعد وضوابط المجتمع بسبب ما كان يعيشه العرب في شبه الجزيرة العربية والعالم أجمع من جاهلية عظمى فيأكل القوي مال الضعيف ويستهين الغني بالفقير وتنتهك الحرمات، ويباع الإنسان وتقتل المرأة، وتوأد الصغيرة، فجاء الإسلام لتغيير وإصلاح المجتمع والنهوض بهم من أغوار الجاهلية السفلى إلى مراتب العلم العليا فشرع الشرائع ووضع النظم، لتأسيس وبناء تنظيم اجتماعي ديني سياسي متميز أطلق عليه اسم الأمة.

والإنسان هو موضوع القرآن الكريم باعتبار أنه تطرق إلى كل شؤون حياته، بداية من وجوده كفرد له أفكار وأخلاق وسلوك وأعمال، وباعتبار أن كل ما جاء في القرآن من أوامر

ونواهي ومواعظ تهدف إلى تزكية نفس الإنسان، وتحسين أخلاقه وتعديل سلوكه، وتقويم أعماله.

ثم باعتباره فرد في جماعة يؤثر ويتأثر، وما يحدث في هذه الجماعة من علاقات وتواصل واختلاف وانسجام، وتنافر وانجذاب...كل هذه المعاملات جاء القرآن الكريم لتوجيهيها وتقنينها من أجل أن يحيا الإنسان في هذه الأرض حياة كريمة.

لذلك وجب الحديث عن الإنسان أولا أصله ونشأته، قوته وضعفه، وقدراته الفردية واستعداداته النفسية للعيش ضمن جماعة، التي يتجسد فيها عقله الجمعي الناشئ عن حاجته الماسة إلى المجتمع الذي يضمن له استمراريته ويحقق له غايته التي خلق من أجلها وهي الاستخلاف في الأرض.

إن الإنسان إذا أدرك حقيقة وجوده وخلقه واستخلافه على هذه الأرض، وعرف خبايا نفسه ودوافع سلوكه وأهدافه في هذه الحياة، استطاع أن يختار ما هو أصلح له في الدنيا والآخرة، وأن يتخذ القرآن منهجا وسبيلا لتسوية سلوكه وتقويم حياته للحفاظ على سلامة الإنسان والمجتمع من كل السلوكيات المرضية، حتى لا يستولي المرض على كل أعضاء المجتمع ويسهل بذلك القضاء عليه وعلى وحدته.

لهذا جاءت سورة النساء لتعالج كل القضايا التي تمس المجتمع، فتعطي كل ذي حق حقه، وتصل ما يجب أن يوصل، لتزيل ما علق في المجتمع الإنساني من شوائب الجاهلية وتجعله مجتمعا متماسكا متكافلا متعاونا، يشد بعضه بعضا كما جاء في حديث الرسول ﷺ: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعا له سائر الجسد بالسهر والحمى"(رواه مسلم) وقال أيضا: " المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه(متفق عليه)، فهذا التواد والتراحم والتعاطف هو الذي يجعل المسلم يواسي ويعين ويرأف ويشد عضد أخاه الفقير والمحتاج والضعيف واليتيم وكل الفئات الهشة التي إن لم نعتني بها أصبحت ثغرات تهدد صلابة وتكامل النظام الاجتماعي.

تناولت سورة النساء كل شؤون المستضعفين في المجتمع من نساء وأطفال ويتامى ومساكين، وعرضت وضعية هذه الفئات في الجاهلية وكيف كانت تعامل كل فئة، وكيف كان يؤكل حقهم ويهانوا ويشردوا ويتعرضون لأسوء معاملة، ومن أجل حمايتهم وحماية

حقوقهم وممتلكاتهم شرعت السورة عدة طرق لرعايتهم وحفظ أموالهم وسد كل الثغرات حتى تبنى أمة قوية بأفرادها ومجتمعها وسياستها واقتصادها وجيشها.

إن سورة النساء عالجت مواضيع كثيرة تخص المجتمع عامة والإنسان خاصة، وبما أن الإنسان هو محور عملية الخلق لم يتركه الله عز وجل تائها في هذه الدنيا، ولكن شرع له الدين لهدايته لما في طبيعة الإنسان من قوى الخير والشر، والإصلاح والفساد، والظلم والعدل، والقوة والضعف.. وما إلى ذلك من الصفات التي تطبع النفس البشرية وما ينتج عنها من فئات هشة في المجتمع، قد تحط من قيمة الإنسان أو تفسد العلاقات الاجتماعية، ومن بين الفئات التي استهدفت بالدراسة وركزت عليها سورة النساء –التي هي موضوع دراستنا–هي: النساء واليتامى والسفهاء.

إن البعد الأسري في سورة النساء يتمثل في المرأة إذ تعتبر هي أساس بناء الأسرة والمجتمع، ولما كانت المرأة أول الفئات تعرضا للظلم والجور في الجاهلية حيث سلبت حريتها وأكلت أموالها بالباطل، فجاءت سورة النساء وجعلت لها ذمة مالية منفصلة تتصرف في مالها كما تشاء بيعا وشراء وهبة ووصية ووكالة وكفالة وفي سائر المعاوضات والالتزامات والمعاملات دون الحاجة إلى إذن زوجها، دون إذن أبيها أو أخيها أو ابنها، ولم يتم هذا للمرأة عند غير المسلمين إلا مؤخرا. وفي هذا إشارة إلى تمكين المرأة اقتصاديا، وكذلك صانت حقوق اليتامى والسفهاء.

وقررت السورة أن ترفع من مكانة المرأة وتجعلها بنفس المنزلة كالرجل، لأنها خلقت من نفس مكونات الرجل، من تراب واحد، ومن ماء واحد، فهما من نفس واحدة ومن طبيعة واحدة ومن فطرة واحدة، عكس ما يروج له اليوم من ادعاءات ومحاولات للحط من مكانتها وافراغها من روحها، وسنت للفقراء واليتامى والمساكين وكل الفئات الضعيفة في المجتمع القوانين والقواعد للحفاظ عليهم، وتمكينهم من العيش في وسط أسري معتدل سوي حتى يكونوا أفرادا صالحين في المجتمع.

ولا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة إلا إذا تحقق بعد الأمانة والعدل والتكافل والتعاون في المجتمع، وحافظ أفراده على الصلة الوثيقة التي تربطهم بخالقهم وهي الصلاة بعيدا عن كل صفات النفاق والرياء بصدقهم وسلوكهم السوي، لأن فعل الانسان الانحرافي يؤدي إلى

فساد النظام الاجتماعي حسب ما تنص عليه القوانين الإلهية وحتى لا يمرض المجتمع بأمراض خبيثة تؤدي إلى انحلاله، فيمكن القول أن سورة النساء جاءت بآليات وترتيبات لتنظف وتطهر المجتمع من رواسب الجاهلية، وفرض منهج الله من أجل إصلاح الفرد والمجتمع، وتثبيت قواعد المنهج السليم والفطرة الصحيحة.

ويعتبر هذا البحث عمل نظري استنباطي لإبراز دور النص القرآني في تأسيس وبناء النظام الاجتماعي وكذا استخراج أهم الابعاد الاجتماعية التي تساهم في احداث التغيير في المجتمع وتؤثر في حركة الإصلاح الاجتماعي الذي جاءت به سورة النساء.

إن الإحاطة بجوانب موضوع الأبعاد الاجتماعية في سورة النساء ليس بالأمر السهل واليسير، لأن الأبعاد الاجتماعية موضوع متشعب وواسع يحتوي على الكثير من الدلالات والمفاهيم التي يجب البحث عنها وضبطها والاستعانة بالعديد من المراجع والتفاسير، دون نسيان المرجع الأول والأساسي وهو القرآن الكريم، الذي يعد مصدرا موثوقا للعلم والمعرفة وتدبره وفهمه لن يتأتى إلا بالقراءة المتأنية المتدبرة لمعاني القرآن وتوظيف العقل توظيفا صحيحا حتى يتمكن من استنباط واستخراج تلك الأبعاد الاجتماعية.

ومنه فقد قسمت هذه الدراسة إلى ستة فصول جاءت كالتالي:

جاء الفصل الأول: بعنوان "الإطار المنهجي للدراسة" وقد اشتمل على تحديد اشكالية الدراسة وأهميتها، وأهدافها وتساؤلات الدراسة كما تم تحديد المفاهيم المتعلقة بها، ثم أسباب اختيار الموضوع، ثم موضوع الدراسة وبعدها تم تحديد منهج الدراسة، وكذا الدراسات السابقة.

أما الفصل الثاني: فهو بعنوان "الإنسان والمجتمع في القرآن الكريم"، وتطرقت فيه إلى الإنسان في القرآن الكريم من خلال عرض حول خلق الإنسان، وكذا طبيعته وخصائصه، ثم مكونات الإنسان بعدها تحدثت عن المجتمع في القرآن الكريم ومفهومه ونشأته، وأيضا طبيعة المجتمع ووظيفته ومكوناته.

وفي الفصل الثالث المعنون بـ "البعد الإنساني في سورة النساء" واشتمل على عينات من قضايا اجتماعية في سورة النساء، وقد أخذت الآية الأولى من السورة الحجم الأكبر من الدراسة المتمثلة في وحدة الأصل الإنساني في سورة النساء، الأمر بتقوى الله، ووحدة النشأة،

وصلة الرحم، وتنظيم الأسرة، وكذا الضوابط الإنسانية للعلاقات الاجتماعية في سورة النساء من خلال عرض فئة النساء، وفئة اليتامى وفئة السفهاء،

وفي الفصل الرابع: جاء بعنوان" البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء" وتم التطرق فيه إلى أساليب حماية حقوق المستضعفين – القتال نموذجا– كما تضمنتها سورة النساء، ثم الحث على الجهاد وبيان قواعده، وفضل المجاهدين، والميراث المنظومة المالية في سورة النساء، ثم اختبار اليتامى وقدرتهم على إدارة أموالهم.

أما الفصل الخامس: بعنوان "البعد الأسري والبعد العقائدي في سورة النساء" أهم قضية عالجها هي تأسيس بناء الأسرة والمجتمع في سورة النساء كما اشتمل على معالم السلوك الفردي والأسري في سورة النساء ثم بناء شخصية الفرد في سورة النساء، ثم سلوك الزوج مع زوجته وسلوك الزوجة مع زوجها، ثم علاقة الوالدين بأبنائهم وسلوك الأبناء تجاه الوالدين، ثم العلاقات الاجتماعية (الإنسانية) وضوابطها كما تضمنتها سورة النساء، منها ضبط علاقة الفرد بخالقه، وضبط علاقة الفرد بنفسه وضبط علاقة الفرد بالمجتمع، ثم المشكلات الاجتماعية وطرق معالجتها حسب سورة النساء من أهما التمرد وانحلال العلاقة الزوجية، وتحريم العلاقات غير الشرعية، وبيان الأضرار النفسية والاجتماعية والأخلاقية والصحية للعلاقات غير الشرعية.

وفي الفصل السادس والأخير فقد كان "البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء" وتناول بالدراسة أساليب التنشئة الاجتماعية – بين الجذب والتنفير– وقد اشتمل على رسم الصور المنفرة للكافرين، ومن أهم مظاهرها السلوك غير السوي (الرياء)، وكذا عرض النماذج السلوكية (النفاق)، ثم رسم صور المؤمنين المحببة ومن أهم مظاهرها السلوك السوي (قيمة الصدق)، وتم التطرق إلى الصلاة وضبط السلوك، وفي نهاية الفصل تم الحديث على البعد القيمي وأهم القيم المستنبطة من سورة النساء: العدل، والأمانة.

في نهاية الدراسة نجد خاتمة وكذا الفهارس الخاصة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والجداول وأيضا فهرس المحتويات وفي الأخير الملخص باللغتين العربية والانجليزية.

وقد تم تقسيم الدراسة إلى فصول تم الالتزام بالتوازن في تقسيمها، إلا أن المادة العلمية فرضت التقسيم الذي هي عليه الآن، وقد اعتمدت في تحريرها على الأمور التالية:

_ ترقيم جميع الآيات الواردة في الدراسة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية.

_ تخريج كل الأحاديث الواردة في الدراسة بإرجاعها إلى مصدرها الأصلي قدر الإمكان.

كما حاولت التنوع في استعمال المراجع والمصادر ما استطعت إلى ذلك سبيلا، من كتب في التفسير، وعلم الاجتماع وعلم النفس، وعلم التربية.. وغيرها.

الفصل الأول:
الإطار المنهجي للدراسة

أولا: تحديد الإشكالية

جاءت فكرة البحث في هذا الموضوع من خلال التقاء مجالين معرفيين في حياتي العلمية، فقد درست الجانب الديني الشرعي البحت من تفسير وأحاديث وفقه وأصول، ثم انتقلت إلى جانب آخر مغاير كليا وهو علم الاجتماع الذي يدرس الفكر السوسيولوجي الغربي بنظرياته وأفكاره واتجاهاته.

فعلم الاجتماع نشأ بعد صراع كبير بين الكنيسة التي عايشت أوروبا عهدا طويلا من الظلام والجهل وبين الثورة الصناعية التي قامت في وجه الكنيسة من أجل التحرر من قيودها، وبذلك تأسس علم الاجتماع رافضا للدين وحاملا معه توجهات ومناهج ذات المصادر الوضعية فقط، وأغلب النظريات في علم الاجتماع التي تبحث في قضايا الوجود الإنساني أو نشأة المجتمع لا تفسر هذا الوجود من الناحية الدينية.

ولكن قدم بعض المختصين في علم الاجتماع طرحا بديلا أطلقوا عليه اسم علم الاجتماع الإسلامي، الذي هو مجال تخصصنا وبحثنا حيث يحاول أصحاب هذه المدرسة الخروج من الدائرة التي رسمها علماء الاجتماع الغربيين، ويفسرون الظواهر الاجتماعية من وجود الانسان إلى نشأة المجتمع تفسيرا دينيا ويرجعونها إلى أصل ومصدر المعرفة الموثوق وهو القرآن الكريم.

إن المتمعن والدارس للنظريات المختلفة التي عالجت موضوع الغاية من وجود الإنسان؛ يجد أن كل نظرية تمثل حلقة في سلسلة تامة تدور حول الإنسان في جميع مراحل حياته، كيف بدأ، وما هي طبيعته، وما هو وضعه بين الأنواع الأخرى من الموجودات التي تشاركه الحياة على الأرض، وماهي الغاية من وجوده، وما هي نهايته، وبتحديد هذه الغاية ينطلق الفكر إلى وضع القيم للتصرفات التي تصدر عن الفرد، ومن هنا وجدت المذاهب المختلفة في السلوك أو ما يسمى عند البعض بالأخلاق العملية، واختلاف هذه المذاهب نتيجة حتمية الاختلاف في تحديد الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض، لأنها آخر حلقة في مرحلة التفكير النظري، وأول حلقة في المرحلة التي يوضع فيها نتاج هذا التفكير موضع التطبيق من الناحية العملية.

ولأجل هذه الغاية السامية اهتم الإسلام بتكوين الأمة، وأول عنصر أساسي في تكوين هذه الأمة هو الانسان حيث نجد القرآن الكريم عامة وسورة النساء خاصة تقدم حقائق حول طبيعة هذا الانسان البيولوجية والنفسية والاجتماعية ومكوناته التي تمكنه من العيش في جماعة ثاني عنصر هام لتكوين الأمة، هذا التعايش الجماعي الذي يمكنه من أداء واجباته الأخلاقية والاجتماعية تجاه أعضاء مختلف الوحدات الاجتماعية التي ينتمي إليها ومن أهمها الأسرة، كونها البيئة الاجتماعية الأولى والوحيدة التي تستقبل الإنسان منذ ولادته، وتستمر معه مدى حياته، تعاصر انتقاله من مرحلة إلى مرحلة، بل لا يوجد نظام اجتماعي آخر يحدد مصير النوع الإنساني كله كما تحدده الأسرة. ولا يوجد نظام أولى الأسرة العناية والرعاية الكاملة مثل نظام الإسلام، فشملتها بتوجيهاته التربوية وحدد لها من قواعده التشريعية ما يكفل قيامها على أساس سليم، ويرفع مستواها ويوثق أواصر العلاقات بين أفرادها ويدعم كيانها.

وبعدها ينتقل الطرح القرآني إلى حقيقة أخرى وهي طبيعة العلاقة الموجودة بين الإنسان وبين خالقه، وذلك الميثاق الذي عقده الانسان مع ربه وتحمل من خلاله أمانة الاستخلاف في الأرض، هذه المهمة التي أوكلت إليه من أجل اختبار قدراته على تسيير شؤون حياته بعدل وحكمة وتأسيس شبكة علاقات اجتماعية أساسها التعاون والتكافل الاجتماعي والتي يتمكن من خلالها تطبيق شرع ومنهج الله.

فالقرآن أنزل لغاية واحدة وهي هداية البشر، وهذه الهداية لا تقتصر على الجانب العقدي فقط بل تمتد إلى الجانب الأخلاقي والإنساني الذي يجب أن يتجسد في الفرد والجماعة، وكذا جانب المعاملات الذي يخضع للضوابط الأخلاقية والقانونية.

ثانيا: أهمية الدراسة

لهذه الدراسة أهمية بالغة كونها مستمدة من القرآن الكريم الذي هو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن خلال عرض موضوع الابعاد الاجتماعية التي تضمنتها "سورة النساء" الذي لم يفرد بالدراسة من قبل، وهذا النوع من الدراسة يعمق نطاق التدبر القرآني في المجال الاجتماعي بدراسة بعض الابعاد الاجتماعية المستنبطة من سورة النساء إذ تحتوي على العديد من القضايا المفيدة للإنسان في حياته وكذا توجيه سلوكه، كما

يفيد الكشف عن هذه الابعاد في حل مشكلات عديدة في واقعنا المعاصر مثل الكشف عن أخطار العلاقات غير الشرعية وكيفية العلاج والقضاء عليها، وأيضا إن البحث في هذا المجال يفيد الباحثين المهتمين بدراسة علم الاجتماع الإسلامي ويعد إضافة متواضعة في هذا التخصص.

ثالثا: أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- معرفة معنى الانسان والمجتمع في القرآن الكريم.

2- بيان مواضيع سورة النساء ذات الطابع الاجتماعي.

3-استنباط أهم الأبعاد الاجتماعية التي تحتوي عليها سورة النساء.

4- ربط الابعاد الاجتماعية في سورة النساء بالواقع الاجتماعي المعاصر.

رابعا: تساؤلات الدراسة:

وتتمثل تساؤلات الدراسة في السؤال الرئيسي الذي يتمثل في:

ما هي الأبعاد الاجتماعية المستنبطة من خلال سورة النساء؟

ثم الأسئلة الفرعية:

1- كيف تتجلى معالم البعد الإنساني في سورة النساء؟

2-كيف تتجلى معالم البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء؟

3-كيف تتجلى معالم البعد الأسري في سورة النساء؟

4-كيف تتجلى معالم البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء؟

خامسا: أسباب اختيار موضوع الدراسة

لقد اخترت الكتابة في هذا الموضوع بالذات للأسباب التالية:

–البحث في القرآن الكريم ودراسة مواضيعه ذات الطابع الاجتماعي من أهم المواضيع التي تجلب انتباهي.

– إعادة ربط الواقع الإنساني الاجتماعي بالنصوص القرآنية.

– فتور وغياب التنظير الإسلامي عن الساحة الاجتماعية.

– الحاجة إلى الخروج بصورة واضحة ومتكاملة عن المواضيع التي عالجتها سورة النساء من الناحية الاجتماعية.

–أسهم الغرب في مجال علم الاجتماع وأنتجوا أفكارا ونظريات تعلق بها المسلمون رغم تعارضها الواضح مع القرآن ومع الفطرة السليمة.

–محاولة تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التي التصقت بديننا.

سادسا: موضوع الدراسة

سيتم من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على أهم الأبعاد الاجتماعية الواردة في سورة النساء، وفيما يلي سيتم تحديد مفاهيم الدراسة بداية من مفهوم القرآن الكريم ثم التعريف بالسورة والمواضيع التي عالجتها، بالتركيز على الجانب الاجتماعي فيها، بالإضافة إلى الجانب البلاغي الذي كان له التأثير الكبير في توضيح الفكرة ومدى عمقها ودلالتها وبعد ذلك تعريف البعد وأخيرا تعريف الأبعاد الاجتماعية.

1–مفهوم القرآن الكريم:

جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم (قرأت –قرأناه–قرأه–قرآنه–قرآن الفجر–القرآن–قرآنا–قروء) قرأ الكتاب يقرؤه قراءة وقرآنا: تلاه أي نطق بكلماته المكتوبة جهرا أو سرا، والماضي المبني للمجهول منه هو قرئ، والأمر اقرأ.[1]

[1] –معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة، 1981، ص500.

وعرفه سعيد رمضان البوطي بقوله:" القرآن هو كتاب المسلمين ويسمى الفرقان والكتاب والتنزيل والذكر والمصحف، وهو اللفظ المعجز الموحى به إلى محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته والواصل إلينا عن طريق التواتر".[1]

المتأمل لهذا التعريف يجد فيه قيودا أربعة هي:

– المعجز: ويقصد به ما اتصف به القرآن من بلاغة والبيان اللذين أعجزا بلغاء العرب كافة عن الإتيان بأقصر سورة من مثله.

–الموحى به: ومعناه المنزل عليه من الله عز وجل بواسطة جبريل، وهذا أهم قيد في تعريف القرآن وتحديد ماهيته، لا جرم أن الوحي القرآني إنما هو استقبال منه صلى الله عليه وسلم لحقيقة ذاتية مستقلة خارجة عن كيانه وشعوره الداخلي وبعيدة عن كسبه أو سلوكه الفكري أو العلمي.

–المتعبد بتلاوته: إن من خصائص هذا الكتاب أن مجرد قراءته تكسب القارئ أجرا ومثوبة عند الله وأن ذلك يعتبر نوعا من العبادة المشروعة، وأن الصلاة لا تصح إلا بقراءة شيء منه ولا يغني عنه غيره من الأذكار والأدعية أو الأحاديث.

–المتواتر: ومعناه أن قرآنية آية من القرآن لا تثبت حتى تصل إلينا بطريق جموع غفيرة لا يمكن اتفاقها على الكذب، ترويها عن مجموع مثلها إلى الناقل الأول لها بعد أن تنزلت عليه وحيا من الله عزوجل، وهو سيدنا محمد عليه السلام.[2]

أما البيان القرآني فيؤثر في جميع الناس على اختلاف مداركهم العقلية يقرؤه الأمي الساذج الثقافة فيجد فيه آفاق واسعة من المعاني تكاد لا تنتهي، ولا فرق في ذلك بين موضوع وموضوع، ويكفي للاستدلال على ذلك المقارنة بين أساليب الفلاسفة في البرهنة على وجود الله وبين أسلوب القرآن، فأدلة الفلاسفة لا يكاد يفهمها إلا من كانت له ثقافة واسعة، أما أسلوب القرآن فيفهمه العالم والأمي على السواء، لأنه يتميز بالبساطة والوضوح

[1] –محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية، مؤسسة الرسالة بيروت، 1999، ص25.

[2] –المرجع نفسه، ص31.

والاقناع وسبيله في ذلك دعوة العقل إلى التأمل في الكون وفي كل ما يحيط به من مظاهر طبيعية.[1]

وقد وصف أحد البلغاء القرآن الكريم فقال: إن أوجز كان كافيا وإن أكثر كان مذكرا، وإن أمر فناصحا وإن نهى فمشفقا، وإن حكم فعادلا وإن أخبر فصادقا، وإن بين فشافيا لا يمله قارئه ولا يمجه، يزيد على الترديد حلاوة وعلى التكرار طلاوة، وغيره يعادى إذا أعيد ويمل مع التكرار والترديد.[2]

ولتقريب الصورة إلى الذهن يجب أن نشير إلى أن المواضيع في القرآن غير مرتبة على شكل الكتب الفكرية أو العلمية أو الأدبية من خلال ترتيب المواضيع وطريقة العرض...بل قد نجد ذكر موضوع واحد في سورة واحدة أو موزعا بين عدة سور وإن السورة الواحدة تحتوي على عدة مواضيع تخص عدة مجالات...وقد نلمس ما نعتبره تكرارا في المواضيع في حين أنها صيغت بإضافات ذات أهمية أو في سياق مغاير.[3]

وكل ما يمكن القول عن القرآن الكريم أنه أوسع المجال للعقل فيبحث ويستنبط ويستدل ويكتشف حتى يصل إلى الحقيقة وهي أن القرآن هو الذي يضمن للإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

2- سورة النساء:

سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة، وهي سورة مليئة بالأحكام الشرعية، التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين، وهي تعنى بجانب التشريع كما هو الحال في السور المدنية، وقد تحدثت السورة الكريمة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة، والمجتمع، ولكن معظم الأحكام التي وردت فيها كانت تبحث حول موضوع النساء ولهذا سميت "سورة النساء".

---

[1] -بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص285.

[2] -محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن الكريم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط2، 1982، ص47.

[3] -رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القرآن مقاربة سوسيو معرفية، مخبر علم اجتماع الاتصال، قسنطينة، الجزائر، 2009، ص55.

تحدثت السورة الكريمة عن حقوق النساء والأيتام- وبخاصة اليتيمات- في حجور الأولياء والأوصياء، فقررت حقوقهن في الميراث والكسب والزوج، واستنقذ تهن من عسف الجاهلية وتقاليدها الظالمة المهنية.

وتعرضت لموضوع المرأة فصانت كرامتها، وحفظت كيانها ودعت إلى انصافها بإعطائها حقوقها التي فرضها الله تعالى لها، كالمهر والميراث وإحسان العشرة.

كما تعرضت بالتفصيل إلى أحكام المواريث على الوجه الدقيق العادل، الذي يكفل العدالة ويحقق المساواة وتحدثت عن المحرمات من النساء (بالنسب والرضاع والمصاهرة).

وتناولت السورة الكريمة تنظيم العلاقات الزوجية وبينت أنها ليست علاقة جسد وإنما علاقة إنسانية، وأن المهر ليس أجرا ولا ثمنا وإنما هو عطاء يوثق المحبة ويديم العشرة ويربط القلوب. ثم تناولت حق الزوج على زوجته، وحق الزوجة على زوجها، وأرشدت إلى الخطوات التي ينبغي أن يسلكها الرجل لإصلاح الحياة الزوجية عندما يبدأ الشقاق والخلاف بين الزوجين، وبينت معنى "قوامة الرجل" وأنها ليست قوامة استعباد وتسخير، وإنما هي قوامة نصح وتأديب كالتي تكون بين الراعي ورعيته.

ثم انتقلت من دائرة الأسرة إلى دائرة المجتمع فأمرت بالإحسان في كل شيء، وبينت أن أساس الإحسان التكافل والتراحم، والتناصح والتسامح، والأمانة والعدل، حتى يكون المجتمع راسخ البنيان قوى الأركان.

ومن الاصلاح الداخلي انتقلت الآيات إلى الاستعداد للأمن الخارجي الذي يحفظ على الأمة استقراراها وهدوءها، فأمرت بأخذ العدة لمكافحة الأعداء.

ثم وضعت بعض قواعد المعاملات الدولية بين المسلمين والدول الأخرى المحايدة أو المعادية. واستتبع الأمر بالجهاد حملة ضخمة على المنافقين، فهم نابتة السوء وجرثومة الشر التي ينبغي الحذر منها، وقد تحدثت السورة الكريمة عن مكايدهم وخطرهم. كما نبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود وموقفهم من رسل الله الكرام.

ثم ختمت السورة الكريمة ببيان ضلالات النصارى في أمر المسيح عيسى ابن مريم، حيث غالوا فيه حتى عبدوه ثم صلبوه مع اعتقادهم بألوهيته، واخترعوا فكرة التثليث فأصبحوا

كالمشركين الوثنين، وقد دعتهم الآيات إلى الرجوع عن تلك الضلالات إلى العقيدة السمحة الصافية عقيدة التوحيد[1].

3-مفهوم البعد:

جاء في المعجم الوسيط: (البعد): اتساع المدى، وقالوا إنه لذو بعد: ذو رأي عميق وحزم، فالبعد يشير إلى المدى المتسع في المكان وفي المعاني.[2]

إذا أبعاد المسألة أو القضية هي معالمها ومظاهرها، والبعد هو امتداد معنوي غير محسوس يدرك بالعقل، يشير إلى أهم وأبرز المعالم والمظاهر المرتبطة بالمسألة قيد الدراسة.

4-مفهوم الأبعاد الاجتماعية:

في علم الاجتماع يصف البعد الاجتماعي المسافة بين مختلف الفئات في المجتمع، مثل الطبقة الاجتماعية، العرق، الجنس أو الجنسية.

تخلط المجموعات المختلفة أقل من أعضاء نفس المجموعة. وهو مقياس القرب أو الحميمية الذي يشعر به الفرد أو المجموعة تجاه فرد أو مجموعة أخرى في شبكة اجتماعية أو مستوى الثقة التي تتمتع بها مجموعة لأخرى ومدى التشابه المدرك للمعتقدات.[3]

وعرف **روبرت إي بارك** البعد الاجتماعي بأنه محاولة لتقليص درجة الفهم والعلاقة الحميمة التي تميز العلاقات الشخصية والاجتماعية بشكل عام إلى شيء مثل المقاييس القابلة للقياس.[4]

ويطلق عليه الشيخ مصطفى الصيرفي "فن حركة الذات، وفن المعاملة مع الأفراد" فنجد في الكتاب والسنة جملة من الآداب والسلوكيات التي تحدد كيفية التعامل بين الأفراد

---

[1]- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار الجيل، بيروت، 2001، ص231-232.

2 المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص63.

3-Models of social networks based on social distanceattachment. Phisical review70,1-8. Boguna, Maria, RomualdoPastor-satorras, Aler. Diaz-Guilra;and Alex Arenas(2004).

4-"Journal of Applied;8Sociology339-344Robert I Park 1924. - "The Concept of Social Distance as Applied to the study of Racial Attitudes and Racial Relations

في المجتمع، سواء تعلق ذلك بالمناسبات الاجتماعية أو المعاملات الاقتصادية أو الشؤون السياسية أو القضايا الدولية.[1]

5-البيان والفصاحة والبلاغة في سورة النساء

ولما للدلالة اللغوية في القرآن الكريم وأثرها على المعنى العام للموضوع، كان من الضروري الإشارة إلىضروب البيان والفصاحة والبلاغة في سورة النساء.

جدول رقم:(01)

الصورة البيانية		
رقم الآية	نوعه	1- الطباق
01	طباق الإيجاب	[رجالا]، [نساء]
02	طباق الإيجاب	[الخبيث]، [الطيب]
06	طباق الإيجاب	[غنيا]، [فقيرا]
07	طباق الإيجاب	[قل]، [كثر]
11	طباق الإيجاب	[للذكر]، [الأنثيين]
11	طباق الإيجاب	[من يطع]، [من يعص]
24-23	طباق الإيجاب	[حرمت]، [وأحل]
25	طباق الإيجاب	[محصنين]، [مسافحين]
31	طباق الإيجاب	[كبائر]، [سيئاتكم]، لأن المراد بالسيئات الصغائر من الذنوب.
47	طباق الإيجاب	[وجوها]، [أدبارها]
60	طباق الإيجاب	[آمنوا]، [كفروا]
83	طباق الإيجاب	[الأمن]، [الخوف]
108	طباق السلب	[يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله]
135	طباق الإيجاب	[غنيا أو فقيرا]
138	طباق الإيجاب	[أمنوا ثم كفروا]
149	طباق الإيجاب	[تبدوا]، [تخفوه]
150	طباق الإيجاب	[نؤمن]، [نكفر]

1 -مصطفى الصيرفي، أبعاد التربية الإسلامية، اسلام ويب المقالات، 01-01-2002.
https://www.islamweb.net/ar/article/11276

2- الجناس وأنواعه					
رقم الآية	**الجناس الناقص**	**رقم الآية**	**جناس الاشتقاق**	**رقم الآية**	**الجناس المغاير**
136	[آمنوا آمنوا] لتغير الشكل	11	[وصية يوصى]	05	[قولوا]، [قولا]
		34	[حافظات]، [بما حفظ]	06	[فادفعوا]، [دفعتم]
		41	[شهيد]، [شهيدا]	16	[فإن تابا]، [توابا]
		47	[نلعنهم]، [لعنا]	19	[كرهتموهن]، [أن تكرهوا]
		53-54	[يؤتون]، [آتاهم]	22	[تنكحوا ما نكح]
		57	[ظلا ظليلا]	23	[أرضعنكم]، [من الرضاعة]
		72	[أصابتكم مصيبة]	25	[محصنات]، [فإذا أحصن]
		81	[بيت]، [يبيتون]	60	[يضلهم ضلالا]
		85	[يشفع شفاعة]	61	[يصدون]، [صدودا]
		86	[حييتم]، [فحيوا]	63	[وقل لهم]، [قولا]
		140	[جامع]، [جميعا]	65	[ويسلموا تسليما]
		142	[يخادعون]، [خادعهم]	73	[فأفوز فوزا]
		147	[شكرتم]، [شاكرا]	89	[تكفرون كما كفروا]
		166	[يشهدون]، [شهيدا]	96	[ومغفرة]، [غفورا]
				99	[يعفو]، [عفوا]
				100	[يهاجر]، [مهاجرا]
				107	[يختانون]، [خوانا]
				110	[يستغفر]، [غفورا]
				116	[ضل ضلالا]
				119	[خسر خسرانا]
				125	[أحسن]، [محسن]
				128	[صلحا والصلح]
				129	[تميلوا كل الميل]

3- الإطناب	
رقم الآية	أمثلة عن الإطناب
06	[فادفعوا إليهم أموالهم] و[فإذا دفعتم إليهم أموالهم]
07	[للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون]
12	[من بعد وصية يوصين بها أو دين[ ]من بعد وصية توصون بها أو دين]
32	[نصيب مما اكتسبوا [ ]نصيب مما اكتسبن]
35	[حكما من أهله وحكما من أهلها]
36	[والجار ذي القربى والجار الجنب]
92	[أن يقتل مؤمنا إلا خطأ [ ]ومن قتل مؤمنا خطأ]
95	[فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم [ ]وفضل الله المجاهدين على القاعدين]
103	[فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا]

4- المجاز			
رقم الآية	المجاز العقلي	رقم الآية	المجاز المرسل
15	[يتوفاهن الموت]	02	[وآتوا اليتامى أموالهم]
		10	[يأكلون في بطونهم نارا]
		23	[حرمت عليكم أمهاتكم]
		54	[أم يحسدون الناس]
		92	[فتحرير رقبة]
		155	[وكفرهم بآيات الله]
		155	[وقتلهم الأنبياء]

رقم الآية	5- المقابلة
06	[ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف]
76	[الذين أمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت]
85	[ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها]

رقم الآية	6- الاستعارة
21	[وأخذن منكم ميثاقا غليظا]
24	[وآتوهن أجورهن]
32	[مما اكتسبوا]
74	[يشرون الحياة الدنيا بالآخرة]
94	[إذا ضربتم في سبيل الله]
142	[وهو خادعهم]
156	[قلوبنا غلف]
162	[الراسخون في العلم]

رقم الآية	6- المبالغة
20	[وآتيتم احداهم قنطارا]
34	[الرجال قوامون]
135	[قوامين بالقسط]

رقم الآية	المراد منه	-الاستفهام
44	الذي يراد به التعجب	[ألم تر]
49	الذي يراد به التعجب	[ألم تر]
53	الذي يراد منه التوبيخ والتقريع	[أم لهم نصيب]
54	الذي يراد منه التوبيخ والتقريع	[أم يحسدون]
61	المراد به التعجب	[ألم تر إلى الذين يزعمون]
82	المراد به الإنكار	[أفلا يتدبرون القرآن]
88	المراد به الانكار	[فمالكم في المنافقين]
88	المراد به الإنكار	[أتريدون أن تهدوا]
97	المراد به التوبيخ والتقريع	[قالوا فيم كنتم]
97	المراد به التوبيخ والتقريع	[ألم تكن أرض الله واسعة]
139	الاستفهام الإنكاري	[أيبتغون عندهم العزة]

رقم الآية	الكناية
23	[اللاتي دخلتم بهن]
34	–[واهجروهن في المضاجع]

رقم الآية	التعريض
36	[مختالا فخورا]
53	[فإذا لا يؤتون الناس نقيرا]
157	[قتلنا المسيح عيسى ابن مريم]

- **الإيجاز**: في قوله تعالى: [رجالا كثيرا ونساء] الآية رقم 01
- السؤال عن المعلوم لتوبيخ السامع في قوله: [فكيف إذا جئنا] الآية رقم 41
- **الحذف في عدة مواضع** مثل: [وبالوالدين إحسانا] الآية رقم 36

- التعجب بلفظ الأمر في قوله[انظر كيف يفترون] الآية رقم 50
- **الالتفات**: [واستغفر لهم الرسول] الآية رقم 64
- التشبيه المجمل المرسل في قوله: [يخشون الناس كخشية الله] الآية 77
- التشبيه [فتذروها كالمعلقة] الآية رقم 129
- **الاعتراض**: في قوله: [كأن لم تكن بينكم وبينه مودة] الآية رقم 73
- الأسلوب التهكمي: [بشر المنافقين] 138

سابعا: منهج الدراسة

من أجل الكشف عن الأبعاد الاجتماعية التي احتوتها مجمل آيات سورة النساء وألفاظها، سواء بصفة تصريحية أو ضمنية، بالاعتماد على كتب تفسير القرآن فقد تم الاعتماد على:

بداية تم الاعتماد على كتب التفسير حول سورة النساء، ثم كخطوة تالية تم تجميع الآيات القرآنية من هذه السورة وتقسيمها إلى مجموعات جزئية تتفق في معالجتها لموضوع واحد استنادا إلى ما تم تفسيره سابقا كخطوة مسبقة، وهذا ما يسمى في علم تفسير القرآن بالتفسير الموضوعي.

وكذا تم الاعتماد على **المنهج الاستنباطي**:

والاستنباط لغة: من" نبط، النبط: الماء الذي ينبط من قعر البئر إذا حفرت، واستنبطه واستنبط منه علما وخيرا ومالا: استخرجه. والاستنباط: الاستخراج، واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه".[1]

"وهو الذي يبذل فيه الباحث (الجهد العقلي والنفسي) عند دراسة النصوص لاستخراج المبادئ والأسس التنظيمية منها والأدلة المدعمة لذلك".[2]

[1] –ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968، ص410.

[2] –حلمي فودة محمد وعبد الرحمان صالح عبد الله، المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، 1410هـ، ص42.

فالاستنباط هو استخراج المعاني من النصوص بالقدرة الذهنية والقوة النفسية، والاستنباط من قدرات العقل الإنساني التي وهبها الله للإنسان، حيث يستطيع إذا ما أعمل فكره في الظاهرة سواء كانت إنسانية أم طبيعية أن يستنتج العوامل المتسببة فيها وكذلك إذا أعمل فكره في كتاب الله أو سنة رسوله أن يستنبط الحكم الشرعي.

وباستخدام هذا المنهج تم تحليل وتفسير أغلب آيات سورة النساء من أجل استنباط أهم الأبعاد الاجتماعية التي يحتوي عليها هذا النص القرآني.

ثامنا: الدراسات السابقة

انطلقت الباحثة من دراسات سابقة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع الدراسة الحالية بهدف الاستفادة منها في رسم الإطار النظري للدراسة الحالية، وسيتم التعرض إليها ببيان النقاط التالية: الهدف من الدراسة السابقة، المنهج المعتمد في الدراسة السابقة، أدوات جمع البيانات إن وجدت، والنتائج المتحصل عليها في الدراسة السابقة.

الدراسة الأولى: التربية الأسرية المتضمنة في سورة النساء[1]

1- الهدف من الدراسة السابقة: تهدف الدراسة إلى التعرف على جوانب التربية الأسرية التي تضمنتها "سورة النساء"، لما لهذه الجوانب من الأهمية في حياة الأسرة في حاضرها ومستقبلها، ونتائج التمسك بهذه الجوانب على حياة الأسرة حتى تعطي الأسرة الثمار الصالحة التي يريدها الإسلام من خلال كل فرد من أفراد الأسرة. كما حدد الباحث بعض الأهداف الأخرى:

- التعرف على أهمية الأسرة في الإسلام وطبيعة الأسرة في بنائها وأهدافها.

- التعرف على الحقوق التي تهم كل فرد من أفراد الأسرة وتوضيح حق كل من الزوج والزوجة والأولاد والآباء والأرحام من خلال "سورة النساء".

- التعرف على أساليب المحافظة على الأسرة وذلك بعدم الوقوع في المحرمات من النساء، وإباحة تعدد الزوجات مع العدل بينهن وعدم الميل لواحدة على حساب الأخرى،

[1]- علي عبده شاكر أبو حمدي، التربية الأسرية المتضمنة في سورة النساء، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، (منشورة)، 1415/1416.

والمشكلات التي تواجهها الأسرة وايضاح الطرق الصحيحة لحل المشكلات الأسرية التي تحول دون حدوث الطلاق من خلال "سورة النساء".

2- المنهج المعتمد في الدراسة السابقة: استخدم الباحث المنهج الاستنباطي، من خلال الرجوع إلى المصادر الأصلية لاستنباط جوانب التربية الأسرية من "سورة النساء"، كما استخدم المنهج الوصفي، وذلك بوصف الحقوق الأسرية لكل فرد من أفراد الأسرة مثل حق الزوج وحق الزوجة والأولاد والآباء والأرحام.

3- نتائج الدراسة السابقة: توصلت الدراسة السابقة إلى النتائج التالية: - إن العلاقات الاجتماعية من أهم أسس وحدة المجتمع؛ إذ يدعو إلى التعاون والتواصل والإخاء والرحمة والمودة. - إن الإسلام ربط العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة على أساس الإيمان والتقوى ليضمن استمرار وقوة هذه العلاقات حتى تؤدي وظيفتها الحيوية في المجتمع- إن الإسلام اهتم بتنظيم العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة حتى يتم تحقيق الأهداف والمقاصد الاجتماعية من تكوين الأسرة، والمتمثلة في تنشئة الأولاد تنشئة صالحة، وتماسك أفراد المجتمع. - إن قيام الأسرة بدورها التربوي يؤدي إلى نشأة الأولاد نشأة حسنة تعود عليهم بالاستقرار النفسي في حياتهم العلمية والعملية. -إن الإسلام ربط العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة برباط المودة والرحمة ترغيبا لهم في تأدية الحقوق والواجبات التي فرضها ووعد بالجزاء الحسن على ذلك في الدنيا والآخرة. - إن الله شرع الزواج ورغب فيه من أجل تكوين الأسرة المسلمة وحفظ النوع الإنساني، وحرم الفاحشة ودواعيها، ويعد هذا الأمر من مقاصد الشريعة وأهم ضرورياتها المتمثلة في حفظ الدين والنسل والنفس والعقل والمال. - إن الإسلام أعطى للقرابة مكانتها في الأسرة، وحث على صلة الرحم حتى يكون المجتمع متصلا ببعضه البعض. - إن الإسلام أوصى باليتيم خيرا، فحفظ له مكانته في الأسرة، وحذر من ظلم اليتيم، والتعدي على ماله، وأمر أن تعامل اليتيمة معاملة مثلها من النساء في الزواج، والصداقة وكافة الحقوق، إذ على الولي أن يتمثل الصلاح والأخلاق الفاضلة قولا وعملا، حتى ينشؤوا نشأة صالحة. - إن الإسلام سد الذريعة إلى الفاحشة، فحرم الزنى ودواعيه واللواط والسحاق، ووضع العقوبات الرادعة بما يكفل صيانة المجتمع من أسباب الانهيار والفوضى الخلقية حتى يعيش الأولاد في سعادة وهناء فيقبلوا على الزواج ويبتعدوا عن

الفواحش. – إن الإسلام أباح الزواج ورغب فيه، وأباح تعدد الزوجات لأنه الحل الأمثل لعلاج كثير من المشكلات التي تعاني منها الأمم، ووضع الضمانات لمنع الجور فنهى عن الميل إلى إحدى الزوجات.. – إن الإسلام حرص على حفظ كيان الأسرة من التصدع، فأوضح الطرق لمعالجة بوادر النشوز من الزوج والزوجة قبل استفحال الأمر لما في ذلك من حماية الأولاد الناشئة في هذا المحضن.

مقارنة الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة: (الأولى)

– تتفق الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة (الأولى) كونهما سلطتا الضوء على نفس السورة من القرآن وهي سورة النساء، واعتمدتا على نفس المنهج الاستنباطي كونه الأنسب للدراستين.

– وتختلف عنها في كون الدراسة الحالية تعتبر أن التربية الأسرية هي أحد الأبعاد الاجتماعية التي تم استنباطها من سورة النساء، إلى جانب أبعاد أخرى سنأتي على ذكرها لاحقا.

– عند تتبع العناصر الواردة في الدراسة السابقة ومحتوها تبين أن الباحث تحدث عن التربية الأسرية واستدل عنها بآيات قرآنية من مختلف سور القرآن دون أن يخصها بسورة النساء إذ لم يأتي على الاستدلال بها إلا في تحديده لمحتوى وموضوع الدراسة.

الدراسة الثانية: مبدأ التنظيم في القرآن الكريم[1]

1– الهدف من الدراسة السابقة: هدفت إلى محاولة إعادة استدعاء القرآن الكريم للساحة الثقافية الإسلامية، خاصة في مجال العلوم الاجتماعية، وجعله المصدر الأول والأهم للباحث المسلم ليستقي منه المعرفة الدقيقة السليمة في نظرته للإنسان والحياة والوجود، في الفطرة الإنسانية والاجتماعية، في قضايا الفرد والمجتمع والعلاقات والنظم. – كما هدفت إلى التطرق إلى مبادئ التنظيم في القرآن وضرورة العمل بها.

[1]– زكية عقري، مبدأ التنظيم في القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، (غير منشورة)، 2014/ 2015.

–وهدفت إلى إثبات أن للقرآن غرضا اجتماعيا مقصودا ومنهجا للاجتماع البشري معتبرا لا يقل أهمية عن مسائل العقيدة وما تستلزم من تعديات وهو ما يؤكد أن الدين الإسلامي هو دين الحياة بكل ما تقتضي الكلمة من دلالات.

2– المنهج المعتمد في الدراسة السابقة: اتبعت المناهج التالية والتي رأت الباحثة أنها مناسبة لاستنباط الفكرة من آيات القرآن وهي: المنهج الوصفي وقد استخدم هذا المنهج عند جمع المعلومات من المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع الدراسة، من أجل إيضاح مفهوم التنظيم أو فكرة ومبدأ التنظيم في القرآن أو في التراث الغربي.

كما تم استخدام المنهج الاستقرائي حيث ساعد هذا المنهج في جمع مادة التنظيم وتتبعها من حيث الألفاظ التي لها صلة بالموضوع وتحديد صفاتها وخصائصها وعلاقتها بالموضوع ومحاولة جمع الكلمات الدالة على المعاني والمفاهيم التنظيمية المختلفة المذكورة في القرآن، ثم تم التدرج للوصول إلى مجالات التنظيم وكيفية تأثيرها في سلوك العاملين وانعكاسها على الواقع التنظيمي.

بالإضافة إلى المنهجين السابقين فقد تم الاعتماد على المنهج الاستنباطي، حيث في ضوء هذا المنهج قامت الباحث بتحليل المواضيع ذات الصلة بموضوع الدراسة، وتفسيرها وعرضها من وجهة نظر إسلامية وغربية، لاستنباط أهداف ومبادئ وأبعاد التنظيم في الخطاب القرآني.

3– الأدوات التي تم الاعتماد عليها في الدراسة السابقة: الأدوات التي تم الاعتماد عليها تمثلت في: – الملاحظة تم الاعتماد عليها في تحديد الألفاظ التي لها علاقة بالتنظيم وتحديد خصائصها وصفاتها– التحليل وساعد في إيجاد علاقات منطقية تربط بين مختلف عناصر المادة المنسقة والتي تم وصفها حتى يتم التوصل إلى آراء مدعمة بأدلة من شأنها أن تساهم في بناء الخصائص العامة للتنظيم في القرآن الكريم– المقارنة وذلك لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف لبعض المفاهيم التنظيمية في التصور الوضعي وفي القرآن الكريم، والوقوف على الإيجابيات والسلبيات في النماذج المدروسة ما يسهل عملية إثراء الجوانب الايجابية وتفادي سلبياتها.

4- نتائج الدراسة السابقة: توصلت الدراسة السابقة إلى نتيجة أساسية تم صياغتها الدراسة في القرآن من حيث المبادئ والأسس والوظائف، والاختلاف يكمن في المنهج والغاية من حيث أن القرآن لم يفرد بابا خاصا لأي موضوع من المواضيع ومن بينها موضوع التنظيم، والذي يبرز في كل السور مرتبطا بالإيمان والتقوى والأخلاق والقيم، فالإدارة الإسلامية منطلقة من مبدأ الايمان بوجود خالق ورقيب يحاسب، ووجود آخرة وحساب بعد الموت. كما أجابت على التساؤلات الفرعية التالية: - هناك انفصام بين النظرية والتطبيق وبين التصور والسلوك وبين القناعات والأداء، ومرد هذا إلى عدم تبني المفاهيم الواردة في كتاب الله عز وجل. - سبب نجاح الفكر الغربي في تحقيق التفوق في المجال التنظيمي على الرغم من اعتماده على مصادر وضعية " لا يعود إلى قدرتهم الذاتية ولا يعود بداهة إلى صواب منهجهم الفكري، بل يعود إلى الوهن النفسي الذي أصاب أصحاب الأديان" كما يعود إلى شيوع كثير من مبادئ الإسلام في النظام الحضاري الغربية في الآونة الأخيرة، كالديمقراطية، والشورى، والعدل، واحترام حقوق الإنسان، والأخذ بالعلم وإعمال العقل، وتداول السلطة، ومحاسبة أي مسؤول ولو كان على رأس الدولة، واحترام الوقت والمواعيد، والوفاء بالعهد، والاتقان في العمل، وإعداد القوة بكل مظاهرها للردع.. فذلك كله وغيره يعد من مبادئ الإسلام العظيم، وهي المبادئ التي أهلت المجتمع الغربي لأن يتملك زمام الحضارة في الحصر الحديث.

مقارنة الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة: (الثانية)

- تتفق الدراستين في اعتبار أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأهم للباحث المسلم في نظرته للكون بأسره، وفي الفطرة الإنسانية والاجتماعية، وفي قضايا الفرد والمجتمع والعلاقات الاجتماعية وكذا النظم. إذ أن للقرآن غرضا اجتماعيا مقصودا ومنهجا للاجتماع البشري فهو دين الحياة.

- غير أنهما تختلفان من حيث الموضوع المستنبط من القرآن الكريم، فالدراسة السابقة هدفت إلى التطرق إلى مبادئ التنظيم في القرآن ككل وضرورة العمل بها، بينما الدراسة الحالية تهدف إلى التركيز على استنباط الأبعاد الاجتماعية من سورة النساء.

الدراسة الثالثة: الدين من خلال القرآن الكريم وتطبيقاته الاجتماعية[1]

1- الهدف من الدراسة السابقة: تهدف إلى محاولة فهم ظاهرة التدين من خلال ما جاء في النصوص والآيات القرآنية، فلقد تنوعت الرؤى والنظريات حول الدين، فمنها الفلسفية والتاريخية، ومنها النفسية والاجتماعية، ومنها السياسية والاقتصادية، فالهدف هو عرض هذه الرؤى والنظريات على النصوص القرآنية قصد الاستفادة منها، وتمحيصها والمساهمة في الفكر الإنساني بما يمكن أن يهدي إليه القرآن الكريم من توجيهات حول موضوع التطبيقات الاجتماعية للدين.- كما هدفت إلى محاولة ايجاد قناة وصل بين القرآن والعلوم الإنسانية ليستفيد من الوحي المعصوم، ويستفيد العقل المسلم مما توصلت إليه البحوث الإنسانية، وكيف بنا نحن المسلمون القبول بما استجد من نتائج في مجال العلوم التجريبية الكونية، ومفاخرة العالم بأن القرآن قد أشار وهدى إلى هذه النتائج، وأن العيب كان في عقل المسلم والإنسان المعاصر عموما، كيف لنا أن نقبل بذلك مع العلوم الكونية، ولا نقبله مع نتائج العلوم الإنسانية، مع العلم أن نتائج العلوم الكونية شبه يقينية، أما نتائج العلوم الاجتماعية فنسبية ومتغيرة في معظمها، وهي قابلة للنقض والمراجعة دائما، وهو ما يجعل العقل المسلم في حرية من الأخذ بها أو ردها. ولقد كان الأجدر، بنا يقول الباحث أن نعمل على التواصل مع الفكر الإنساني حتى لا نأسر القرآن ونسجنه في دوائرنا العقلية والجغرافية المحدودة، وبذلك نستطيع أن نخرج على العالم بما يكون سبيلا لخيرنا، وخير الناس أجمعين.

- وهدفت أيضا أي الدراسة السابقة إلى استخراج رؤية حول التطبيقات الاجتماعية للدين، رؤية لا تأسر نفسها فيما أبانته موسوعات التفسير القديمة، ولا تبقى منبهرة فيما استجد من نتائج في مجال العلوم الإنسانية الحديثة، إنها رؤية تهدف إلى المزج أولا، ثم إلى البحث ثانيا عن ملاحظات ونظرات حول الموضوع. - كما هدفت إلى تبيين العلامات والمؤشرات الدالة على سلامة التطبيقات الاجتماعية للأخذ بهذه العلامات والتمسك بها، وتحديد المؤشرات السلبية التي تفسد التدين وتحول الدين إلى أداة للتحطيم والفساد بدل أن يكون أداة للصلاح والنجاة في الدنيا والآخرة.

[1]- بشير عثمان، الدين من خلال القرآن الكريم وتطبيقاته الاجتماعية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم تخصص: الكتاب والسنة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، كلية العلوم الإسلامية، (غير منشورة)، 2015/ 2016.

2- المنهج المعتمد في الدراسة السابقة: اعتمد الباحث على منهجين: وهما المنهج الاستقرائي والاستنباطي، فبعد استقراء النصوص القرآنية التي تحدثت عن الدين سواء بلفظه، أو بمعانيه ودلالاته، يتم تقسيمها بحسب الموضوعات الجزئية التي يكثر التركيز عليها في القرآن، وهذا التقسيم لا يأتي عبثا بل يقوم على ملاحظة العلاقات الموجودة بين هذه العناصر. ثم إن العملية تستمر اعتمادا على المنهج الاستنباطي الذي يقوم على التحليل أولا ثم استخراج النتائج والملاحظات المهمة من النصوص وهذا التحليل يعتمد على تتبع ما جاء في الموسوعات التفسيرية من تفسيرات وتأويلات، مع الأخذ بعين الاعتبار المدارس التفسيرية بمناهجها ومبادئها، حتى لا يتم الخلط بين الرؤى والتأويلات، وهذا التحليل لا يتوقف عند التفسيرات والتأويلات بل يتعداها إلى ما جاء عند المفسرين المحدثين والمعاصرين من آراء وتأويلات ثم يسير إلى المقارنة مع ما توصلت إليه العلوم الإنسانية، ليس بهدف خلق صراع وإقصاء، بل بهدف خلق تواصل واتساق، وبهدف صوغ نتائج وأفكار جديدة حول الموضوع، وبعد التحليل يتم العودة إلى التجميع والبناء من جديد، بهدف ملاحظة الأنساق الرابطة بين عناصر الموضوعات الجزئية، ليتم الربط في النهاية بين عناصر الموضوع كلها، وصولا إلى المبتغى، وهو الوصول إلى تصور أو رؤية قرآنية حول الدين وتطبيقاته الاجتماعية، يكون القرآن ملهما، والفكر الإنساني سائلا وباحثا ومنسقا وجامعا ومشكلا لمسألة الدين من الوجهة الاجتماعية في صورة واضحة.

3- نتائج الدراسة السابقة: عرض الباحث في الخاتمة استنتاجات تمثلت في: أن القرآن الكريم لا يتحدث عن الدين المطلق المثالي، وإنما يتحدث كذلك عن الدين في الواقع وفي المجتمع فتطلب ذلك تحديد مفهوم الدين ومفهوم التطبيقات الاجتماعية والبحث عن الجانب المثالي والواقعي في الدين ثم الوصول إلى دراسة المؤشرات السلبية والايجابية للتطبيقات الاجتماعية للدين.

بعد عرضه لبعض المصطلحات المتداخلة مع الدين، بين أن مصطلح الملة يظهر الجانب الاجتماعي للدين، حيث يضاف إلى النبي وإلى حملة الشرائع، لا إلى الأفراد المنتمين لتلك الشرائع.. فالملة ترتبط بالجماعة والمجتمع وترتبط بالدين ليس في مظهره القانوني فقط، بل في مظهره الاجتماعي.

ويتجلى البعد الاجتماعي للدين في مصطلح الأمة، فحسب التصور القرآني يركز على عنصر الدين حيث استطاع الإسلام الجمع بين شعوب مختلفة في العرق واللغة والرقعة الترابية في أمة واحدة هي الأمة الإسلامية.

كما بين من خلال بحثه أن القرآن الكريم أفاض في الحديث عن المجتمعات البشرية، ونبه إلى القوانين والسنن العامة التي تحكم هذه المجتمعات، ونبه إلى الوقائع والجزئيات، فهناك علاقة وترابط بين القوانين العامة وتجلياتها الواقعية في الكون والمجتمع.

كما بين أن التأثر بالفكر الغربي كان له دور في تأخر الدراسات الاجتماعية في العالم الإسلامي بسبب الخلفية الفكرية الغربية لعلماء الاجتماع المعاصرين، العرب منهم أو المسلمين وهذا ما أدى إلى فصل العلوم الاجتماعية عن الدين.

وضح الجانب المثالي للدين من خلال النظر إلى الدين سننيا، ذلك أن القرآن الكريم يعرض الدين بشكلين: الشكل التشريعي، والشكل السنني، والدين ليس تشريعا فقط بل فطرة لا يمكن اكتسابها اجتماعيا، ولا يمكن انتزاعها من الإنسان. أما البعد الواقعي فقد عاد إلى الآيات القرآنية التي أشارت إلى الكسب البشري في فهم الدين، من خلال ما جاء من إضافة الدين إلى البشر، فالدين منهج للحياة يتم تحقيقه بالجهد البشري، ولا يمكن له أن يعمل في حياة الناس بطريقة سحرية غامضة، والعقل الإنساني حاول فهم التدين فهناك من يرى أن الدين منتج اجتماعي تصنعه المجتمعات لمواجهة ظروف معينة، ولكن الحقيقة القرآنية تؤكد على أن الدين من عند الله، مع ملاحظة أن الدين يتفاعل مع الأوضاع البشرية.

مقارنة الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة: (الثالثة)

– تتفق الدراستين في عرض الرؤى والأفكار الاجتماعية على النصوص القرآنية، من أجل إيجاد قناة وصل بين القرآن الكريم والعلوم الإنسانية، وأن جذور هذه الأفكار موجودة في القرآن الكريم وأن عجز العقل الإنساني عن إدراكها تسبب في سبق الغرب لذلك.

– غير أنهما تختلفان من حيث أن الدراسة السابقة ركزت على ظاهرة التدين وتطبيقاتها الاجتماعية في القرآن الكريم عموما، في حين الدراسة الحالية تهدف إلى التركيز على استنباط الأبعاد الاجتماعية من سورة النساء.

تاسعا: هيكل الدراسة

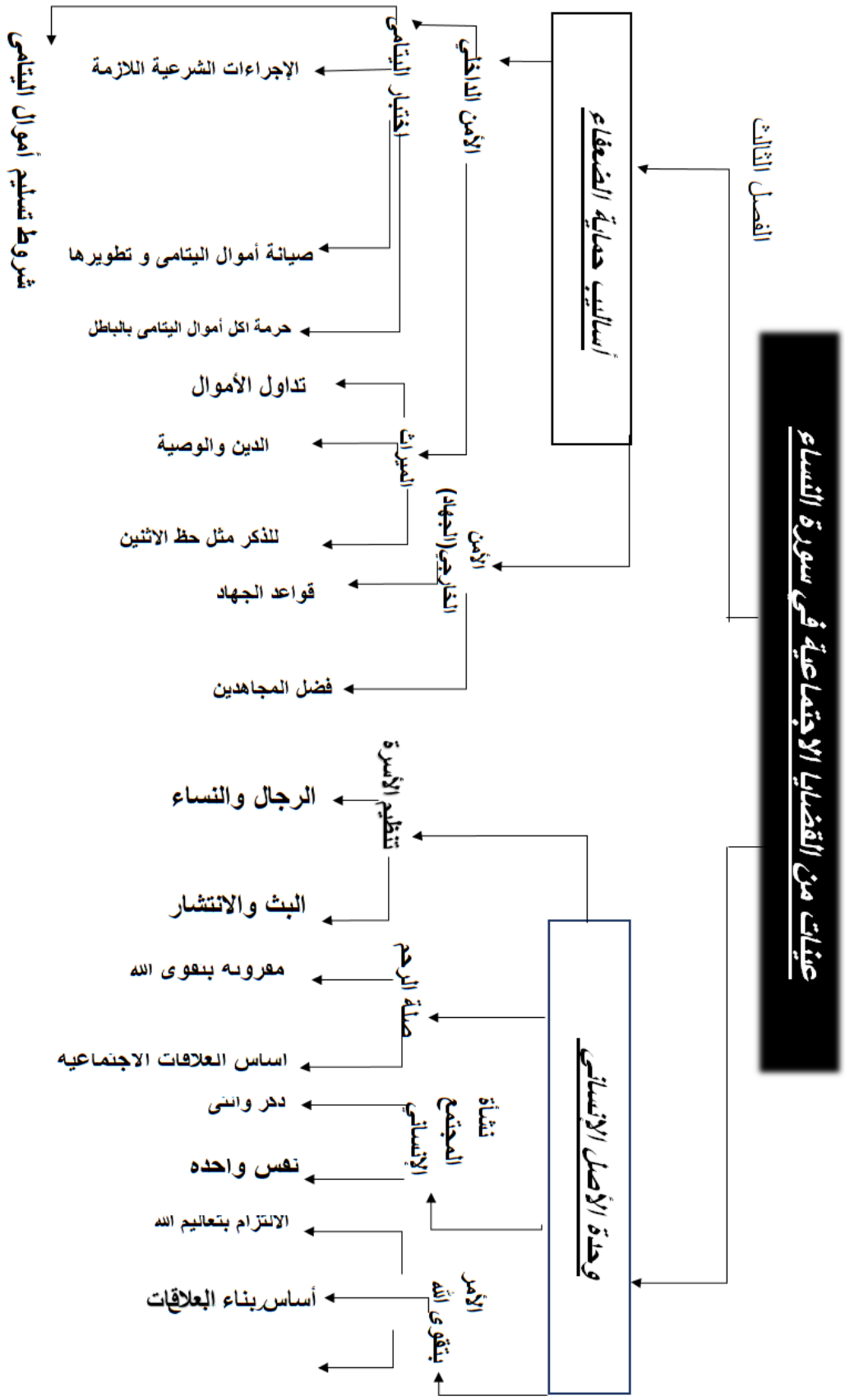

الشكل رقم: 01 عينات من القضايا الاجتماعية في سورة النساء

الفصل الثاني:
الإنسان والمجتمع في القرآن الكريم

المبحث الأول: الإنسان في القرآن الكريم

المطلب الأول: خلق الإنسان

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان

المطلب الثالث: خصائص الإنسان

المطلب الرابع: مكونات الإنسان

المبحث الثاني: المجتمع في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم المجتمع

المطلب الثاني: نشأة المجتمع

المطلب الثالث: طبيعة المجتمع ووظيفته

المطلب الرابع: مكونات المجتمع

المبحث الأول: الإنسان في القرآن الكريم

ينطلق القرآن في عرضه حول الإنسان من تقديم معارف وجودية جوهرية (أصله، قدراته، نوازعه، مهماته) وأشكال التنظيمات الأساسية التي ينتمي اليها مثل الاسرة، القبيلة، الامة والعمليات الأساسية: اجتماعية، تربوية، اقتصادية، سياسية، مع رسم العلاقة بينهما وفق النموذج العقدي القيمي الذي جسده الأنبياء تحقيقا لمهمة الاستخلاف فوق الأرض.

ولذا فإن الثنائيات القيمة الموجودة في القرآن لا تقتصر على تصنيف المؤمن والكافر ولكن أداة منهجية لوصف وتصنيف أفعال الإنسان وفق معايير أخلاقية ووظيفية مثل: الطيبة والخبث، المعروف والمنكر، الجد والكسل... كما انها وسيلة لرسم نماذج سلوكية تساعد على تشييد الأمة، خلافا لعلم الاجتماع الذي لا يستطيع الوصول إلى الحقيقة الوجودية للإنسان ويكتفي من خلال رواده ومن تبعهم بتقديم تصورا جزئيا عن طبيعته ويعرض طروحات نابعة من الفلسفة الاجتماعية أو الأيديولوجية من حصيلة الملاحظات، فإن القرآن الكريم يقدم نظرة شاملة عن الإنسان، ويذكر أهم خصائصه الروحية والنفسية والاجتماعية ويسوق مجموعة من المعلومات يراها ضرورية لإنجاح مشروعه الذي يرتكز على بناء الشخصية الفرد وضبط العلاقات بين الناس. تكتسي تلك المعلومات أهمية بالغة بحكم أن مؤلف القرآن (الله تعالى) صانع الإنسان ويعلم خباياه التي قد لا تظهر كاملة عندما ترصدها العلوم الاجتماعية من خلال أدواتها المنهاجية، فضلا عن إدراك سر خلق الإنسان ومهمته فوق الأرض كما تتضح في عدة آيات: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[1]، للدلالة على معرفة كنه الإنسان ومشاعره المضمرة وكذا قوله عز وجل: ﴿وهو أقرب إليه من حبل الوريد﴾[2] للدلالة على قربه من الإنسان ومراقبة أفعاله عكس تصور بعض الطوائف المسيحية وأهل ديانات أخرى التي ترى أن الله خلق الكون والإنسان ثم تعب وانسحب عن تدبير شؤون البشر مبررين بذلك لجوئهم إلى وسائط أثناء عباداتهم، وقوله عز وجل: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[3]

---

[1]– سورة الملك: الآية رقم 14

[2]– سورة ق: الآية رقم 16

[3]– سورة البقرة: الآية رقم 137

للدلالة على قدرته على صياغة الإنسان في أبعاده الفيزيولوجية والروحية والنفسية. [1]

إن حديثنا عن الإنسان وأصله يحتم علينا التعرض إلى مسألة الخلق وهي مسألة دقيقة يصعب على المرء فهمها أو تفسيرها بالاعتماد على كفاياته العقلية وحدها، وما ذلك إلا "لأن وسع الخلق لا يحتمل درك التكوين كما لا يبلغه فهم البشر، كما يقول **الماتردي** يقول الله تعالى: ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ [2]

فالإنسان لم يشهد حادثة الخلق الأول حتى يستطيع أن يصفها أو يفسر حدوثها أو حتى يتكلم فيها بعلم، ولهذا فكل ما قدمه علماء الغرب عن الخلق الأول لم يكن سوى تخمينات أو احتمالات لا ترقى إلى مستوى اليقين، ولم يبقى أمامنا سوى الوحي مصدرا للعلم اليقين وسنكتفي بعرض الحقائق المستخرجة من القرآن والسنة في مسألة الخلق

أ- إن الله عز وجل قد خلق كل شيء فهو الخالق البارئ المصور

ب-إن خلق العالمين قد تم في ستة أيام، وهذا هو الخلق الأول أو النشأة الاولى.

ج-إن هناك تجديد واستمرار لهذا الخلق الأول.

د-إن هناك خلقا ثانيا أو نشأة أخرى، وذلك بعد فناء هذا العالم، عالم الدنيا.

هـ-إن فعل الله وتأثيره في العالمين ليس وقفا على الخلق في هذه الأشكال المعروفة لنا، بل يشمل عناية الله الدائمة بالعالمين.

و-إن الخلق يتم بفعل الأمر الإلاهي **كن** فهو ليس عملية، وإنما فعل فجائي لا يحتاج إلى ترتيب ولا إلى أسباب أو مسببات.

---

[1]- رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القرآن مقاربة سوسيومعرفية، مخبر علم اجتماع الاتصال، 2009، ص170-171.

[2]- سورة الكهف: الآية رقم 51.

وهكذا فإن الإنسان ليس أزليا، فهو مخلوق مثل سائر مخلوقات الله، أوجده الله بعد أن لم يكن شيئا، يقول الله عز وجل: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾ [1]. وقال أيضا: ﴿أولا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ [2][3]

فكلمة الإنسان لغة من أنس، وفعله أنس أي اطمأن باله وفرح، فالإنسان إذا مصدر للارتياح والفرح، حتى أنه ليأنس ويطمئن بلقاء بني جنسه.

لذلك سمي إنسانا لأنه يستوحش من الانفراد والوحدة ويأبها طبعه أشد الإباء...فمن رحمة الله بالإنسان أنه أليف مألوف لا تكتمل سعادته ولا يصفو عيشه بغير الانس والتآلف والاجتماع والتساكن، ومن هنا كان تكوين الاجتماع أمر حتمي لازم، ولكن طبيعة الاجتماعات تختلف وفق رؤية الإنسان الكلية للحياة. [4]

فمن هو هذا الإنسان؟ وكيف خلق؟ ومم خلق؟ ولماذا خلق؟

المطلب الأول: خلق الإنسان

لحكمة لا يعلمها إلا الخالق المبدع القدير، لم يخلق آدم أبا البشر من نور ولا من نار، ولم يخلقه من صخر صلد ولا من معدن نفيس أو من حجر كريم، بل خلقه من مما هو أدنى من هذا وذاك، خلقه من تراب وطين، قال تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ [5] وقال أيضا: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [6]، وقال تعالى في: ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾ [7][8]

---

[1]– سورة الإنسان: الآية رقم 1

[2]– سورة مريم: الآية رقم 67.

[3]– مراد زعيمي، علم الاجتماع رؤية نقدية، مخبر علم اجتماع الاتصال، 2004، ص98–99.

[4]– زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم، مكتبة روائع مجدلاوي، الخرطوم 1999، ص133.

[5]– سورة السجدة: الآية رقم 6

[6]– سورة الصافات: الآية رقم 11

[7]– سورة الرحمان: الآية رقم 12.

[8]– محمد بهائي سليم، القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص13–14.

ويعتبر الماء والتراب هما العنصران الماديان الأساسيان في تكوين الإنسان ﴿خلق الإنسان من طين﴾ والطين لا يكون إلا باشتراك الماء والتراب، إلا أن هذين العنصرين الماديين ليسا كل شيء في الإنسان بل هناك عناصر أخرى تدخل في تكوين الإنسان. [1]

ثم يقول الله عز وجل: ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾[2] وفي هذه النطفة أوجد العلي القدير أبسط صور الحياة وهو الحيوان المنوي الوحيد الخلية الذي يندمج في بويضة الأنثى فيكونان العلقة: ﴿خلق الإنسان من علق﴾[3]، ويبين الخالق سبحانه وتعالى، فيمحكم تنزيله كيف يتدرج الخالق في تخليق هذه العلقة شيئا فشيئا حتى يتمها إنسانا كامل الخلقة: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾[4]

وهذا ما توصل إليه العلم الحديث بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا من نزول القرآن يقول **ألكسيس كاريل** في كتابه الإنسان ذلك المجهول: " وتأتي فرديتنا كما نعلم إلى الوجود حينما يدخل الحيوان المنوي في البويضة، ولكن عناصر الذات تكون موجودة قبل هذه اللحظة ومبعثرة في أنسجة أبوينا وأجدادنا وأسلافنا البعيدين جدا، لأننا مصنوعون من مواد آبائنا وأمهاتنا الخلوية. [5]

فالنطفة هي السائل المنوي الذي ينزل من صلب الرجل إلى رحم المرأة ثم يندفع من الرحم خلال دهليز ضيق في نهايته مبيض المرأة الذي يفرز بويضات حية يتكون كل منها من خلية واحدة فيلتصق واحد من الحيوانات المنوية بإحدى هذه البويضات ويندمج فيها فيتم ما يسمى باللقاح ثم تعود هذه البويضة إلى الرحم وهي تنمو مكونة ما يسمى بالعقلة التي

---

[1]– مراد زعيمي، علم الاجتماع رؤية نقدية، ص101.

[2]– سورة القيامة: الآية رقم 36

[3]– سورة العلق: الآية رقم 2

[4]– سورة المؤمنون: الآية رقم 12-14.

[5]– ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، الدار القومية للطباعة والنشر، ترجمة عادل شفيق، 1939، ص203.

تلتصق بجدار الرحم وتمتص منه الغذاء...ثم تكبر شيئا فشيئا وتتكون ملامح الجنين حتى إذا استكمل نموه خرج إلى نور الدنيا بشرا سويا. ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾. [1]

وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تحدثت عن تكوين الإنسان بيولوجيا نذكر منها أيضا قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ [2] إذ تشير هذه الآية إلى أن النطفة المكونة للجنين أخلاط، باعتبار كونها خليطا مما تحمل في ذاتها من الوراثات الكامنة. ومعلوم أن الخلية المنوية ذكرية كانت أم أنثوية لا تتكون إلا من نصف ما تحمله سائر خلايا الجسم أي من 24 حاملا وراثيا(كروموزوم) بدل 48 ولا تتألف الخلية الكاملة بعدد حواملها 48 إلا بالتقاء النطفتين في القرار المكين(الرحم).

إن وحدات الوراثة هذه تحمل الصفات المميزة لجنس الإنسان أولا وصفات الجنين العائلية ثانيا، ومن هنا يمكن أن نقول: إن الإنسان اجتماعي بطبعه من حيث كونه مؤلفا بيولوجيا من مكونات قد ورثها من والديه، وأجداده أقارب كانوا أو أباعد. [3]

إن خلق الإنسان بهذه الصورة وهذه الدقة وهذا الإعجاز الرباني، وهذا التكريم والتشريف وجعله أرقى المخلوقات التي تعيش على الأرض، ليس لمجرد الخلق ولكن ليقوم بمهمة ووظيفة سامية أوجده الله لأدائها وهي أمانة الاستخلاف وعمارة الأرض.

المطلب الثاني: طبيعة الإنسان:

النصوص القرآنية المستعرضة تبين لنا ان الإنسان مزيج من المادة والروح ...المادة ممثلة في الطين الذي أعطى للإنسان شكله المادي، والروح ممثلة في روح الله سبحانه وتعالى التي نفخها في ذلك الشكل فصيرته بشرا سويا يستحق أن يسجد له الملائكة: ﴿إذ قال ربك أنى خالق بشرا من طين. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [4]

---

[1]– محمد بهائي سليم، مرجع سابق ص 14–15.

[2]– سورة الإنسان: الآية رقم 2

[3]– محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، 1986، ص156–157.

[4]– سورة ص: الآية رقم 71–72

و ﴿وإذ قال ربك للملائكة أنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [1]

وقصة آدم كما رواها القرآن الكريم توضح لنا عظمة الخالق عندما جعل الإنسان مزيجا من المادة (الطين) بضعفها وغرائزها وماديتها، والروح (روح الله) بسموها وخلودها وعظمتها، ومن هنا كان الصراع محتما بين الخير والشر في نفس ذلك الإنسان تحقيقا لوعيد إبليس: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم الصالحين﴾ [2]. والإسلام لم يتجاهل الطبيعة البشرية بتركيبتها –المادة والروح– التي تشكل النفس البشرية ووضع للإنسان من خلال الشريعة الإسلامية منهجا يلبي حاجات تلك الطبيعة ﴿وابتغي فيما أتاك الله الدار الآخرة. ولا تنسى نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغي الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾ [3][4].

إن الطبيعة الثنائية للإنسان وجدلية الصراع الابدي بين قوى الخير والإصلاح والعدل التي تسعى إلى ترسيخ الأواصر الاجتماعية مقابل قوى الشر والفساد والظلم، التي تهدف إلى قطع (إفساد أو إخضاع) الأواصر الاجتماعية يكونان الخلفية التي يضطلع من خلالها الإنسان مهمته فوق الأرض.

لقد انتبه بعض المفسرين والعلماء إلى أن القرآن أفاض في ذكر بعض الصفات السلبية وقدم بعض التوجيهات قصد تجنبها (أو التقليص من آثارها) لأنها قد تؤدي إلى إبطال العبادات، وإفساد العلاقات الاجتماعية وتحط من قيمة الإنسان، كما ذكره الله تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل السافلين﴾[5] مما يدل على التفاوت والتباين الكبيرين في سلم الأفعال الخيرية وإن قدرة الإنسان على فعل الشر كبيرة إن لم تضبط:

---

[1]– سورة الحجر: الآية رقم 28–29.

[2]– سورة ص: الآية رقم 82–83.

[3]– سورة القصص: الآية رقم 77.

[4]– صلاح مصطفى الفوال، التصوير القرآني للمجتمع الأنساق والنظم الاجتماعية، الجزء الأول، دار الفكر العربي، 1985، ص62–63.

[5]– سورة التين: الآية رقم 3–4

﴿ومكروا مكرا كبارا﴾[1] أو قوله تعالى: ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾[2].

كما ان الإنسان يميل إلى جحود نعمة الله وذلك الموقف يقوده إلى التكبر والتطاول على الخلق والطغيان ثم الفساد، مثل ما ورد في قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد﴾ [3] وقوله: ﴿كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾ [4].

ويظهر الإنسان جحوده من خلال تكرار طرح تساؤلات كتلك المتعلقة بالحياة بعد الموت إذ يتغلب فيها دافع العناد على الشعور بالحيرة أمام المجهول، كما يتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾[5]، تلك الخصائص تمثل مداخل مفضلة للشيطان في سعيه للسيطرة على الإنسان روحيا ونفسيا وأخلاقيا والتصدي للقانون الأخلاقي كما بين ذلك القرآن (تحذيرا وتوجيها للإنسان): ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾[6]، أو ذكره تعالى: ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾[7].[8]

وهذه الوسوسة الشيطانية تبين ما يعتري الإنسان من خوف وضعف، يقول الله عز وجل: ﴿خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [9]، إن هذه الآية تشير إلى الضعف الجسماني الذي يلازم الإنسان، فيبدأ معه منذ تكون الخلية الدقيقة التي ينشأ عنها الجنين، ويصاحبه في أطوار النمو كلها حتى الولادة، ثم يرافقه

---

[1]– سورة نوح: الآية رقم 22

[2]– سورة إبراهيم: الآية رقم 48

[3]– سورة العاديات: الآية رقم 6–8

[4]– سورة العلق: الآية رقم 6–7

[5]– سورة مريم: الآية رقم 66–67

[6]– سورة ق: الآية رقم 16

[7]– سورة سبأ: الآية رقم 20

[8]– رشيد ميموني، مرجع سابق ص172–173.

[9]– سورة الروم: الآية رقم 54

في الطفولة إلى بلوغ الأشد، ثم يظهر من جديد في الشيخوخة عندما يرتد طفلا بمقتضى ما يحدثه أرذل العمر من تأثيرات سلبية.

إن هذا الواقع الذي يتخلف يؤكد حاجة الإنسان إلى الغير، إلى السند وإلى المجتمع، فالأسرة باعتبارها الهيئة الاجتماعية الصغيرة تزوده بالقوة، وتحميه وتوفر له كل الوسائل الوقائية الممكنة، ولولاها لما تمكن من المحافظة على بقائه، ولولاها لما استطاع أن يبلغ مرحلة(الأشد) ثم عندما ينقلب إلى الضعف من بعد قوة، يحتاج إلى العناية مرة أخرى من الأبناء والأحفاد ...وما تأكيد القرآن على العناية بالأطفال وخاصة اليتامى إلا إقرار بحاجة الذرية الضعاف إلى حماية الكبار، وما اعتباره العناية بالوالدين من أول الواجبات إلا إعلان عن حاجتهم الضرورية إلى التعهد والرعاية.

ويظهر هذا الضعف في تعلقه الشديد بما يرضي ميوله، ويشبع رغائبه لما فيه من غريزة الجمع أو التملك أو الاقتناء...إن غريزة التملك هي التي أوجدت فيه المقدرة على الحصول على الرزق، وهي التي كونت فيه القوة التي تدفعه إلى إنزال الضرر بسواه حتى تضمن لنفسها الحماية المطلوبة وهي التي حركته إلى أن يبحث عن وسائل أمنية من قوانين وتشاريع تقي ما يمتلك وتمنع الاعتداء عليه. [1]

هذا فيما يخص الضعف الجسماني أما الضعف النفسي فيتجلى في تغير المزاج وتقلب في السلوك عند تبدل أحوال معيشة الإنسان أو تحت تأثير محيطه، فقد يميل إلى التكبر والظلم أو ينتابه الخوف أو يبخل أو يتبع الهوى أو يستعجل الأمر، أو يصاب بالقنوط أو يغمره الامل المفرط...لقد ركز القرآن كثيرا على تلك الحقائق على خلاف العلوم الاجتماعية بحكم الحدود الموضعية لأدواتها المنهجية لم تصل إلى عمق تلك الخصائص، والمشاعر أو إلى وصف تقلب مزاج الإنسان حسب وضعيته ومستوى رزقه، ودرجة سعادته مثل ما فعله القرآن: ﴿فأما الإنسان إذا ما بتلاه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحظون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا

[1]– محمد التومي، مرجع سابق، ص158–159.

[2]– سورة الفجر: الآية رقم 15–22

إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾[1]، لا تكمن أهمية الآيات العديدة في الوصف الدقيق لأغوار نفسية الإنسان فقط، ولكنها تسمح أيضا بحكم المعلومات الثمينة المقدمة بوصف علاجا مميزا انطلاقا من مواطن ضعف الإنسان.

والهلع بفتح الهاء واللام هي أشد الجزع، والهلوع بفتح الهاء يفزع ويجزع من الشر فلا يصبر على الشدائد والأزمات ثم هو في حالات الرخاء شحيح يحرص على المال جمعا وكنزا حتى على نفسه وذويه...ولقد وصف القرآن (بعض الناس) بهذه الصفة الذميمة وقد فسرها القرآن في الآية ذاتها إذ ذكر لها معنيين متفاعلين على الرغم من أنها على طرفي تطرفين ذميمين –هما الجزع عند مواجهة الشدائد –والمنع في حالة الرخاء فالإنسان الهلوع – هو جزوع متهافت يتلاشى أمام الصعاب وهو نفسه منوع بخيل شحيح إذا ناله الخير. [2]

وتظهر جليا مقدمات العلاج في الآيات نفسها، فإذا أخذنا كعينة الآيات السابقة من سورة الفجر نشاهد الارتباط الموجود بين الضائقة في الرزق وتراجع النعم المبسوطة بسبب أفعال الإنسان نفسه كإهانة المستضعفين وعدم تلبية حاجياتهم، والغش في المعاملات، والحب المفرط للمال...أما بخصوص الطبيعة الهلوعة للإنسان وخوفه أثناء الشدائد مقابل تجبره عند سعة الرزق، فيعالجها القرآن بالحث على المواظبة على الصلاة والإنفاق، إذن فإن تلك الميولات والسلوكيات السيئة تجد علاجها من خلال بعض العبادات (ومنها المالية). [3]

وقد نتج عن طبيعة هذا التركيب العجيب غرائز وصفات يرجع بعضها إلى الطبيعة الروحية. ويرجع البعض الآخر إلى الطبيعة المادية، ويرجع بعضها الثالث إلى خاصية هذا التركيب، ومن ثم فإننا نجد هنا صفات أكثر من حجم التركيب بكثير وليس هذا بغريب من الناحية الواقعية في ميدان التركيب الطبيعي إذ إننا نجد في هذا الميدان أن الكل ليس مجرد مجموع أجزائه، بل قد تكون هناك صفة أو صفات زائدة تنشأ عن تركيب أجزاء معينة، فالماء مثلا يتركب من الايدروجين والأوكسجين وبالرغم من ذلك فهو في شكله وخصائصه

---

[1]– سورة المعارج: الآية رقم 19–23

[2]– عبد الحميد محمد الهاشمي، لمحات نفسية في القرآن الكريم، دعوة الحق سلسلة شهرية، السنة الثانية، 1402، العدد11، ص 96–97.

[3]– رشيد ميموني، مرجع سابق، ص173–174.

العامة مختلف عن مجموع خصائص هاتين المادتين ولو حللناه إلى مادتين يفقد الماء طبيعته ولا يبقى هناك ماء، وكذلك الطبيعة الإنسانية فإنها متركبة من المادة والروح معا، ولهذا نجد فيها دوافع فطرية بعضها مادية حسية وبعضها روحية معنوية، وبعضها مختلفة عن هذه وتلك، وهي خاصة بالإنسان ناتجة عن ذلك التركيب الخاص وبها يمتاز الإنسان عن الكائنات الحية الروحية الصرفة وعن الكائنات الحية المادية الفسيولوجية، وبهذا التركيب العجيب في الطبيعة الإنسانية يتحقق التنسيق بين القوى المادية والروحية في طبيعة الإنسان وبين النظام الروحي والمادي في حياته .[1]

المطلب الثالث: خصائص الإنسان

ان الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن صورة، وجعله خلقا سويا مستقلا عن كل الخلائق وليس منحدرا من أصل حيواني كما يزعم بعض العلماء، وميزه عن باقي خلقه بما يلي:

1-خلق في أحسن صورة

قال الله تعالى: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [2]، ويقول أيضا: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ [3] إن الإنسان خلقه الله تعالى في أحسن صورة وأحسن تقويم، وهو أمر لا يماري فيه أحد ولا يختلف عليه اثنان، فالإنسان من بين الكائنات الحية، المشهودة على الأقل يمتاز ببنية جسدية متكاملة ومتناسقة تعطيه القدرة على التفاعل مع البيئة بكفاءة عالية تفوق كل المخلوقات الأخرى. [4].

فالتكوين الإنساني في أجهزته الظاهرية والداخلية يمثل كمال الصنعة ودقة الإحكام في تناسق الوظائف وتوازن الأجهزة والأعضاء، ويؤكد الله هذه الحقيقة التكوينية حين يقرنها مع خلق السماوات وما فيها من نجوم وكواكب هي زينة الناظرين دقة وإحكاما ومع خلق الأرض

---

[1]- مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتاب الرياض، الطبعة الثالثة 2002، ص265-266.

[2]- سورة غافر: الآية رقم 64

[3]- سورة التين: الآية رقم 4

[4]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص102

التي فيها آيات الدقة نظاما وتقويما وذلك كله حق وكمال وإليكم قوله تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض بالحق، وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾. [1][2]

2-الفطرة

قال الله تعالى: ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ [3]. الإنسان وهبه الله فطرة أي طبيعة مميزة راسخة رغم تغير مواقع تواجده والبيئات الجغرافية والدينية والاجتماعية والحضارية والاقتصادية، وإن أهم ما يميزها صبغتها الثنائية: روحية سامية إذ نفخ الله فيه من روحه من جهة، وحيوانية وغريزية من جهة أخرى إذ يتحتم عليه أن يتوصل إلى تحقيق توازن هش بينهما قصد تلبية حاجياته المزدوجة وفق معيار أخلاقي يساير فطرة الإنسان ليتسنى له إشباع النزعتين دون إحداث صدام بين مقتضياتها. [4]

إن الإنسان في أصل فطرته يحمل في أعماقها مبدأ الإيمان بالله ربا -وسيظل كذلك حتى تنحرف تلك الفطرة بعامل إفساد وانحراف، فالله وهو الخالق للناس جميعا قد أخذ منهم ميثاقا وهم في عالم الذر ذرية وسألهم: الست بربكم؟ فاعترفوا له بالربوبية والعبودية والوحدانية.

و العلم الحديث للسلالات الوراثية يؤكد أن خلايا الوراثة التي تتضمن السجل العان للإنسان قد يتجمع منها مئات آلاف من الملايين من الناس بما لا يزيد عن حجم سنتيمتر مكعب واحد كما أن هذا السؤال الإلاهي لبني آدم من ظهورهم في الإشهاد على الإيمان بالله هو عهد الفطرة المغروزة في كل إنسان مثل فطرته (ميل نحو الأكل) (ميل نحو طلب الأمن) وغيرها من الدوافع الفطرية الإنسانية الأولية ثم تكون الرسل والرسالات لتصحيح الانحراف وبيان التفصيلات والآية تقرر الطبيعة الإيمانية في النفوس الإنسانية السليمة: ﴿و

---

[1]- سورة التغابن: الآية رقم 2

[2]- عبد الحميد محمد الهاشمي، مرجع سابق، ص80.

[3]- سورة الروم: الآية رقم 29

[4]- رشيد ميموني، مرجع سابق، ص172.

إذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالو بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾[1].[2]

3-العلم والمعرفة

قال الله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ [3]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى﴾ [4]

هذه النصوص القرآنية توضح أن الإنسان زوده الله سبحانه وتعالى بوسائل تمكنه من تحصيل المعرفة، وتتمثل تلك الوسائل في حواس ذلك الإنسان من سمع وبصر علاوة على ما يمثله قلب الإنسان كمحتوى غير محسوس للبصيرة أو الهداية والإيمان والعقيدة.

والإنسان يسعى إلى المعرفة من خلال ما زوده الله به من وسائل محسوسة وغير محسوسة ومن خلال هداية الله له ليميز بين الخير والشر، لأن لهذه المعرفة هدفا ...ألا وهو معرفة الله وإفراد الألوهية له والعمل بما شرع.

وعلى الإنسان في سبيل ذلك أن يوظف حواسه المادية والمعنوية حتى يستطيع من خلال هداية الله له أن يعلم ما كان يجهل، إلا أن الإنسان كثيرا ما يكون كفورا بدلا من أن يكون شكورا على الرغم من نعم الله عليه: ﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾ [5]. [6]

فميزة العقل والإدراك والعلم والمعرفة والحواس ...كلها خصائص خص الله سبحانه وتعالى بها الإنسان دون غيره من الخلائق، فإذا أحسن استعمالها واستخدامها مكنته من

---

[1]- سورة الأعراف: الآية رقم 172

[2]- عبد الحميد محمد الهاشمي، مرجع سابق، ص79.

[3]- سورة السجدة: الآية رقم 7-9

[4]- سورة العلق: الآية رقم 1-8.

[5]- سورة النحل: الآية رقم 4.

[6]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص64-65.

تدارك النقص والضعف الذي يعتريه، والوصول إلى معرفة السنن الكونية التي من خلالها يبلغ غايته التي خلق من أجلها وهي معرفة الله سبحانه وتعالى والخضوع له.

4-العمل

قال الله عز وجل: ﴿ولقد أتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبئي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير، ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ [1].

أن الإنسان مهيأ للعمل والإنتاج، العمل الذي يمكنه من استغلال ظواهر ومواد هذا العالم، والإنتاج الذي يمكنه من تطوير وسائل عيشه وتحسين ظروف حياته.

فالله سبحانه وتعالى خلق الأرض بكل خيراتها ونعيمها، ثم خلق الإنسان ليتمتع فيها ويعيش في رفاهية وخير وسعة رزق، ولكن لن يستطيع أن ينال مراده إلا إذا عمل بجد واجتهد وتخلى عن سلبيته، فالعمل عبادة وهو الأساس لعمارة الأرض ولذلك خلق الله تعالى الإنسان.

وكذلك زوده بالقدرة على التكيف مع مختلف الأوساط البيئية فإذا كان الحيوان لا يستطيع العيش إلا في البيئة المناسبة له، فإن الإنسان باستطاعته تحويل بيئته والتكيف مع البيئات الأخرى المختلفة، بالإضافة إلى أن الحيوان يبقى مقيدا بالبيئة الطبيعية المادية، أما الإنسان فإنه بإمكانه ان يتحرر من قيود البيئة الطبيعية المادية ليمارس حياة نفسية روحية لها علاقة بعالم الأفكار والآمال والأحلام والغيب. [2]

5-الحرية

قال الله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ [3].

---

[1]- سورة سبأ: الآية رقم 10-13

[2]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص 102-103(بتصرف)

[3]- سورة البقرة: الآية رقم 257

وقال أيضا: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ [1]

تشير الآيتين الكريمتين أن الإنسان حر الإرادة، وحريته ليست مكسبا يحصل عليه من البيئة الاجتماعية، وإنما هي من فطرته وسلوكه، لا يخضع دائما لقاعدة (مثير– استجابة) ولا يتصرف بطريقة مماثلة لطريقة الحيوان، فهو لا يأكل كلما جاع، ولا يشرب كلما عطش، فقد يتحمل الجوع والعطش ساعات، فهو يتصرف بإرادته أي بطريقة إنسانية.

إن هذه النظرة تؤكد أن للحاجات الفطرية الباطنية أهميتها في تحريك السلوك عند الإنسان كما أن للمثيرات الخارجية أهمية.

فكما أن الجوع يدفع الإنسان إلى الأكل، فإن شم رائحة الطعام الشهي ورؤيته تثير أيضا رغبته إلى الأكل، والفارق بينه وبين الحيوان هو أن الإنسان سواء أكان الأمر يتعلق بدفاع الجوع أم برؤية الطعام، والكيفية التي سيأكل بها...قد يمتنع عن الأكل مالم يصل إلى الجوع القاتل، كما قد يمتنع عن الأكل مهما يكن الطعام مغريا، أما الحيوان فلا يأكل إلا بدافع الجوع.

إن هناك اختلافا جوهريا بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني، يعود أساسا إلى اختلاف الاستعدادات والمكونات الفطرية لكل منهما، فالسلوك الإنساني تعبير عما في الإنسان من قدرة عقلية وطاقة روحية ومشاعر نفسية وطاقة حيوية. [2]

يقول **ألكسيس كاريل:** " إننا مستقلون عن بيئتنا بل إننا نتمتع بقسط أوفر من الاستقلال عما تتمتع به الحيوانات الأخرى، فقد حررنا عقلنا. والإنسان قبل كل شيء هو مخترع الأدوات والأسلحة والآلات...وقد استطاع أن يظهر خصائصه المتميزة بوساطة هذه الاختراعات، وأن يميز نفسه عن جميع الكائنات الحية الأخرى... لقد عبر عن ميوله الباطنية بطريقة منظورة، وذلك بإقامة التماثيل والمعابد والمستشفيات والمعامل...وبهذه الطريقة دمغ الإنسان الأرض بالآثار التي تدل على وجوه نشاطه الأساسية، أو بعبارة أخرى على إحساساته الدينية والأدبية وذكائه وحب استطلاعه العلمي."[3]

---

[1]– سورة الكافرون: الآية رقم 1–3.

[2]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص103–104.

[3]– ألكسيس كاريل، مرجع سابق، ص 56.

6-المسؤولية

الإنسان هو الكائن الحي الذي ينمو متدرجا من قبل ولادته بأشهر ويتابع ذلك النمو العقلي الواعي بعد ولادته سنوات حتى مرحلة الرشد، وهذا النمو الإدراكي الشعوري على الرغم من أنه قد يكون بطيئا إلا أنه قوي وعميق وأصيل، وهذا ما يجعل الإنسان هو الكائن الوحيد المسؤول المكلف الذي عليه أن يلتزم بما يفكر ويمسك ويتعامل.

وأن يتجمل نتائج ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه حقيقة نفسية كبرى في استعداد الإنسان لتحمل المسؤولية ومقدرته في القيام بها لأنه:

أ-إنسان ليس مادة فقط تهبط به نحو الانحدار بل هو نفخة من روح الله تسمو به إلى الحق والخير والفضيلة وتسمو به نحو التوبة إذا ما أصابه ضعف أو وهن ليعود متساميا وطاهرا.

ب-لدى الإنسان فطرة أولية تدفعه للإيمان بالله ومحاسبة نفسه على ما يعمل.

ج-في الإنسان ذكاء مدرك يبين له وجوه الخير والشر بوجه عام وعاطفة شفافة، إذ الخير ما اطمأن له القلب والشر ما حاك في النفس وتردد في الصدر.

د-وفوق كل ما تقدم لم يتركه الله إلى ما وهبه من فطرة سليمة من ذكاء مدرك يميز، بل أرسل له معلمين مرشدين من المرسلين صاحبوا الإنسانية في تاريخها الطويل في سلسلة من الرسل قص القرآن عن بعضهم ولم يقصص عن الآخرين شيئا...فقال عنهم في بيان الحكمة تأطيدا للعدالة الإلهية وتبيانا للمسؤولية الإنسانية: ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ [1][2]

المطلب الرابع: مكونات الإنسان

هذه الوحدة المعقدة التي خلقها الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، إن الإنسان وحدة واحدة لا تتجزأ حيث صعب الفصل بين عناصره المختلفة ولا يمكن فهمه إلا إذا أخذناه على هذا الشكل المتداخل الممتزج. كما أن حقيقة البشرية هي نفسها في أي شعب من الشعوب

[1]- سورة النساء: الآية رقم 165.

[2]- عبد الحميد محمد الهاشمي، مرجع سابق، ص84-85.

أو أي فرد من الأفراد، والتفاوت الذي نشاهده بين فرد وفرد أو جماعة وجماعة إنما يعود إلى ما يقع وراء إمكانات هذه الحقيقة البشرية إلى مدى ما يتحقق من هذه الإمكانات في دائرة تفاعل الإنسان والجماعة.

وكل إنسان له المكونات الأساسية نفسها التي لغيره من الناس، والاختلاف لا يعود إلى الزيادة أو النقص في عدد هذه المكونات وإنما إلى الإفادة من تلك المكونات في التوجيه والممارسة. [1]

أ-الجسم

إن الإنسان جسم وروح خلق أولا ثم نفخ فيه؛ نفخ الله تعالى فيه من روحه فجمع بين عنصرين إثنين، عنصر أرضي مادي، وآخر سماوي إلاهي مقدس، قال الله تعالى: ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ [2][3]

ورد لفظ الجسد في القرآن الكريم في أربعة مواضع في قوله تعالى: ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [4]، وقوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ [5]، وقوله تعالى: ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾ [7].

وورد لفظ الجسم في موضعين، فقال تعالى مشيرا إلى أن بسطة الجسم وصلاحه منة من الله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ [8]، وقال

---

[1]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص106.

[2]- سورة الحجر: الآية رقم 29

[3]- عبد القادر بلي، جسم الإنسان في القرآن الكريم بحث في دلالة الأسماء، مجلة قراءات للبحوث الأدبية والنقدية واللغوية، العدد6، جوان 2016، ص192.

[4]- سورة الأنبياء: الآية رقم 8

[5]- سورة ص: الآية رقم 34

[6]- سورة الأعراف: الآية رقم 148

[7]- سورة طه: الآية رقم 188

[8]- سورة البقرة: الآية رقم 247

سبحانه: ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [1].

ويقصد بالجسم الوعاء الذي يحوي الذات الإنسانية "وبقدر صلاح الوعاء تكون سلامة محتوياته" ولم يقصد بالجسم في الإسلام عضلاته وحواسه ووشائجه فحسب، وإنما يضاف إلى ذلك "الطاقة الحيوية المنبثقة عن الجسم والمتمثلة في مشاعر النفس كطاقة الدوافع الفطرية والنزعات والانفعالات، طاقة الحياة الحسية على أوسع نطاق". [2]

فهو ذو أهمية كبيرة لكل إنسان لأنه يحقق وجوده الحياتي والاجتماعي ويظهر ذلك من خلال أجهزته المختلفة ووظائفها المتنوعة، إن وعي الذات يتمثل في اعتبارها كيانا جسميا يتحيز ويتحرك فالإنسان لا يعرف هويته إلا بجسمه الذي ينبعث منه هذا الشعور بالهوية ويعطيه التفرد الخصوصي. إنه في المقام الأول مساحة جسمية في مكان، وله في مقام آخر هويته المعنوية التي يستمدها أيضا من الجسم بصفات مثل الكرم، البخل، الشجاعة...

يتألف جسم الإنسان من مجموعة من الأعضاء الظاهرة وغير الظاهرة ولكل عضو منها وظيفة خاصة به أو أكثر، وأهم هذه الوظائف الوصول إلى الله تعالى، وما من عضو ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى فمن استعمله فيه فاز، ومن عدل عنه خسر وخاب. [3]

يقول **ألكسيس كاريل** حول هذا الجسم المعجزة: " إن كل أخصائي يعتقد، طبقا لمبدأ الاحتراف المعروف جيدا، أنه يعرف الجسم الإنساني كله، في حين أنه يفهم في الحقيقة جزاء بسيطا فقط منه، فإن النواحي المفردة تعتبر ممثلة للكل، وتعالج هذه النواحي كيفما أتفق طبقا للموضة السائدة، وهذه بدورها تفضي أهمية أكثر على الفرد وعلى المجتمع للشهوات الفيسيولوجية أو لوجوه النشاط الروحي، لنمو العضلات أو لقوة العقل...للجمال أو

---

[1]– سورة المنافقون: الآية رقم 4

[2]– حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص82–83.

[3]– عبد القادر بلي، مرجع سابق، ص193–196.

للفائدة...ومن ثم يبدو الإنسان وله وجوه كثيرة ونحن نختار منها وبإرادتنا ذلك الوجه الذي يروقنا، وننسى الوجوه الأخرى."[1]

إن الإنسان قطرة ماء انتقلت من مرحلة إلى مرحلة ومن طور إلى طور آخر حتى أصبح هذا الخلق البديع المتجانس، الذي يعجز العلماء عن تفسيره وتحليله ومعرفة طريقة تركيبه.

والشخص منا إذا تأمل جسده: تركيبته وتناسق أعضاءه، وكيف أن الله سبحانه وتعالى اختار أن يكون كل عضو على هذا الشكل وفي هذا المكان بالذات حتى يؤدي وظيفته المحددة له، إن هذا التدبر والتأمل في جسده فقط يجعل الإنسان يدرك إدراكا يقينا أن قدرة الله عز وجل التي أوجدته على هذه الهيئة البديعة المعجزة وتظهر له عظمته وقدرته، فيزداد إيمانه بخالقه ويسلم تسليما بأن الله هو الذي أوجد هذا الجسد وأودع فيه روحه.

ب-الروح

إن من أعقد الأمور التي تواجه الباحث في محاولته لمعرفة حقيقة الإنسان والإلمام بجوانبه ومكوناته المختلفة، الروح، وقد كانت منذ أقدم العصور محل بحث ودراسة، ونسجت حولها أفكار وأراء، فيها ما هو قريب من الحقيقة، وفيها ما هو أبعد ما يكون عن الصواب، والإيمان بالروح قديم قدم الإنسان، وقد أثبتت كل الدراسات الاجتماعية والنفسية والأنثروبولوجيا، سواء اعتبرت ذلك الإيمان علامة ضعف عند الإنسان، أو علامة على قدرة الإنسان الإبداعية، أو اعتبرت ذلك من الأساطير أو من الحقائق. [2]

وكلمة الروح جاءت في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الأول: الروح بمعنى الرحمة، قوله تعالى في: ﴿وأيدهم بروح منه﴾[3] أي وقواهم برحمة منه.

---

[1]- ألكسيس كاريل، مرجع سابق، ص40.

[2]- زعيمي مراد، مرجع سابق، ص107.

[3] - سورة المجادلة: الآية رقم 22

الثاني: الروح يعني ملكا من الملائكة في السماء السابعة، قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾ [1] ، يعني بالروح ذلك الملك.

الثالث: الروح يعني جبريل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قل نزله روح القدس﴾[2] وقوله تعالى في سورة البقرة لعيسى عليه السلام: ﴿وأيدناه بروح القدس﴾ يعني جبريل، وقوله تعالى في سورة القدر: ﴿تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾ يعني جبريل.

الرابع: الروح يعني الوحي، قوله تعالى: ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾[3] ، وقال سبحانه وتعالى في سورة الشورى ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾.

الخامس: يعني عيسى بن مريم عليه السلام، قوله تعالى: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[4] يعني قال لعيسى كن فكان "وروح منه" يعني بالروح أنه كان من غير شيء، كقوله تعالى في سورة السجدة الآية: ﴿ونفخ فيه من روحه﴾ يعني أنه كان من غير شيء.

السادس: الروح يعني الحياة في الحيوان وذوات الأرواح، قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري ربي﴾. [(5)]

ولم يرد في القرآن الكريم أو في السنة النبوية ما يوضح ماهية الروح، فالرسول صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الروح لم يجب حتى جاء الوحي بقوله عز وجل: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[6].

وأقصى ما يمكن أن نقوله عن الروح دون شطط، ملتزمين أصول المنهج الإسلامي: أن الروح هي تلك الحقيقة الإلهية التي لا نعرف كنهها ولا طريق عملها، وإن كنا نعلم أنها من روح الله وأمره وسر من أسراره الخالدة.

---

[1] – سورة النبأ: الآية رقم 38

[2] – سورة النحل: الآية رقم 102

[3] – سورة النحل: الآية رقم 2

[4] – سورة النساء: الآية رقم 171

[(5)]– الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، 1970، ص 212-213.

[6] – سورة الإسراء: الآية رقم 85

الروح شيء مبهم غامض ليست له حدود! وهذا الإبهام في طبيعة الروح والغموض الذي يحيط بها، والعجز عن إدراك كنهها، هو الذي أغرى الماديين في العصور الحديثة أن يهملوها إهمالا ويسقطوها من الحساب. [1]

ولكن **ألدوس هكسلي** يرد عليهم في هذا الامر، رغم أنه لا يؤمن بالدين، فيذكرهم بحقيقة ينسونها وهم يجادلون: " إنه لم يعد لنا مناص من الاعتراف بأن بعض البشر مزود بالقدرة على استشفاف المجهول بطريقة خارجة عن نطاق الحواس. وإن جهلنا بالطريقة التي يتم بها هذا الاستشفاف لا يبرر إنكارنا له، فإنه لا يزيد على جهلنا بالطريقة التي تتم بها عملية الإدراك وعملية التذكر. من منا يستطيع أن يعرف كيف تتم معجزة الإدراك؟ أو التذكر؟

كذلك نحن لا نعلم كيف يتم الاستشفاف ولكنه رغم ذلك حقيقة علمية".

...يقرر **ألدوس هكسلي** أن هناك طاقة مجهولة في الإنسان يقدر بها على الاستشفاف، ويقرر كذلك أن جهلنا لكنه هذه الطاقة لا يعني أنها غير موجودة في الواقع، فهي موجودة رغم هذا الجهل وهي حقيقة علمية.. وأهم من ذلك أنه يقرر أننا اعترفنا من قبل بوجود طاقات بشرية أخرى رغم أننا نجهل كنهها تمام الجهل كعملية الإدراك وعملية التذكر.

حين ينظر الإنسان إلى الاتجاه المادي الغارق في المادية، الذي يسيطر على تفكير الغرب ومشاعره، يجد أن هذا الاعتراف من رجل لا يؤمن بالعقيدة، يعد في الواقع تقدما كبيرا نحو الفهم الصحيح للإنسان، الفهم الذي قررته العقيدة منذ أقدم الأزمان! [2]

يقول **ألكسيس كاريل** في هذا السياق: " إنما نحن نتأمل كائنا معقدا قسمت وجوه نشاطه إلى نشاط فسيولوجي وعقلي بطريقة عرفية، بالطبع سيظل الإنسان يتحدث عن الروح باعتبارها شيئا ذاتيا مثل ما يتحدث عن غروب الشمس وشروقها على الرغم من أن كل إنسان يعرف من أيام **جاليليو** أن الشمس غير متحركة نسبيا، فالروح هي جانب نفسنا

---

[1]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص107.

[2]– محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص38–39.

المحدود لطبيعتنا والذي يميز الإنسان عن جميع الحيوانات الأخرى...ونحن غير قادرين على تعريف هذه الذات المألوفة والشديدة الغموض ..."[1]

و نجد أن هناك من علماء الاجتماع الغربي من بدأ يهتم بموضوع الروح كعنصر أساس في تكوين الإنسان، وفي حياة المجتمع، لا يمكن فهمها إلا إذا أخذ هذا العنصر بعين الاعتبار، ومن أبرز علماء الاجتماع الغربيين الذين اهتموا بهذا الموضوع **ماكس شيلر** الألماني وذلك في السبعينات من هذا القرن، فقد انتقد **ماركس** و**كونت** و**دوركايم** لتحليلاتهم ذات الطابع المادي وسوء فهمهم للإنسان والمجتمع وهو يقول: " فمع الإنسان تنبثق صفات ومؤهلات جديدة لا تقتصر فقط على الوظائف النفسية أو الحيوية، وبالتالي فإن هذه المؤهلات لا يمكن أن يتم فهمها بعلم النفس أو علم الاحياء، فالإنسانية تقوم على مبدأ جديد لا يعلو عن الحياة فقط وإنما يعارض الحياة كما هي عليه، حتى الحياة في الإنسان نفسه، ويطلق ما أطلق عليه اليونانيون العقل".

ويتضح من هذا النص تأكيد **شيلر** على أن مسألة الروح لا يمكن فهمها من خلال علم النفس باعتباره يعالج الجوانب النفسية والفردية عند الإنسان، ولا علم الأحياء الذي يهتم بمعالجة الجوانب المادية في الإنسان، وبذلك يفرق بين الروح والنفس، كما يؤكد على ما للروح من أهمية في كيان الإنسان، فهي تعطيه صفات ومؤهلات لا يمكن أن يكتسبها إلا بوجود الروح فيه. [2]

والإسلام يعنى عناية خاصة بالروح. إنها في نظره مركز الكيان البشري ونقطة ارتكازه، إنها القاعدة التي يستند إليها الكيان كله ويترابط عن طريقها، إنها المهيمن الأكبر على حياة الإنسان، إنها الموجه إلى النور، يكفي أنها صلة الإنسان بربه.

فالحق أن الطاقة الروحية في الإنسان هي أكبر طاقاته وأعظمها وأشدها اتصالا بحقائق الوجود.

طاقة الجسم محدودة بكيانه المادي وبما تدركه الحواس، وطاقة العقل أكثر طلاقة، ولكنها محدودة بما يعقل، محدودة بالزمان والمكان، بالبدء والنهاية، ومكومة بالفناء.

---

[1]– ألكسيس كاريل، مرجع سابق، ص98.

[2]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص108–109.

وطاقة الروح وحدها في كيان الإنسان هي التي لا تعرف الحدود ولا القيود، لا تعرف الزمان والمكان، لا تعرف البدء والنهاية، لا تعرف الفناء...هي وحدها التي تملك الاتصال بما لا يدركه الحس ولا يدركه العقل، هي وحدها التي تملك الاتصال بالخلود الأبدي والوجود الأزلي ...تملك الاتصال بالله.

الروح طاقة مجهولة..مبهمة، غامضة، محجوبة عن الإدراك، ومع ذلك فهي حقيقة. [1]

وبعد الحديث عن العنصر الأول في تكوين الإنسان وهو الجسد أي الجانب المادي منه، يأتي العنصر الثاني المعنوي وهو الروح التي تسكن هذا الجسد فيتحول إلى إنسان يحتاج إلى عقل لمعرفة خالقه وفهم وإدراك العالم من حوله، من أجل تحقيق الغاية التي خلق من أجلها وهي استخلافه في الأرض وعمارتها.

ج-العقل

إن مسألة العقل أرهقت العلماء والفلاسفة منذ الأزل، فلم يستطيعوا معرفة كنه وماهية وحقيقة العقل وكيف يعمل، وطرحت تساؤلات عديدة حول هذا الموضوع يلخصها **ألكسيس كاريل** في قوله: " إن العقل مخبأ في مادة حية يهمله الفيسيولوجيون والاقتصاديون إهمالا تاما كما لا يكاد الأطباء يلاحظونه، ومع ذلك فهو أعظم قوة في هذا العالم، فهل هو نتاج الخلايا العقلية؟ مثلما ينتج البنكرياس الأنسولين وتنتج الكبد الصفراء؟ ومن أية المواد يفرز هل يأتي من مواد كانت موجودة سلفا؟ كما يأتي الغلوكوز من الجليكوجين، وهل يحتوي على نوع من النشاط يختلف عن ذلك الذي يدرسه الأطباء، ويعبر عن نفسه بقوانين أخرى، وتولده خلايا الغشاء المخي، أو هل يجب اعتباره كائنا غير مادي، وجد خارج الفراغ والزمن، خارج أبعاد العالم الكوني، ويدخل نفسه في مخنا بطريقة مجهولة لنا؟

لقد وقف الفلاسفة العظماء حياتهم في جميع الأزمان والبلدان على بحث هذه المعضلات ولكنهم لم يصلوا إلى حلها، ونحن أيضا لا نستطيع إلقاء الأسئلة ذاتها، ولكن هذه الأسئلة ستظل من غير إجابة حتى يمكن اكتشاف وسائل جديدة للتغلغل إلى عمق أبعد

[1]- محمد قطب، مرجع سابق، ص41-42.

في الشعور...ويجب أيضا أن تكون لنا الشجاعة الكافية لنستكشف تلك المناطق من الذات، التي تغطى آفاقها بطبقات كثيفة من الضباب من جميع جوانبها."[1]

إن الكائن الإنساني وحدة مترابطة ممتزجة الأجزاء، لا ينفصل منه جسم عن عقل وعن روح...والعقل البشري طاقة من أكبر طاقاته، ونعمة من أكبر نعم الله عليه قال تعالى: ﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة، قليلا ما تشكرون﴾[2] ، و" الفؤاد" يستخدم في القرآن بمعنى العقل، أو القوة الواعية في الإنسان، أو القوة المدركة على وجه العموم.

ويبدأ الإسلام التربية العقلية بتحديد مجال النظر العقلي، فيصون الطاقة العقلية أن تتبدد وراء الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها...ثم بعد ذلك يأخذ في تدريب الطاقة العقلية على طريقة الاستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة، فيتخذ إلى ذلك وسيلتين:

الوسيلة الأولى: هي وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي، ويصل إلى ذلك بطائفة من التوجيهات والتدريبات، فهو أولا يبدأ بتفريغ العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد التقليد أو الظن، فينبغي على المقلدين الذين يقولون: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[3] ، ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾[4].

ثم هو يأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد به واقتفائه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾[5] وهي مسئولية ضخمة، يبرز التعبير ضخامتها بإفراد السمع والبصر والفؤاد في مبدأ الامر ليكون كل منها مسئول على حدة، ثم جمعها كلها بعد ذلك وإشراكها في المسئولية بهذا الجمع والتوكيد: " كل أولئك". وذلك كله ليحس الإنسان بعظم التبعة وهو يقدم على الأمر فلا يأخذ الأمور باستخفاف، ولا يأخذها بلا تثبت وهو عنها مسئول.

---

(1) – ألكسيس كاريل، مرجع سابق، ص 98–99.

2 – سورة الملك: الآية رقم 23

3 – سورة الزخرف: الآية رقم 23

4 – سورة البقرة: الآية رقم 170

5 – سورة الإسراء: الآية رقم 36

الوسيلة الثانية: وهي تدبر نواميس الكون، تطبع العقل بطابع من الدقة والتنظيم.

إن نواميس الكون تجري في دقة عجيبة ونظام لا يختل، وفوق ما يحيه ذلك من تقوى الله الصانع المدبر والتوجه اليه في كل أمر، فإنه يعود العقل على دقة النظر وانضباط الأحكام. إن دورة الأرض ودورة الشمس ودورة الأفلاك ليست مضبوطة بالساعة ولا بالدقيقة وبالثانية ولا بالثالثة... ولكنها مضبوطة بسرعة الشعاع الذي يقطع 186ألف ميل في الثانية! والنظر في هذه الدقة المذهلة يعود العقل أن يدقق! فكل خلل بسيط في التفكير أو التقدير ينتج عنه أخطاء جسيمة، لو كان يحدث مثلها في الكون لانفلت عقده وتهاوى ما فيه من أفلاك! والعقل قمين أن يحاول ضبط أفكاره وربطها، والوصول إلى الكليات التي تربط الجزئيات وتحكمها –كما يرى في نظام الكون الكبير. [1]

وأجمع العلماء المسلمون على أن العقل هو مناط التكليف والمسؤولية في الإنسان...وقد قدم ابن الجوزية عرضا موجزا لطبيعة العقل ووظيفته فقال: " والعقل بالاشتراك يطلق على أربعة معان هي:

*الوصف الذي يفارق به الإنسان البهائم، وهو الذي أسعفه لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية، وهو الذي أراده من قال غريزة وكأنه نور يقذف في القلب يستعد به لإدراك الأشياء.

*ما وضع في الطباع من العلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات.

*علوم تستفد من التجارب تسمى عقلا.

*إن منتهى قوته الغريزية أن يقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة.

إن العقل يعتمد على الاستعداد الفطري الذي هو مما يتميز به الإنسان عن بقية الكائنات الحية، ويصل به إلى تحصيل العلم بالحقائق الملموسة والمجردة، ولهذا فإن كل عقل هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقائق. [2]

---

[1]– محمد قطب، مرجع سابق، ص77–79.

[2]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص113–114.

وتشمل الإشارة إلى العقل في القرآن الكريم وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها ويلاحظ أن لفظ العقل لم يرد في القرآن بصيغته الاسمية إنما وردت مشتقاته، في صيغته الفعلية (عقلوا، يعقلون، تعقلون، يعقل، فعقل)في ثمانية وأربعين موضعا من كتاب الله...فليست الخلايا المكونة للعقل وأجزائه ما يهم القرآن وإنما يأتي تركيز القرآن واهتمامه على " الأمر المميز للإنسان على سائر المخلوقات، أي على العمليات العقلية العليا التي يقوم بها الإنسان فيعقل ويتدبر ويفكر ويتعلم العلم ويعلمه، لهذا وردت في القرآن الكريم الالفاظ التي تدل على النشاط العقلي بصفة عامة مثل التفكر والتدبر والعلم والنظر والتبصر والتذكر مئات المرات.

وفي الحقيقة لا يعرف العلم كائنا موجودا بذاته يسمى عقلا يمكن إجراء التجارب عليه أو ملاحظته " ولا يقول بأن هناك شيئا خاصا موجودا تصدر عنه الأعمال التي نسميها في الإنسان أعمالا عقلية بل إنه لا يكلف نفسه مؤنة البحث عن هذه الأشياء والنظر هل هي موجودة أو لا، لأن البحث لا يفيده شيئا، إنما يعترف بوجود أعمال خاصة لها خصائصها ومميزاتها وقوانينها وليست بأعمال مادية بل هي معنوية تصحبها أو تتبعها أعمال أو آثار مادية جثمانيه، فمجموع هذه الأعمال المعنوية يسمى عقلا". [1]

ومن هنا ندرك أنه ليس للعقل كيان مادي يمكن أن تقع عليه حواسنا، فالعقل في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو أمر يقوم به العاقل سواء سمي عرضا أو صفة، ليس هو عينا قائمة بنفسها كما يعتبره الفلاسفة.

ولهذا فنحن لا نرى العقل في الإنسان وإنما نعلم أنه عاقل من خلال مشاهدة أثر العقل ونشاطه عند ذلك الإنسان وحتى تتم عملية التعقل عند الإنسان لابد أن تتوفر العناصر المكونة لها وهي:

-العنصر الأول: لابد من واقع يكون موضعا للتفكير.

-العنصر الثاني: لابد من انتقال هذا الواقع إلى الإنسان وذلك عن طريق حاسة أو أكثر من الحواس الخمس عبر قنوات الإحساس.

[1]- حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية التربية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985، ص 113-115.

-العنصر الثالث: لابد من دماغ يستقبل الواقع المحسوس.

-العنصر الرابع: لابد من معلومات سابقة مخزونة في الدماغ لتفسير هذا الواقع الجديد لكي يتمكن الإنسان من إصدار حكم حول هذا الواقع.

وما لم يتحقق وجود هذه العناصر الأربعة فلن يتمكن الإنسان من إتمام عملية التفكير التي بانتهائها يتم العقل الذي تميز به الإنسان عن سائر العجماوات.

ذلك ان العقل قد خلقه الله عز وجل لوظيفة وهي التعرف على الحقائق ودعمه بالوسائل المناسبة لذلك، ومن البديهي أن الوسائل التي يستعين بها العقل في التعرف على جوانب العالم المشهود لا تصلح للتعرف على جوانب العالم المغيب، وبالتالي فإن العقل في حاجة إلى وسائل أخرى تمده بالمعرفة اليقينية في هذا العالم المغيب، وذلك هو الوحي.

والإسلام الذي جاء به الوحي يوجه الطاقة العقلية إلى:

1-**يوجه الإسلام الطاقة العقلية إلى التأمل في حكمة الله وتدبره**، وهو أمر أقرب ما يكون إلى مملكة الروح.

الله الخالق المدبر الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ويدبرها بالحق ذلك موضع التأمل، هذا التأمل ليس مقصودا لذاته، ليس مقصودا به أن يصبح فلسفة يتعاظل فيها الفلاسفة ويغمضون ويبهمون ثم لا ينتهون إلى شيء! إنما غايته إصلاح القلب البشري وإقامة الحياة في الأرض على أسس من الحق والعدل الأزليين الكامنين في بنية الكون وبنية الحياة. يكرر القرآن هذه الحقيقة في كثير من آياته:

جدول رقم: (02) يبين آيات التدبر

الآيـــــة	سورتها ورقمها
وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق	سورة الأنعام 73
ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق	سورة ابراهيم19
وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق	سورة الحجر 85
وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا	سورة ص27
خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم	سورة التغابن 3
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون	سورة المؤمنون 115
خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون	سورة النحل 3

(1)

ويهتم الإسلام اهتماما بالغا بلفت الحس البشري إلى "الحق" في السماوات والأرض والحياة والإنسان، ويجعل التدبر في هذا الأمر جزءا من العقيدة، تقوم به القوة الواعية في الإنسان.

واهتم أيضا بالعقل كأداة للمعرفة ودعا إلى اعتبار العقل كما دعا إلى النظر والتفكير وتطلب البرهان واشتد في هذه الدعوة إلى حد أنه لو أحصى ما جاء في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿أفلا تعقلون﴾ ﴿لعلهم يتفكرون﴾ ﴿أفلا تذكرون﴾ لتعددت العشرات، ولو أضيفت إليها الآيات التي تطالب الناس بتنبيه قواهم العقلية ورفض ما لا يعززه وترك ما لا يؤيده علم ونبذ التقليد للآباء لبلغت المئات. فإن القرآن قائم كله على هذه الأصول ويدعو لها حتى ليتجلى لمن يتلوه أنه إزاء انقلاب فكري خطير الشأن لا شبيه له في تاريخ القرون الماضية بقصد إحداث ثورة على كل قديم إلا ما وافق العقل والعلم منه. (2)

إن هذه الآيات هي المنهج الكامل للتأمل الإسلامي في ملكوت الله وهي التوجيه الذي يوجه العقل في أول مهمة من مهامه...إنها تبدأ بالتفكر وتنتهي بالعمل.

2-يوجه الإسلام الطاقة العقلية إلى النظر في حكمة التشريع:

(1)- محمد قطب، مرجع سابق، ص 80. (بتصرف)

(2)- حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص129.

جدول رقم: (03) يبين آيات الحكمة من التشريع

الآيـــــة	سورتها ورقمها
ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون	سورة البقرة 179
وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون	سورة القرة 184
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون	سورة البقرة 230
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون	سورة البقرة 219
وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون	سورة البقرة 282
يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم	سورة النساء 26
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون	سورة المائدة 89

(1)

إن التشريع منزل من عند الله، ولكن القائمين به هم البشر وينبغي أن يكون البشر واعين لحكمة التشريع، وإلا فلن يطبقوه على تمامه، ولن يطبقوه على وضعه الصحيح.

إن الحياة لا تسير آلية بحيث تنطبق عليها القاعدة الشرعية انطباقا آليا، وإنما هناك مئات من الحالات للقاعدة الواحدة، وما لم يكن الإنسان فاهما للحكمة الكامنة وراء التشريع، وفاهما لترابط التشريعات في مجموعها، فلن يتمكن من تطبيقها في تلك الحالات المختلفة التي تعرض للبشر في حياتهم الواقعية.

وقد عني القرآن كما هو ظاهر من آيات التشريع التي أوردناها بأن يوقظ العقل البشري لتدبر هذه الآيات وفهمها ووعيها حتى يستطيع تطبيقها على خير وجه، وهناك كثير من آيات التشريع الأخرى في القرآن لا يرد فيها التوجيه الصريح بالتدبر والتفكير ولكنها محمولة على هذا الأمر العام الذي يدعو العقل للفهم والتبين قبل التطبيق والتنفيذ.

3-يوجه الإسلام الطاقة العقلية لضمان سير الأمور في المجتمع على منهج صحيح

(1)- محمد قطب، مرجع سابق، ص85 (بتصرف).

جدول رقم: (04) يبين الآيات التي تحث على الرقابة والتكافل في المجتمع

الآيـــــة	سورتها ورقمها
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا	سورة آل عمران 118
يا أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم	سورة النساء 59
وإذا جاءهم أمر من الخوف أو الأمن أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم	سورة النساء 83
فمالكم في المنافقين فئتين	سورة النساء 88
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث	سورة المائدة 100
يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين	سورة الحجرات 6

(1)

إنه لابد للمجتمع من سياسة، سياسة ينفذها الحاكم والشعب، على التشاور بينهما والتضامن" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " متفق عليه، وما لم تكن هذه السياسة واعية فإن الفساد يتطرق للمجتمع وتنهار الدولة...

وكل فرد في الأمة المسلمة مطالب بالرقابة على المجتمع، مسئول عن كل ما يقع فيه وإلا أصابه جزاء غفلته ولو لم يكن هو ذاته من الظالمين: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾[2] وإنما تصيبكم جميعا جزاء قعودكم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كنوا يفعلون﴾[3] وكما جاء في حديث الرسول ﷺ: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان" رواه مسلم، و" إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا

(1)– محمد قطب، مرجع سابق، ص90.

[2] – سورة الأنفال: الآية رقم 25

[3] – سورة المائدة: الآية رقم 78–79

عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصرون فلا أنصركم" رواه الترمذي.

هذا التكافل في المجتمع والرقابة على سير الأمور فيه، يقتضيان وعيا كافيا ويستلزمان عقولا ناضجة، ولا بد من توجيه الطاقة العقلية للعمل في هذا الميدان فهذا هو الضمان لحسن سير الأمور.

و يلاحظ في الآيات السابقة والكثير غيرها مما يجري مجراها...أن كل توجيه تنظيمي يصحبه ويلزمه التوجيه إلى الله والدعوة إلى تقواه...التوجيهات التي ترد القيم الاجتماعية كلها إلى الله والإيمان بالله، وتجردها من قيمة زائفة في الأرض، سواء كانت هذه القيمة سلطانا عاتيا في الأرض، أو جاها كاذبا، أو مالا يفتن عن الإيمان، أو ترفا يفسد النفس ويفسد العزيمة، أو اشراكا بالله قوة من قوى الأرض الفانية...و ذلك كثير جدا في تضاعيف القرآن، تستخدم له كل وسائل البيان من موعظة مباشرة، إلى أمر إلى نهي، إلى قصص تمثيلي إلى قصص واقعي، وكلها تهدف إلى هدف واحد: هو إيقاظ القلب البشري للقيم الحقيقية الواجبة الاحترام الجديرة بالاتباع، وإيقاظ العقل لتدبر هذه القيم ووزن الأمور وزنها الصائب، لتسير الأمور في المجتمع على هذا النور.[1]

4-يوجه الإسلام الطاقة العقلية إلى النظر في سنة الله في الأرض وأحوال الأمم والشعوب على مدار التاريخ:

حث الإسلام على مخالطة الأمم ومعاملة الشعوب، وحفزهم على التجوال في الأرض والضرب في أكنافها ودراسة أحوال الجماعات البشرية والتفكير والنظر في شؤونها من قوة وضعف وعزة وذلة وارتقاء وجمود، والبحث عن أسباب ذلك وعلله وعن أمورها الراهنة وتاريخها الماضي، وتقدير ذلك بالمعايير العلمية. [(2)]

وهذه الدعوة المتكررة للنظر في أحوال الأمم ودراسة عوامل الفناء والبقاء في المجتمعات تؤكدها الآيات التالية:

جدول رقم (05)

[1] – محمد قطب، مرجع سابق، ص91-92.

[(2)]– حسن إبراهيم عبد العال، مرجع سابق، ص141.

الآيـــــة	سورتها ورقمها
قد خلت من قبلكم سنن، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين، هذا بيان للناس وموعظة للمتقين.	سورة آل عمران 137-138
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم.	سورة الأنعام 6
قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين	سورة الأنعام 11
فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين.	سورة الأعراف 136
ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض.	سورة الأعراف 96
ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا، وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا.	سورة يونس 13
أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم.	سورة يوسف 109

(1)

إن تاريخ الأمم وحياة المجتمعات في نظر الإسلام ليس أطوارا متعاقبة بغير معنى ولا هدف ولا غاية ولا نظام معروف، إنها تتبع سنة معينة: ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾[2] ، سنة الله التي تعمل بما أودعه الله في الإنسان من طاقات واستعدادات، وما أعطاه من قدرة على الاختيار بين أحد طريقين: الهدى أو الضلال. [3]

إن اهتمام القرآن الكريم بالعقل كل هذا الاهتمام إنما كان لغاية واحدة وهي إعداد الإنسان للخلافة في الأرض وتمكينه من المنهج الصحيح لإدارة حياته والتفكير والتأمل والتدبر من أجل الحفاظ على النفس البشرية من الضياع والضلال.

د-النفس

---

(1)- محمد قطب، مرجع سابق، ص92-93.

2 - سورة الأحزاب: الآية رقم 62.

(3)- محمد قطب، مرجع سابق، ص94.

موضوع النفس شغل بال الكثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين واختلفت آراؤهم حول كنه النفس وماهيتها وطبيعتها، فمنهم من يرى أن النفس هي الروح ومنهم من يرى أن النفس شيء والروح شيء آخر تماما.

ونحن لا يعنينا أبدا الخوض الفلسفي أو الطرح الصوفي في البحث عن كنه النفس، وجوهرها وإنما الذي يهمنا أن نعرف وظيفة النفس في الكيان الإنساني، وأن نفرق بين تلك الآثار التي تنتج عن النفس كأحد مكونات الإنسان وبقية الآثار الناجمة عن غيرها من المكونات، ومما يجعلنا نستفيد من معرفتها في تحليل السلوك الإنساني والكشف عن بناء الشخصية الإنسانية.

فبالرجوع إلى القرآن الكريم والتدبر في آياته نكتشف أن الله قد استعمل لفظ النفس ستا وتسعين ومائتي مرة، ليدل على أربعة معان هي:[1]

المعنى الأول: الإنسان بكل مكوناته سواء في مقام الخلق أو الإيمان أو التكفل أو التوقع أو الوفاة أو المحاسبة، فقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم بهذا المعنى ست عشرة ومائتي مرة، كتعبير مجازي يصف الكل بالجزء، حسب السياق لإبراز أهمية هذا الجزء في حياة الإنسان وتوجيه اهتماماته وعنايته به لما سيلحقه في عاجله وآجله. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[2] ، وقال أيضا: ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾.[3]

ونحن نعلم أن في الآية الأولى يراد بها آدم عليه السلام وقد خلقه الله من أول مرة كاملا، أما الآية الثانية فتشير إلى الإنسان أيا كان، على أنه عرضة للموت لا محالة، والموت يشمل الإنسان بكل مكوناته عند مفارقة الروح له، حيث أن الروح العنصر الوحيد الذي لا يموت وإنما يفارق الجسد ثم يعود إليه في الحياة الآخرة.

[1] – مراد زعيمي، مرجع سابق، ص119.

[2] – سورة النساء: الآية رقم 1.

[3] – سورة العنكبوت: الآية رقم 58.

المعنى الثاني: الجانب الخفي في الإنسان وموطن السر فيه، وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى ثلاث عشرة مرة في قوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية﴾[1] ، وقال أيضا: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾[2].

وواضح أن لفظ النفس في الآية الأولى جاء تعبيرا مجازيا يراد به الإخفاء والسر في الدعاء، بعيدا عن الرياء والمباهات، وتحقيقا لمزيد من الإخلاص في التوجه إلى الله، وفي الآية الثانية قصد به الجانب الخفي الذي يحتفظ فيه الإنسان بأسراره.

المعنى الثالث: ذات الشيء وحقيقته أي عينه وجنسه وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى ثماني مرات في مثل قوله: ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾[3] ، وواضح من الآية أن لفظ أنفسهم جاءت لتدل على الناس، وكأن الله يريد أن يقول إن الناس يظلم بعضهم بعضا.

المعنى الرابع: مكون من مكونات الإنسان وحقيقة غير مجسدة لها وجود مرتبط بالإنسان يحيا بحياته وينتهي بوفاته وهي محل المشاعر والعواطف، وقد ورد هذا اللفظ بهذا المعنى تسعا وخمسين مرة في مثل قوله تعالى: ﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾[4]، وهكذا فإن المعنى الأخير هو ما نعنيه في هذا البحث كعنصر من العناصر المكونة للإنسان.

وبناء عليه يمكن أن نعرف النفس بأنها: ملكة فطرية تشير إلى جماع ما في الإنسان من إرادة ومشاعر وأهواء وانفعالات وعواطف وشهوات، وهي محل اللذة والألم.[5]

1-أنواع الأنفس في القرآن الكريم

لقد نص القرآن على وجود ثلاثة أصناف من الانفس هي:

---

[1]- سورة الأعراف: الآية رقم 205.

[2] - سورة البقرة: الآية رقم 284.

[3] سورة يونس: الآية رقم 44.

[4] سورة المائدة: الآية رقم 70.

[5] مراد زعيمي، مرجع سابق، ص120-121.

1-1النفس الأمارة بالسوء: وهي النفس الحريصة على دفع صاحبها نحو مخالطة المعاصي، وتزيين الشهوات والإيقاع به في المهلكات، ومثلها ما ذكره الله على لسان امرأة العزيز: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾[1] وهذه أسوء أنفس الآدميين.

1-2النفس اللوامة: هي نفس تترنح بين الخير والشر، تغالب شهواتها تارة وتسقط في حمأ المعصية تارة، فصاحبها يستحضر الملامة والحسرة والخشية عقب اقتراف أي ذنب فيتوب ويؤوب، قال تعالى: ﴿لا أقسم بالنفس اللوامة﴾[2] ، وهذه نفس طيبة لأنها رجاعة إلى الحق ولا توجد بها مادة الإصرار والتحدي.

1-3النفس المطمئنة: قال تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[3] وهي النفس الموحدة التي رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا، فبلغت من كمال الإيمان ولطائف الإحسان ما جعلها ترتقي في مدارج العرفان، فاطمأنت بوعد الله ورغبت فيما عنده دون سواه.[4]

2-إصلاح النفس في القرآن

يمكن أن نحددها في الخطوات المنهجية التالية:

1-الأمر بالقراءة وطلب العلم: فمن حكمة الله أنه لما أراد أن يغير ما بنفوس العرب من فساد، عاجلهم بالأمر بالقراءة التي هي سبيل العلم وتحرير الوعي: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾[5] ، ولا يوجد أنفع منهما في تزكية النفوس وتعديل الطباع وترقية المشاعر وتنقيح الأفكار وتنميتها.

2-الفهم الصحيح للوجود والمصير: أي معرفة الإنسان للهدف من وجوده ومسؤوليته في الحياة ومصيره بعد الممات، فالهدف من الوجود هو عبادة الله وعمارة الأرض بالعدل

---

[1] – سورة يوسف: الآية رقم 53.

[2] – سورة القيامة: الآية رقم 2.

[3] – سورة الفجر: الآية رقم 27-28.

[4] – حرز الله محمد لخضر، حتى يغيروا ما بأنفسهم...النفس محور الإصلاح الكوني، الجزيرة نت، http://www.aljazeera.net/blogs/27/04/2020/15/03/2023.

[5] – سورة العلق: الآية رقم 1.

والصلاح، والمصير بعد الموت هو الحساب والجزاء على السيئات والحسنات وما يتبعه من نعيم أو عذاب أليم، قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾.[1]

3-تقوية الصلة بالله تعالى: بالحفاظ على الطاعات واجتناب المحرمات والاستجابة لأوامر الله، فذلك هو سبب اطمئنان القلوب وسكينتها: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.[2]

4-إصلاح النفس بالتزكية والأخلاق: أي تربية النفس على الفضائل والمحامد كالعفة والحياء وطهارة القلب وحب المعروف والصدق والأمانة والصبر، وتزكيتها من المفاسد والأخلاق الذميمة ﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾.[3]

5-التحلي بالصبر عند الشدائد والبلايا: فالصبر يعود النفس على قوة الشكيمة وصلابة العزيمة وعلو الهمة، وهو السلاح المنيع عند اجتماع البلايا، فلهذا كان أجره بال حسبان ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾.[4]

6-المرونة والتحلي بالحلم في مواجهة الواقع: الأناة والمرونة والحلم تساعد الإنسان على معرفة عواقب الأمور التي تشتبه في بدايتها، كما أنها علامة التوازن النفسي والانضباط الانفعالي، ولهذا قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.[5]

7-الدعوة إلى التفاؤل: وعدم اليأس والقنوط والطمع في رحمة الله وفضله، فالتفاؤل يبعث في النفس روحا جديدة ويقوي عزيمتها ويدفع عنها أسباب الفشل واليأس، فيعقوب قال لأبنائه في غمرة الحزن والأسى: ﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.[6]

---

[1] – سورة المؤمنون: الآية رقم 115.

[2] – سورة الرعد: الآية رقم 28.

[3] – سورة الشمس: الآية رقم 9-10.

[4] – سورة الزمر: الآية رقم 10.

[5] – سورة البقرة: الآية رقم 216.

[6] – سورة يوسف: الآية رقم 87.

8-الإطلاع على سير الأنبياء والصالحين والأمم السابقة: يقول الله عز وجل في سورة يوسف ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب﴾[1] أي الخطاب موجه لأصحاب العقول من أجل الاستئناس بأخبار الأنبياء والصالحين والأمم السابقة والاعتبار بعواقبهم، ففيها السلوة للأحزان والجلوة للأشجان وهي ترقق المصائب، فحينما يقف المبتلى على نماذج أشد من بليته يتسع أفقه ويتعاظم حلمه. [(2)]

خلاصة

إن الإنسان هو مجموعة هذه المكونات، الجسم والروح والعقل والنفس، ولا يمكن أن يكون الإنسان إنسانا بواحد من هذه العناصر، كما لا يمكن عزل عنصر من هذه العناصر إلا اختل وجوده وانتفى.

ولا توجد هذه المكونات في الإنسان منفصلة عن بعضها، وإنما هي ممتزجة في وحدة واحدة ونحن لا نستطيع أن نفهم الإنسان أو نفسر سلوكه فهما صحيحا إلا إذا أخذنا الإنسان بهذه المكونات جميعها، ذلك أن كل سلوك يصدر عن الإنسان إنما يصدر عنه بكليته. [(3)]

ومن المقابلة بين هذه القوى(المكونات)، كما ذكرت في الكتاب المبين، قد نتبين أن الروح أقربها إلى الحياة الباقية أخفاها عن المدارك الحسية، وأنه الجانب الذي استأثر الله بعلمه واحتجب عن أنبيائه لأنه سر الوجود المطلق...لا قدرة للعقل الإنساني المحدود على الإحاطة به ووعيه إلا بما يناسبه من الإشارة والتقريب.

أما العقل والنفس في القرآن الكريم، فالراجح أن النفس أقربهما إلى الطبع أو القوة الحيوية التي تشمل الإرادة كما تشمل الغريزة، وتعمل واعية كما تعمل غير واعية، وتأتي في مواضعها من الآيات الكثيرة مرادفة للقوة التي يدركها النوم والقوة التي يزهقها القتل، والقوة التي تحس النعمة والعذاب وتلهم الفجور والتقوى، وتحاسب على ما تعمل من حسنة وسيئة...فهي القوة التي تعمل وتريد، مهتدية بهدي العقل أو منقادة إلى نوازغ الطبع والهوى.

---

[1] – سورة يوسف: الآية رقم 111.

[(2)]–حرز الله محمد لخضر، مرجع سابق، (بتصرف).

[(3)]– مراد زعيمي، مصدر سابق، ص122.

فجملة هذه القوى من النفس والعقل والروح هي "الذات الإنسانية" تدل كل قوة منها على" الذات الإنسانية" في حالة من حالاتها، ولا تتعدد الذات الإنسانية بأية صورة من صور التعدد لأنها ذات نفس أو ذات روح أو ذات عقل، فإنما هي إنسان واحد في جميع هذه الحالات...والذات الإنسانية أعم من النفس والروح والعقل حين تذكر كل منها على حدة، فإن الإنسان يحاسب نفسه لينهاها عن هواها، ولكن الروح من أمر الخالق الذي لا يعلم الإنسان منه إلا ما علمه الله، ويتوسط العقل بين القوتين فهو وازع الغريزة ومستلهم لهداية الروح.

ولعلنا نفقه من هدي القرآن ترتيب هذه القوى في الذات الإنسانية، وعمل كل منها في القيام بالتكليف وتمييز الإنسان بمنزلة الكائن المسؤول.

فالإنسان يعلو على نفسه بعقله، ويعلو على عقله بروحه، فيتصل من جانب النفس بقوى بالغرائز الحيوانية ودوافع الحياة الجسدية، ويتصل بجانب الروح بعالم البقاء وسر الوجود الدائم وعلمه عند الله...وحق العقل أن يدرك ما وسعه من جانبها المحدود ولكنه لا يدرك الحقيقة كلها من جانبها المطلق إلا بإيمان وإلهام. [1]

ذلك أن الجسم بحكم تكوينه المادي ووظيفته النوعية كعنصر في كيان الإنسان لا يمثل سوى المحل الذي تسكنه بقية المكونات، وهو محدود بالزمان والمكان.

وإذا كانت الروح هي العنصر الوحيد في الإنسان الذي يملك القدرة على الاتصال بما لا يدركه العقل، والاتصال بالغيب، بالله عز وجل، وهي في شوق دائم لتلك الصلة، وإذا كانت النفس على العكس من ذلك أكثر مكونات الإنسان ضعفا وقصورا وارتباطا بالحياة الدنيا، ولا تدرك من الأمور إلا ما يحدث لذة أو ألما آنيا محققا، وتتجه باستمرار إلى تحقيق الشهوات والملذات، فإن العقل بالرغم من أنه محدود بما يعقل، ويخضع في جانب كبير مما يعقله إلى الحواس، يمثل الحكم بين الروح وأشواقها وتطلعاتها والنفس وأطماعها وشهواتها. [2]

وهذا أجمل وأدق ما قيل في الإنسان ومكوناته وخصائصه، وهو وصف جامع لهذا المخلوق الذي كلف بإدارة الحياة فوق الأرض وعمارتها، إذ لا يستطيع القيام بوظيفته هذه

---

[1]- عباس محمود العقاد، الإنسان في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص30-31.

[2]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص124.

إلا إذا حافظ على ترتيب هذه القوى في ذاته والتي تعمل على منحه ميزة الإنسان المسؤول والمستخلف فوق هذه الأرض.

المبحث الثاني: المجتمع في القرآن الكريم

في هذا الفصل نتعرض إلى قضية المجتمع وكل ما يطرح حوله من تساؤلات ابتداءً من نشأة هذا المجتمع، وهل الفرد هو أصل الجماعة الإنسانية وأصل الوجود الإنساني فوق الأرض، وكيف أن الفطرة الإنسانية تدفع الفرد إلى العيش في جماعة، وكيف يساهم الدين والأخلاق والقيم ... في بناء هذا الكيان وإعطائه مكانته وخصائصه التي يسمو بها ويعلو.

الإنسان والعقيدة والتراب (الإقليم) والعلاقات الاجتماعية والنظم الاجتماعية أهم العناصر التي يجب توفرها من أجل بناء المجتمع واستمراره.

هذه الأفكار والأسئلة سنحاول طرحها على القرآن الكريم لمعرفة كيف أسس القرآن النظام الاجتماعي وحافظ عليه، من خلال استنباط حقائق حول المجتمع ومكوناته الأساسية وحاجة الإنسان إلى العيش في جماعة.

المطلب الأول: مفهوم المجتمع

إن مصطلح المجتمع له جذوره اللغوية ومعانيه في الإسلام، فقد ورد في القرآن الكريم 127 لفظا من مشتقات جمع مثل قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾[2] وقوله ﷺ: "وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " رواه مسلم.

لقد عالج ابن خلدون مكونات المجتمع أو أسسه، فذكر الإنسان وطباعه والحاجة إلى الاجتماع، وتكوين العلاقات من تعاون وتدافع...والعقائد والنحل والنظم، دون أن يحدد تعريفا للمجتمع، أما مالك بن نبي فقد عرف المجتمع بقوله: " المجتمع هو الجماعة التي تغير

[1] – سورة الإسراء: الآية رقم 88.

[2] – سورة الشعراء: الآية رقم 39.

دائمات خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير".

ونرى أن التعريف المناسب للمجتمع هو: مجموعة من الافراد، رجال ونساء وأطفال، يقطنون إقليما جغرافيا محددا ومعترفا به، ينشأ بينهم نسيج من العلاقات الاجتماعية، ويلتزمون بنظام اجتماعي واحد، ويشتركون في قيم ومبادئ وأهداف معينة تكون أساسا لولائهم.

و هكذا فإن المجتمع يشير إلى ذلك الجمع من الناس الذي يتفاعل افراده ويتعاونون على تحقيق اهداف خاصة بوسائل هم انتجوها، وتنشأ بينهم صلات ذات طابع نفسي وعقلي ولمدى طويل نسبيا، يشبع خلالها الأفراد حاجاتهم الحيوية والروحية والنفسية والعقلية ويصطبغون بالصبغة الاجتماعية نتيجة عوامل متداخلة ومتشابكة ومتكاملة، فطرية ومكتسبة، من انتقال للأفكار وتكوين للأنظمة، وتحويل بيئتهم الطبيعية إلى بيئة تثقيفية، مما يجعل منهم كيانا منظما متميزا عن غيره من الكائنات الاجتماعية، ومستقلا عنها في قراراته على أساس أنه وحدة اجتماعية ذات حدود ومعالم، علما أن المجتمع يشتمل على عدد كبير من الجماعات، تعمل كل منها لصالح المجتمع ولتحقيق أهدافه، إلا أنه قد يشذ بعضها عن هذه الغاية، فيتدخل المجتمع بوسائل الضبط المختلفة لإعادة هذه الجماعات للإطار الصحيح، ولهذا الولاء شرط في تعريف المجتمع.[1]

إن المتمعن لآيات القرآن الكريم والسنة يجد أن المصطلح المستعمل للدلالة عن المجتمع هو مصطلح القرن أو الأمة أو الشعب أو القرية أو العشيرة أو القبيلة وهي مصطلحات وإن كانت مشتركة في مدلولها العام إلا أن كل واحد منها يحمل خصوصية ما في إطار ذلك المدلول.

القرن: هو مجتمع لكنه غابر، اندثر وانتهى، مثل عاد وثمود والفراعنة والرومان، قال تعالى: ﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾.[2]

---

[1]– مراد زعيمي، مرجع سابق، ص.166

[2] – سورة يونس: الآية رقم 13.

الأمة: في قوله الله تعالى: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة﴾[1] وهي مجتمع حاضر ولكن له جذور عميقة في الماضي البعيد، وقد يكون قد تعرض إلى فترات انقطاع أو اختفاء، ثم ينشأ من جديد، وقد يمثل كيانا واحدا أو عدة كيانات، مثل الأمة الإسلامية.

الشعب: وهو مجتمع حاضر يمثل كيانا واحدا متكاملا، مثل الشعب الجزائري أو الشعب المصري أو الشعب الإنجليزي...في مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾.[2]

المدينة: مجتمع غير كامل وهو جزء من الشعب، في مثل قوله تعالى: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم به﴾[3].

القرية: مجتمع غير كامل أقل من المدينة من حيث الحجم، وقد يضم عشيرة واحدة أو عدة عشائر، قال الله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا﴾.[4]

العشيرة: مجتمع غير كامل، الرابطة فيه تكون على أساس القرابة الدموية، ويتكون من عدة قبائل، قال الله تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله﴾[5].

القبيلة: غير كامل والرابطة فيه تكون على أساس القرابة الدموية، وهو أكثر أنواع المجتمعات تماسكا وترابطا، مثل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾.[6] [(7)]

[1] – سورة البقرة: الآية رقم 128.

[2] – سورة الحجرات: الآية رقم 13.

[3] – سورة الكهف: الآية رقم 19.

[4] – سورة الفرقان: الآية رقم 51.

[5] – سورة التوبة: الآية رقم 24.

[6] – سورة الحجرات: الآية رقم 13.

[(7)]– مراد زعيمي، مرجع سابق، ص167.

المطلب الثاني: نشأة المجتمع

أشرنا في الفصل السابق إلى قضية الخلق وكيف خلق الله الإنسان، أما الآن فسنبحث عن غاية خلقه قبل الحديث عن نشأة المجتمع، إذ يرتبط الحديث حول نشأة المجتمع البشري بمعرفة الغاية من الخلق، ويحسن بنا أن نعرف هذه الغاية قبل البدء بطرح التصورات الوضعية حول المسألة.

أوضح القرآن الكريم غاية الخلق وإيجاد المجتمع البشري على الأرض في عدة آيات منها:

قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1]وقوله عز وجل: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[2] وقال أيضا: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾.[3]

والمستفاد من مجموع الآيات السابقة أن الله خلق الخلق –وهو الغني عنهم– من أجل وصولهم إلى كمالهم المنشود المتمثل بإخلاص العبادة له. والكمال الذي يتعين على الجماعة البشرية أن تحققه يتمثل بوجود الفرد الكامل، والمجتمع الكامل، والدولة الكاملة، حيث يتم بناء حياة الفرد والمجتمع والدولة وفقا للتعاليم الإلهية باعتبار أن هذا هو طريق الكمال الوحيد، وتحقيق هذا الكمال مرتبط بمرور الإنسان بمراحل من التجربة والممارسة والاختبار والابتلاء في إطار حياة جمعية يوفرها المجتمع البشري الذي يسير بمجمله نحو تحقيق الدرجات العليا من الكمال من خلال مسيرته التكاملية في الوجود.

وقد حاول علماء الاجتماع الوضعي –الذين مارسوا دراساتهم بمعزل عن المعرفة الإلهية– تفسير نشأة المجتمع البشري على الأرض، وقد أسفرت هذه الدراسات عن عدد من النظريات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

---

[1] - سورة الذاريات: الآية رقم 56.

[2] - سورة آل عمران: الآية رقم 9.

[3] - سورة التوبة: الآية رقم 33.

-نظرية التعاقد الاجتماعي التي تفترض أن الأفراد الأوائل عندما تشابكت مصالحهم وتعقدت أحوالهم ولمسوا أن الحالة الفطرية السابقة التي كانت سائدة بينهم من قبل لا تستقيم مع ما استحدث من شؤونهم لجأوا إلى التعاقد لإنشاء حياة منظمة، أي أن المجتمع نشأ صناعيا وعن قصد وروية وقام على أساس الإرادة والتعاقد.

-النظرية الانثروبولوجية التي ترى أن المجتمع وليد تطور حياة الإنسان من الكهف إلى القرية ثم إلى المدينة، وان الإنسانية قطعت تاريخا شاقا طويلا حتى وصلت إلى المرحلة الاجتماعية المنظمة.

-نظرية التفاعل الاجتماعي التي ترجع نشأة الحياة الاجتماعية إلى تفاعل العلاقات بين الافراد، فقد أدى النمو المتزايد في هذا التفاعل وسرعة تطوره إلى قيام الحياة الاجتماعية المستقرة.

-النظرية الاجتماعية التي تقرر النشأة التلقائية للحياة الاجتماعية لأن الإنسان حيوان اجتماعي ونزوعه إلى الاجتماع فطري وتلقائي، والطبيعة هي التي تدفع الافراد إلى حياة الاجتماع بما ركب فيهم من فطرة وتلقائية وحياة الاجتماع هي التي تعطي الفرد وجوده الحقيقي وتضفي عليه مقومات شخصيته. [1]

ولا يخفى على الناقد البصير بطلان هذه الآراء، وإلا كيف يمكن قبول هذا التناقض في الطرح، فهم يرجعون تجمع الناس إلى الطبيعة وإلى تفاعل الناس مع البيئة، وهي بيئة اجتماعية ومادية علما بأن الطبيعة لا تملك أي إرادة من الخلق أو التوجيه، بل هي نفسها موجهة، ثم إنهم يرون أن هذا المجتمع قد حدث بدون قصد في بادئ الأمر، وهو ما يذكرنا بمبدأ الصدفة التي يلجأ إليها الغربيون في تفسير كل ما يعجزون عن تفسيره، وهو المبدأ الذي يرفضه العقل السليم، والنظام العام الذي يحكم العالم.

والصحيح أنه مهما تكن نماذج المجتمعات ومهما يكن مستواها الحضاري أو الثقافي، ومهما امتد تاريخها فإنها ولدت استجابة لفكرة ما، ولتحقيق هدف ما، أما الظروف الجغرافية

[1]- محمد عبد الجبار، المجتمع بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987، ص41-43(بتصرف) .

والبيئية فهي لا تعمل إلا في اتجاه التأثير على ذلك المجتمع، وهي حقيقة نستكشفها من استقرائنا للقرآن والسنة.[1]

وهو ما يؤكده ماك بن نبي حين يقول: فسواء كنا بصدد المجتمع الإسلامي أو المجتمع المسيحي، أم كنا بصدد المجتمعات التي تحجرت اليوم أو اختفت تماما عن الوجود نستطيع أن نقرر أن الفكرة التي غرست بذرتها في حقل التاريخ هي فكرة دينية، ومعنى هذا أن الظرف الاستثنائي الذي يلد مجتمعا يتفق في الواقع مع الفكرة الدينية التي تحمل مقاديره. كما تحمل النطفة جميع عناصر الكائن الذي سيخرج فيما بعد إلى الوجود.

قال الله عز وجل ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾[2] هذه الآية تحدد أن الله قد خلق الإنسان وحمله أمانة وهي الخلافة في الأرض وقال ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾.[3] [(4)]

ولما كانت هذه المهمة الخاصة لا يمكن بحال أن تقع، ولا أن تنجز في حال تبعثر أفراد النوع البشري بدلالة العقل وشهادة الواقع، علم_ بالضرورة _أن الإنسان مؤهل لها في حالة اجتماع أفراده، وتجمع طاقاتهم المعنوية المادية، ومن هذا الوجه يمكن أن نقول إن الله كلف الإنسان بمسؤولية ثقيلة لا يتيسر للإنسان القيام بها إلا في حالة اجتماع أفراد نوعه وحالة وجود نظام لهذا الاجتماع.

ثم إن لفظة خليفة تلمح إلى الحياة الاجتماعية التي سيعيشها الإنسان، لأن ما من حياة اجتماعية إلا وهي في حاجة أكيدة إلى نظام قائم، يعمل على الحد مما يعرض من السلبيات حتى لا تتصدع أركانها، ومن هنا قال ابن عاشور: في الآية ايماء إلى حاجة البشر إلى

[1] – زعيمي مراد، مرجع سابق، ص170.

[2] – سورة الأحزاب: الآية رقم 71.

[3] – سورة البقرة: الآية رقم 30.

[(4)]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص172.

إقامة خليفة لتنفيذ الفصل بين الناس في منازعاتهم إذ لا يستقيم نظام يجمع البشر بدون ذلك. [1]

يقول الله عز وجل في هذا الصدد ﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾[2] ، يقول سيد قطب: " هذه هي القصة ...كان الناس أمة واحدة على نهج واحد وتصور واحد، وقد تكون هذه إشارة إلى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذراريهم، قبل اختلاف التصورات والاعتقادات...حتى نمت وتعددت وكثر أفرادها وتفرقوا في المكان وتطورت معيشتهم".

إن ما يمكن استنتاجه من الإسلام، ومن استقرائنا للواقع الاجتماعي للمجتمعات البشرية يؤكد أن المجتمع الإنساني جاء إلى هذا الوجود بعد أن لم يكن موجودا، وان الله هو الذي جاء به بإرادته الطليقة، ولحكمة يعلمها هو، كما أن المجتمع البشري انحدر من نفس واحدة وتكاثر منها بالتناسل، وجاء الناس بعد ذلك مشتركون في الخصائص متنوعون في الاستعدادات والمواهب والقدرات، قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[3]

وبناء عليه يمكن القول إن المجتمع ينشأ من:

أولا: كاستجابة ضرورية ونتيجة حتمية للحاجة الفطرية لدى الأفراد إلى الانتماء إلى كيان بشري معين يرتبط مصيرهم بمصيره.

ثانيا: عندما تكون بينهم شبكة علاقات اجتماعية تجسد تلك الحاجة إلى الانتماء.

ثالثا: عندما يدرك الأفراد ذلك الإطار الذي تدور في علاقاتهم، فيجسدون فيه القيم التي ارتضوها لتنظيم حياتهم، ويعملون على تحقيق أهدافهم.[4]

---

[1]– محمد التومي، مرجع سابق، ص153_154.

[2] – سورة البقرة: الآية رقم 212.

[3] – سورة النساء: الآية رقم 1.

[4] – زعيمي مراد، مرجع سابق، ص172–173.

المطلب الثالث: طبيعة المجتمع ووظيفته

لقد نظر رواد علم الاجتماع الغربي إلى المجتمعات من عدة زوايا فقالوا المجتمع نسق طبيعي، أو نسق أخلاقي، أو نسق متوازن، أو نسق طبقي، أو نسق تاريخي، أو نسق معياري.

ففكرة الطابع النسقي للمجتمع طرحها الرواد الأوائل في علم الاجتماع الوضعي، الذين ينظرون إلى المجتمعات كأنساق متشابكة تتكون من أجزاء مختلفة، وقد شبهها **سبنسر** بالكائنات الحية، إلا أن أجزائها هي النظم، وهذا التصور يرتبط بفكرة تشيء المجتمع.

أما الماركسيون فينظرون إلى المجتمع على أنه تكوين اقتصادي اجتماعي يحوي جماع العلاقات بين أساس المجتمع وبنائه الفوقي، وبين قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج في مرحلة تاريخية معينة، والمجتمع عبارة عن بناء طبقي قائم على الصراع بين الطبقات، هذا الصراع هو أساس التغير الاجتماعي. [1]

في حين ينظر مالك بن نبي إلى المجتمع على أنه تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين، وهذا النظام في خطوطه العريضة يقوم على عناصر ثلاث:

أ-حركة يتسم بها المجموع الإنساني، فليس هناك حياة أو نماء أو تقدم أو غير ذلك بدون حركة أو نشاط، بغض النظر إذا كانت هذه الحركة ستؤدي إلى الرقي والسعادة، أم ستؤدي على العكس من ذلك إلى التخلف والشقاء.

ب-إنتاج لأسباب هذه الحركة، وهو خلاف للكائنات الحية الأخرى التي نشاهدها، والتي تعيش وتنمو وتتكاثر دون أن تكون لها القدرة الواعية على إنتاج وسائل الحفاظ على حياتها وتنمية قدراتها، فالبشر وحدهم الذين منحهم الله القدرة على تنمية استعداداتهم وإنتاج وسائل مادية لتدعيم قدراتهم ووسائلهم الفطرية للحفاظ على حياتهم وتحسين وجودهم الاجتماعي، ولهذا فالبشر وحدهم الذين حملوا مسؤولية أعمالهم، ونتاج هذه الأعمال.

ج-تحديد لاتجاه الحركة، أي الاختيار الواعي للأهداف المشتركة التي يريد المجتمع الوصول إليها، وهو اختيار حر، بإرادة حرة واتفاق كلي أو شبه كلي، لهذا تختلف

[1]- زعيمي مراد، مرجع سابق، ص174.

المجتمعات في أهدافها وقد تتعارض مما يؤدي بها إلى الصدام والنزاع كما أنها قد تغير من أهدافها حسب الظروف والوقائع.

وهذه هي العوامل الثلاثة التي يدين لها مجموع إنساني معين بخصائصه الاجتماعية التي تحيله "مجتمعا" بالمعنى المنطقي للكلمة، حيث يمكنه أداء وظيفته. [1]

فقد خلق الله الجماعة البشرية بشكل معين لكي تؤدي وظيفة معينة وهي الخلافة في الأرض، وخلقت في شكل جماعة حتى تستطيع أن تعمر الكون وأن تستغله... ولكي تتحقق الخلافة كاملة، أعطى الله للإنسان قوة إبداعية وقدرة على الابتكار يتم عن طريقها اكتشاف ما في الكون من أسرار، بإرادة الله وبتوقيت تدريجي حتى يتلاءم كل ابتكار واختراع مع درجة البناء الاجتماعي الذي يعيش فيه...وقد أعطاه أيضا القدرة على التغيير، بمعنى أن الله قد خلق الجماعة الإنسانية في صورة معينة من أجل الخلافة في الأرض ورسم حدودا معينة سياسية وأخلاقية وتشريعية، وإذا انحرفت تلك الجماعة عن تلك الصورة فإن للإنسان قوة أعطاها الله له من أجل التغيير الهادف.

ولكي يحدث التغيير إلى صورة المجتمع الإنساني الإسلامي لابد أن تكون الأبنية الاجتماعية كلها مستعدة لذلك، فالتفاعل بين تلك الميكانزمات هو تفاعل متوازن بدرجة كبيرة، ولا نستطيع أن نفصل بين كل منها أو نحدد درجة كل منها بالنسبة للآخر، ولكن الفصل من أجل التوضيح والبيان فقد. وهنا معنى قول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [2] فلابد أن تتغير وتستعد كل الأبنية الاجتماعية بما فيها مكوناتها الرئيسية وهم الافراد لإحداث التغيير في المجتمع الإنساني إلى الصورة التي خلق من أجلها وهي الخلافة في الأرض وتطبيق شرع الله والعبادة. [3]

وهذا الوجود الصادر عن الإرادة المطلقة، وحدة متكاملة، كل جزء ملحوظ فيه تناسقه مع سائر الأجزاء، ولكل موجود فيه حكمة تتعلق بهذا التناسق الكامل الملحوظ، ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت، فأرجع البصر هل ترى من فطور

---

[1]– مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، الجزء الأول شبكة العلاقات الاجتماعية، طرابلس، لبنان، 1974، ص15.

[2] – سورة الرعد: الآية رقم 11.

[3]– محمد علوان، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع، الجزء الأول، دار الشروق، الطبعة الأولى 1983، ص 39–40.

ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾[1] ولأن الوجود وحدة متكاملة الأجزاء...كان مهيأ وصالحا ومساعدا لوجود الحياة بصفة عامة، ووجود الإنسان-أرقى مخلوق نماذج الحياة – بصفة خاصة، فليس الكون عدو للحياة ولا عودا للإنسان، وليست الطبيعة -بتعبير الجاهلية الحاضرة- خصما للإنسان يصارعه ويغالبه، إنما هي من خلق الله ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾[2] ولأن الناس جزء من الكون متعاون ومتناسق مع سائر أجزائه، ولأن أفراد الإنسان خلايا متعاونة متناسقة مع الكون، لم يكن بد إذن لأن تكون متناسقة متعاونة فيما بينها، لذلك كان تصور الإسلام أن الإنسانية وحدة، تفترق أجزاؤها لتجتمع، وتختلف لتتسق، وتذهب شتى المذاهب لتتعاون مع بعضها بعض، كي تصبح صالحة للتعاون مع الوجود الموحد.[(3)]

هذه هي طبيعة المجتمع في التصور القرآني هو وحدة مجزئة تفترق أجزائها وتجتمع وفق شرع الله، لأداء وظائفها التي خلقت من أجلها والتي تؤدي بدورها إلى بناء مجتمع صالح يمكن الإنسان من القيام بوظيفته التي خلق من أجلها وهي عمارة الأرض.

المطلب الرابع: مكونات المجتمع

إن المجتمع خلق من أجل وظيفة واحدة وهي عمارة الأرض واستخلاف الإنسان عليها، وهذه الوظيفة لا يمكن أن تكون على أكمل وجه إذا غاب عنصر من العناصر الأساسية المكونة للمجتمع وهي:

1-الأفراد

من الحقائق التي يمكن استخلاصها أن أول من ظهر على الأرض بالنسبة للآدميين، ظهرت أسرة متكونة من افراد هم زوج وزوجة، ومن قدر له أن يكون موجودا نتيجة التلاقي والإفضاء، والأسرة التي اعتبرت في نظر القرآن اللبنة الأولى للاجتماع تعد أقدم شكل للتنظيم الاجتماعي.

[1] – سورة الملك: الآية رقم 3-4.

[2] – سورة الملك: الآية رقم 15.

[(3)]– سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت، 1995، ص22-23.

وقد اعتنى القرآن الكريم بموضوع إنجاب النسل، فتارة يذكره في معرض التذكير بالنعم التي تدعو إلى الشكر قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾[1]، وتارة يظهره على أنه غريزة مستكنه في أعماق كل نفس بشرية بشكل ينبئ بأن ما من إنسان إلا يرغب بأن يدعم وجوده ببنين وحفدة، وهذه حقيقة جد مهمة فقد ذكر علماء الاجتماع أن الدافع الجنسي وما يصاحب من إنجاب النسل قد دفع الناس إلى التجمع.

وقد أفاد القرآن أيضا أن حرص الآباء والأمهات على أن يكون لجانبهم أبناء، كان حرصا حثيثا ومرادا مقصودا، بحيث لم تكن الغاية من الافضاء مجرد اشباع النهم الجنسي، ولم يكن مجيء الأبناء حدثا مفاجئا غير متوقع...وذكر لنا نماذج عديدة تحكي تضرعات، وابتهالات تؤكد أن الرغبة وجدت أولا ثم وجد الأبناء يقول الله تعالى: ﴿قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من ءآل يعقوب واجعله ربي رضيا﴾.[2]

وإذا كانت الأسر ترغب في أن يزدان اجتماعها بالبنين والحفدة، صار من اللازم أن يحتاج الاجتماع إلى الأفراد، فوجود الافراد عنصر أساسي، وبدونه لا يمكن أن يوجد مجتمع، فالأفراد هم الذين يكونون المجتمع وهم الذين يؤلفون الجماعات وبوجودهم ينشأ الاقوام وباستقرارهم تتكون القرى والمدن، وبنوهم وتعددهم تكون الجماعات الكبرى والأمم. [3]

إلا أن وجود الأفراد وحده لا يكفي إلا إذا كان مصحوبا بالإحساس الواعي لهم بأنهم عناصر في هذا المجتمع ويستمرون طواعية فيه ويوالونه، قال الله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء

[1] – سورة النحل: الآية رقم 72.

[2] – سورة مريم: الآية رقم 3–6.

[3]– محمد تومي، مرجع سابق، ص261–262.

بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصر وكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾[1]

فقد بين الله عزوجل من خلال هذا النص أن وجود الأفراد في المجتمع وانتمائهم له لا يكون إلا من خلال ذلك الإحساس الواعي بالانتماء الذي عبر عنه بكلمة أكثر عمقا ودلالة وهو الولاء الذي يعني المحبة والطاعة والإتباع والنصرة بين الأفراد، كما أن الوجود الفعلي للأفراد في المجتمع شرط في انتمائهم له. [2]

2-العلاقات الاجتماعية

قد صرح القرآن الكريم بكل وضوح بأن القاعدة في الزواج أنه يثمر من جملة ما يثمر الاطمئنان ماديا ومعنويا بحيث ينعدم الخوف ودواعيه، والاضطراب وما يترتب عليه من قلق وحيرة.

إن الشعور بالاستقرار الذي يجده كل واحد من الزوجين في الآخر نتيجة اتصالهما وملابستهما لبعضهما يعد حقلا خصبا ناميا لتربية العلاقات الإنسانية وإنعاش وتغذية للصلات الاجتماعية، وهو ما يصوره الله تعالى في قوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[3]، إن هذه الآية اعتبرت أن ما ينشأ بين المتزوجين من تحابب وتوادد وتراحم، هي آيات دالة على وجوده وعلى حكمة ابداعه في الخلق، لأن هذه العلاقات المتبادلة هي عامل فعال في اجتماعهما وارتباطهما، وفي نموهما عدديا وعلائقيا.[4]

ومما سبق يمكن القول إن العلاقات الاجتماعية هي ما يحدث بين الناس -بما لهم من مشاعر وأفكار وأهداف وحاجات- عندما يلتقون مع بعضهم من جهة، وبينهم وبين الأنظمة والمؤسسات التي تنظم وتحكم وتوجه حياتهم من جهة ثانية، فهي بذلك تتعلق بكل جوانب الحياة الاجتماعية والإنسانية.

---

[1] - سورة الأنفال: الآية رقم 73.

[2]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص197-198.

[3] - سورة الروم: الآية رقم 21.

[4]- محمد تومي، مرجع سابق، ص265.

ولا يمكن أن نتحدث عن العلاقات الاجتماعية إلا إذا توفر البعد النفسي، وعلى الخصوص الإدراك المتبادل بين الأطراف التي تنشئ هذه العلاقات، فدوافع الائتلاف ودوافع التنافر قوى تقف وراء كل أنواع العلاقات بين الناس، ولكن هذه الدوافع قوى فطرية توجد أصلا في الأفراد ولا توجد في المجتمع كما أنها لا تتم إلا إذا كان هناك مستوى معين من الاتصال الاجتماعي بين الأفراد. [1]

فالمجتمع كما رسمه الله من خلال شرعه: عبارة عن شبكة علاقات تبادلية متداخلة ومتشابكة يمكن تقسيمه إلى أنماط متعددة، تحقق أقصى درجة من الأمن وتتفق مع فطرة الإنسان ومنطقه السليم. [2]

ويقرر مالك بن نبي بأن شبكة العلاقات الاجتماعية هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده، ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين. وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي ﷺ، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية حتى قبل ان تتكون تكونا واضحا عوالمه الاجتماعية.

وجميع القوانين التي أملتها السماء، أو وضعتها محاولات البشر، هي في حقيقة الأمر إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية، وبدونها لا تستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا. [3]

3-النـــظم

تبينا أن المجتمع متألف من أفراد، ومن صلات اجتماعية متنوعة تنشأ عن الكيان الجمعي للأفراد، غير أن تلك العلاقات على الرغم من حلجة المجتمع إليها، وعلى الرغم من توقف وجوده على وجودها فإنها معرضة إلى ملابسات لأن الاجتماع الذي سعى إلى ايجادها، والعامل النفسي الذي أدى إلى تطبيعها كثيرا ما يعرضانها إلى الاضطراب، وكثيرا

---

[1]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص199-201.

[2]- محمد علوان، مرجع سابق، ص71.

[3]- مالك بن نبي، مرجع سابق، ص25-88.

ما يحولانها من وضع منسجم ملائم إلى آخر متنافر ومتناقض، وقد أنبأنا القرآن بوقائع تثبت ما يعتري العلاقات من توتر، فقد أخبرنا عن أول جريمة وقعت بين إبني آدم قابيل وهابيل، ثم المأساة التي حدثت بين يعقوب وأبنائه، وبعدها قصة سيدنا إبراهيم مع أبيه، وفتنة الأولاد والآباء...من كل ذلك نستخلص أن العلاقات الاجتماعية، وإن كانت المقوم الأساسي في تكوين الاجتماع ...فإنها معرضة دوما إلى الهزات والاضطرابات والاعتداءات... لذلك أصبحت الحاجة إلى قانون منظم يحاول حماية الصلات، ويلحم ما يقع من التصدعات أمرا لازما.[1]

إن أي نظام اجتماعي يتمحور حول تصور عام للكون وللإنسان وللمجتمع (ذي منبع ديني أو فاسفي) يمثل مشروعا يحضا بموافقة نسبية لأعضاء المجتمع ويسمح بضمان أو فرض التزام أفراده بغايات وأهداف النظام الاجتماعي، وتصاغ على شكل أعراف أو قوانين كما تمثل الإطار الذي يتفاعل فيه الأفراد والجماعات.

يشير عالم الاجتماع الأمريكي (سامر) إلى ان مفهوم النظام الاجتماعي يتألف من جانبين الأول فكرة أو مبدأ مشترك بين أبناء المجتمع والثاني هو البناء أي المؤسسات التي يمنح للفكرة الطابع النظامي والتطبيقي بشكل يحقق مصالح الإنسان...ويشير دوركايم إلى أن النظم الاجتماعية هي الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع...ولا يتحقق الفهم الموضوعي التكاملي لأية ظاهرة إلا من خلال إدراك ارتباطها بمختلف الظواهر الأخرى التي تؤلف معها نظاما اجتماعيا...عن طريق ما يؤديه من وظيفة، فما يمنح الظاهرة معناها أو أهميتها داخل المجتمع هو علاقاتها التفاعلية ببقية الظواهر التي يؤلف معها ما نطلق عليه النظام الاجتماعي.

يقدم السمالوطي تعريفا جامعا للنظام الاجتماعي: " هي الأساليب المقننة والمتفق عليها اجتماعيا (سلوك وعلاقات وتفاعلات وأفكار ومعايير ومفاهيم وجزاءات) والتي نستهدف اشباع حاجات أبناء المجتمع وقد تنشأ هذه النظم بشكل تلقائي أو مقصود وقد يكون مصدها وضعي بشري أو إلهي (كما في حالة النظم الإسلامية) والنظم تتفاعل وتساند وظيفيا بشكل

[1]– محمد التومي، مرجع سابق، ص284–289 (بتصرف).

يحيلها إلى أنساق معيارية تتضمن السلوك المتوقع والهدف ونماذج العلاقات بالإضافة إلى الغايات القيمية والضوابط والجزاءات.

بالنسبة للتصور الإسلامي، فإن النظام الاجتماعي لا يمثل استجابة طبيعية عفوية (غير مقصودة) لمتطلبات بيولوجية واجتماعية واقتصادية فقط ولكنه نشأ بمقتضى عقد مبرم من الإنسان وربه في إطار أمانة الاستخلاف كلفه الله بها على الأرض، تلك الحقيقة الوجودية الكبرى صيغت، نظرا للحتميات البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية على شكل التزامات متنوعة (على مستوى عقدي، أخلاقي، اجتماعي، اقتصادي، تشريعي) تمثل جوهر ومبدأ تسيير النظام الاجتماعي. [1]

فالحياة الاجتماعية لا تستقيم حتى تنتظم وفق منهج الله قال الله عز وجل: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يظل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[2]، وهي إشارة إلى أن الله عندما خلق الإنسان على الأرض لم يتركه هملا وإنما بين له الهدى أي النظام الذي عليه أن يتبعه حتى لا يضل ولايتيه ولا يشقى.

ومن استقرائنا للقرآن والسنة نقف على الحقائق التالية:

-أن الإسلام يضم القواعد والمبادئ والأصول الشاملة والثابتة والكاملة التي لا تخرج أطوار الإنسان والمجتمع في النهاية عن حدودها.

-الإسلام لا يضم الفروع التي تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص بل يتركها لاجتهادات المسلمين في إطار مبادئه العامة.

-أن الإسلام لا يهتم بتفصيلات جزئية أو فرعية إلا في المسائل التي يريد الله تثبيتها في الحياة البشرية، لأنها ضمان للخصائص التي يرضها لهذه الحياة الإنسانية والاجتماعية.

إن الالتزام بالإسلام يعني:

-تحقيق التناسق بين حياة الإنسان وحركة العالم الذي يعيش فيه.

---

[1]- رشيد ميموني، مرجع سابق، ص 305-306.

[2] - سورة طه: الآية رقم 124.

-تحقيق التناسق بين السنن التي تحكم الجانب الإرادي للبشر والسنن التي تحكم الجانب اللاإرادي لهم.

-الالتئام بين الجانب الباطني للشخصية والجانب الظاهري لها.

-الانسجام والتكامل بين الفرد والجماعة.

يقول الكاتب الفرنسي **مارسيل كابي:** " القرآن كتاب موحى به، وهوما يفوق ما عرف من هذا النوع كثيرا، فإن العقيدة الروحية التي بينها ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية، وهذا سر قوة الإسلام وسماحته ووحدته، والقرآن يحمل للناس باسم الإيمان الثابت على وجه الإطلاق أصول العدالة والنظام الاجتماعي، والذي يخضع الفرد لآداب الاجتماع، ويفرض على الجماعة حماية الأفراد، وهو بذلك الأسلوب يوافق في جواهر مبادئه أحدث القواعد الاجتماعية...وقد نظم حدود حياة كل فرد وحياة المجموع". [1]

وتعتبر هذه الفقرة للكاتب الفرنسي تلخيص لكل جامع مانع لموضوع النظم في الإسلام أو في منظور علماء الاجتماع الغربيين، حيث يصرح أنه لا توجد هناك قوانين تحكم وتنظم المجتمع والفرد كالتي جاء بها الإسلام.

4-العــقيدة

إن ما أثبتته الدراسات الإنسانية من أن ظاهرة التدين قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، وأن ما من مجتمع وجد إلا كان له دين بقطع النظر عن صحة ذلك الدين أو اختلاله كان قد أكدها القرآن الكريم من قبل، حيث أبان ان ما من نبي إلا وجد معارضة وما من معارضة إلا كانت متصلبة، وما من تصلب إلا كان يبرر رفضه بتمسكه بعقيدته وعقيدة آبائه.

وإذا كان الواقع القرآني قد أثبت ان الأنبياء ما بعثوا لتنشئة العقيدة لأن العقيدة موجودة ولكنها منحرفة، ولا لتكوين الباعث لان الباعث موجود...علمنا أن بعثهم كانت لصقل العقيدة ووضعها في مسارها الصحيح، وذلك بتركيز التوحيد حتى تكون العقيدة منسجمة مع الباعث

[1]- مراد زعيمي، مرجع سابق، ص209-210.

الفطري من ناحية، ومتناسقة مع وظيفتها الاجتماعية المتمثلة خاصة في الوحدة الانتمائية من ناحية أخرى. [1]

إن الشعور بالانتمائي إلى عقيدة واحدة ضروري بالنسبة إلى المجتمع، لأنه يغذي المشاعر المشتركة، وينمي الوجدان الاجتماعي العام، ويلائم بين (ترضيا الأنا الشخصي) و(رغبات الانا الاجتماعي)، وقد أشار القرآن إلى فعالية هذا العنصر الانتمائي حيث أبان أن التأليف بين الناس باعتباره انسجام بين المشاعر وتجانسا بين الملكات الادراكية واتلافا بين القوى الحية...رصيد اجتماعي ثمين تعجز عن شرائه وتوفيره ما في بنوك الأرض من أرصدة جامدة ومتحركة، وهو في قوله تعالى: ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم﴾[2]. [3]

إن عقيدة التوحيد وحدت المجموعة في حين أن الامتثال لنظام حياة مشترك هيكل تلك الوحدة، 'ن العامل الأساسي الذي حافظ عبر الأزمنة على روح الهوية المشتركة هو انتشار وبقاء وسائل التنشئة وحيوية نسقه الأخلاقي الاجتماعي الراسخ في القرآن والسنة تمثل إذا الأمة الإطار الجماعي المرجعي الذي ترعرع فيه الوعي التاريخي للمسلمين الذي التحم أيضا بالوعي الاجتماعي الذي برز ابتداء من مسؤولية المسلم تجاه أقاربه وجيرانه ليمتد إلى الإنسانية جمعاء.[4]

وما يجب التنبيه إليه أن العقائد والذهنيات والفلسفات ليس لها القدرة على تحقق النجاحات المطلوبة في إسعاد المجتمعات التي تتبناها، فكان لابد أن نميز بين العقيدة الصحيحة والعقائد الفاسدة، إن العقيدة الصحيحة تمتاز أساسا بـ:

-شمولها لجميع جوانب الحياة الإنسانية، ولكل ألوان النشاط الإنساني، الفردي والجماعي.

-مسايرتها للفطرة البشرية.

---

[1]- محمد التومي، مرجع سابق، ص293.

[2] - سورة الأنفال: الآية رقم 63.

[3]- محمد التومي، نفس المرجع، ص294.

4 - رشيد ميموني، مرجع سابق، ص352.

-قدرتها على مجابهة القضايا المستجدة في حياة الناس بلا تناقض.

والعقيدة الصحيحة هي وحدها القادرة على الثبات أمام معترك الحياة، إذا وجدت من يحملها ويتحرك بها على أرض الواقع، أما العقائد الفاسدة، مهما كثر أنصارها فهي قد تؤدي دورا معينا، ولكن لفترة من الزمن قد تطول، ولكنها لا يمكن أن تقوم بإسعاد المجتمع وإنقاذه من الدمار المحتوم.

فمثلا الفكرة النازية التي كانت أساسا لمذهبية ألمانيا العظمى النازية التي كادت أن تكتسح العالم، لم تستطع أن تصمد أكثر من 10سنوات، والشيوعية التي كانت أساسا لمذهبية روسيا العظمى لم تستطع أن تصمد على المستوى النظري أمام الانتقادات المتعددة التي بينت تناقضها ومخالفتها للفطرة، كما لم تستطع أن تصمد كنظام اجتماعي أكثر من 70سنة وعلى حساب الأرواح والحريات، أي على حساب سعادة البشر وأمنهم...إن العقيدة الصحيحة الوحيدة هي عقيدة الإسلام، فهي العقيدة المهتدية التي تتوفر فيها خصائص ومميزات العقيدة الصحيحة وهي وحدها التي يمكن أن تلبي الحاجة الفطرية للاعتقاد، وتجنب الإنسان والمجتمع مساوئ وضلالات المذهبيات والفلسفات القاصرة.[1]

هذه أهم الأركان والركائز التي يقوم عليها المجتمع والتي أثبتها القرآن الكريم، كما سبق وان أوضحنا: فالأرض التي خلق منها الإنسان والتي تمثل الاستقرار المادي له، والأفراد الذين وُجدوا فوق هذه الأرض لعمارتها واستغلالها، والعلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين هذه الأفراد، والنظام والقانون الذي يربطهم، والعقيدة التي توحدهم كأفراد وتغذي روح الجماعة فيهم من أجل تحقيق الاستقرار الروحي لهم.

إن المجتمع أو الحياة الاجتماعية لم تأتي بطريقة عفوية وإنما جاءت وفق إرادة الله سبحانه وتعالى الذي أراد أن يخلق فوق هذه الأرض إنسانا، يستخلفه فيها ويسير فيها وفق منهجه.

[1]- زعيمي مراد، مرجع سابق، ص212-213.

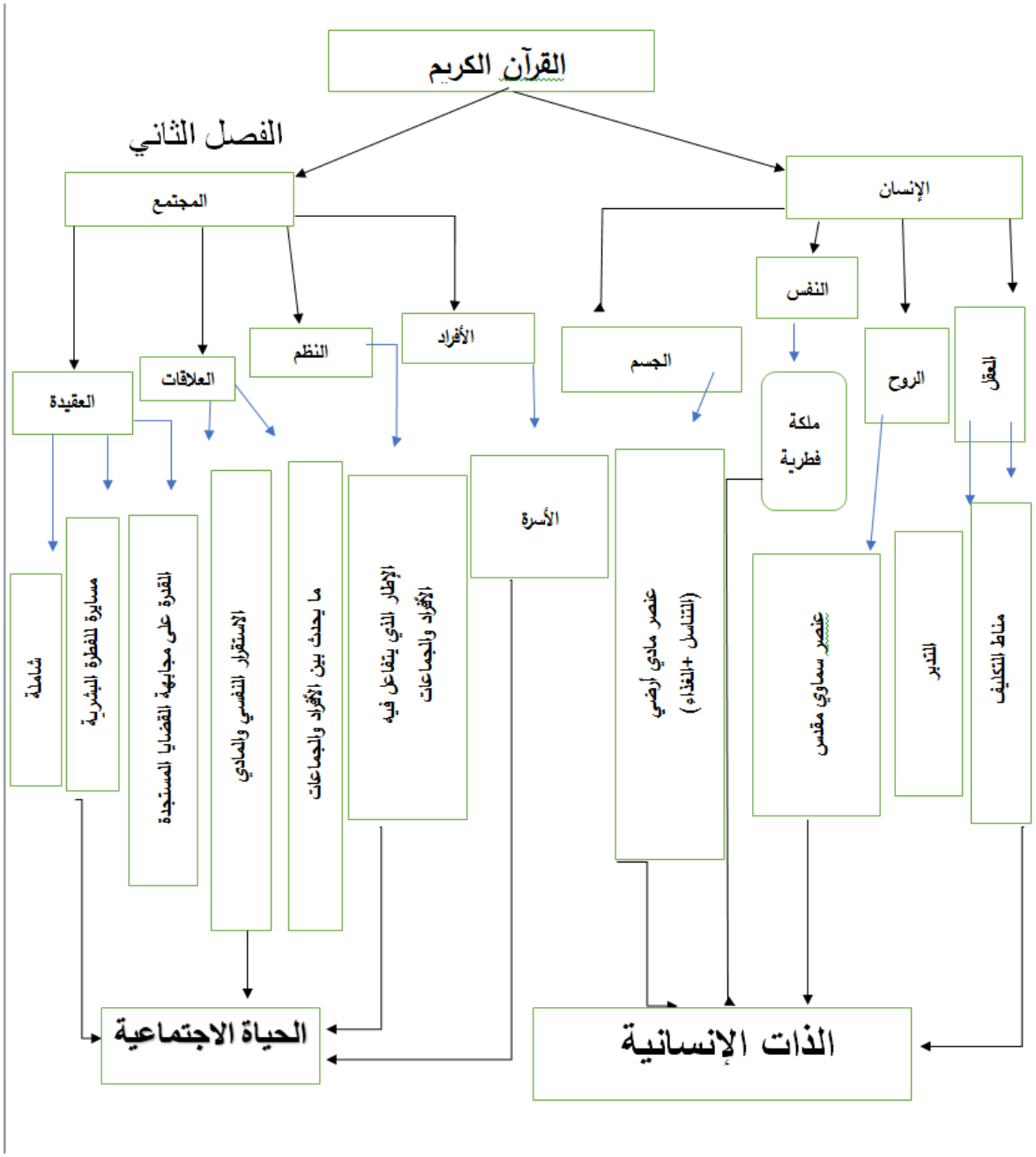

الشكل رقم:(02) الانسان والمجتمع في القرآن الكريم.

الفصل الثالث:
البعد الإنساني في سورة النساء

المبحث الأول: وحدة الأصل الإنساني

المطلب الأول: الأمر بتقوى الله

المطلب الثاني: وحدة النشأة

المطلب الثالث: صلة الرحم

المطلب الرابع: تنظيم الأسرة

المبحث الثاني: فئة الضعفاء وحقوقهم المتضمنة في سورة النساء

المطلب الأول: فئة النساء

المطلب الثاني: فئة اليتامى

المطلب الثالث: فئة السفهاء

المبحث الأول: وحدة الأصل الإنساني في سورة النساء

جدول رقم:(06)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
01	يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام	01- الأمر بتقوى الله. 2- وحدة النشأة. 3- تنظيم الأسرة

المطلب الأول: الأمر بتقوى الله

جاءت كلمة التقوى في عدة آيات من سورة النساء نوجزها في هذا الجدول:

جدول رقم:(07)

رقم الآية	الآيــة
01	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً
09	وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً
77	أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أو أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً
128	وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أو إِعْرَاضاً فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً
129	وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً
131	وَللّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ غَنِيّاً حَمِيداً

تقوى الله هي الأساس الأول في ضبط علاقات الإنسان داخل مختلف الجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها الإنسان، مثل جماعة الأسرة وجماعة العمل وجماعة الاصدقاء داخل المجتمعين المحلي والعام، كذلك فإن التقوى تضبط علاقة الإنسان بخالقه وتضبط

سلوكه وتجعله فاعلا ملتزما من الداخل وليس مجرد رد فعل réaction للمثيرات الخارجية فحسب، قال الله ﴿فاتقوا الله ما استطعتم ﴾[1]. وقال أيضا: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله، وقولوا قولا سديدا﴾ [2]. وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"[3].[4]

التقوى كلمة واحدة تجمع كل وازع يزع الضمير.. وأقدر الناس على أمانة التقوى، أقدرهم على النهوض بالتبعة، وأعرفهم بمواضع المعروف والمنكر والمباح والمحظور.

ما هذه التقوى التي يتعلق بها كل فضل للإنسان عند رب العالمين؟

لو شاء فلاسفة الأخلاق لعلموا ماهي هذه التقوى، وعلموا حقا أن موازينهم جميعا لا تحسن الترجيح بين فضل وفضل وبين قدرة وقدرة كما تحسنه هذه التقوى التي يحسبونها تسبيحة من تسابيح المعابد، ويخيل إليهم أنها أفشل من أن تنفع العالم المحقق في مقام الموازنة والتفضيل، فليس بين فاضل ومفضول قط من رجحان غير رجحان الأفضل في القدرة على التبعة، بما طاب لهم من ألوان التبعات.

هي موضع الرجحان للعالم على الجاهل، وللرشيد على القاصر، وللذكي على الغبي، وللقادر على العاجز... وما من ميزان آخر ينفع فلاسفة الأخلاق في طائفة من هذه الخصال، إلا خذلهم في طائفة غيرها... بل في أكثرها وأحوجها إلى الموازنة والتفضيل. [5]

وتعبر الوحدة البنائية (تقوى الله) عن الوظيفة الاجتماعية التي خلق الله الجماعة من أجلها: وهي الخلافة في الأرض والعبادة وتطبيق شرع الله، أي أنها أحد الأسس التي نشأت الجماعة الإنسانية عموما من أجلها.

---

[1]– سورة التغابن الآية رقم 17.

[2]– سورة الأحزاب الآية رقم 70.

[3]– رواه مسلم

[4]– نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، دار الشروق، السعودية، 1998، ص30.

[5]– عباس محمود العقاد، الانسان في القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص50.

وتعني تقوى الله الالتزام بتعاليم الله، وهي لهذا كوحدة بنائية تجعل الجماعة قادرة على أن تستغل الإمكانات والميكانزمات الخفية للمجتمع الإنساني، حيث تكمن أهميتها في أنها تعطي لميكانزمات الدفاع صلابة وقوة وتجعل عملية الاشراط الثقافي أكثر فاعلية فلا يقبل المجتمع إلا أفكارا مع فطرته السوية وطبيعته.

إذن فتقوى الله العامل الأول المحدد لقوة المجتمع المسلم، وهي أساس بنائي لكل أنماط العلاقات الأخرى... وتشمل أيضا المبدأ الأول للمجتمع الإسلامي وأعني إفراد الوحدانية لله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1] ، كما يكمن فيها كل الفضائل والوحدات البنائية الأخرى، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين آتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾[(2)]

وتتضمن التقوى وحدات بنائية كثيرة جدا، نذكر منها بعض ما حدده القرآن الكريم في أن العدل من التقوى، والعفو من التقوى والاستقامة حتى مع العدو من التقوى: ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[3] ، ﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى﴾[(4)]، ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾[(5)] لذلك لا عجب أن نجد القرآن يحض عليها على مستوى الفرد والجماعة ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾.[(6)]

والاختلال البنائي للتقوى هو التخلي عن الشرع واللجوء إلى القانون الوضعي والنظم البشرية والآراء الإنسانية التي تضعف من طبيعة البنية الاجتماعية وتجعلها هشة، بحيث يتحول المجتمع فورا إلى بناء هش مكون من صراعات وايديولوجيات متنافرة تهدم وتلغي

[1] – سورة آل عمران: الآية رقم 102.

[(2)]– سورة البقرة: الآية رقم 177.

[3] – سورة المائدة: الآية رقم 8.

[(4)]– سورة البقرة: الآية رقم 237

[(5)]– سورة التوبة: الآية رقم 7.

[(6)]– سورة الأنفال: الآية رقم 29.

شخصية الجماعة المسلمة، وبذلك يهتز نسق القيم، فلا يستطيع الأفراد في تفاعلاتهم الاجتماعية أن يميزوا بين ما هو صحيح وخاطئ، وبالتالي لا يستطيعون أن يعرفوا ما هو المطلوب منهم بالضبط لأعضاء في جماعة مسلمة، وقد حكم الله في هذا بقوله: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.[1][2]

المطلب الثاني: وحدة النشأة

نبهت الآية على أن من نتائج العلاقة الأولية بين الزوجين أن انتشر رجال كثيرون ونساء كثيرات، وقد أشارت أيضا إلى أن التكاثر إنما جعل للاجتماع والتجمع، بحرصها على أن تعطى الرحم حقوقا تتمثل في وصلها وعدم قطعها، وقد علق سيد قطب أيضا على أية النساء هذه بقوله: " توحي الآية بأن قاعدة الحياة البشرية هي الأسرة، فقد شاء الله أن تبدأ هذه النبتة في الأرض بأسرة واحدة. فخلق –ابتداء– نفسا واحدة وخلق منها زوجها، فكانت أسرة من زوجين.. ولو شاء لخلق في أول النشأة رجالا كثيرا ونساء وزوجهم فكانوا أسرا شتى من أول الطريق، لا رحم بينها من مبدا الأمر ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد وهي الوشيجة الأولى، ولكنه لأمر يعلمه، ولحكمة يقصدها أن يضاعف الوشائج. فيبدأ بها من وشيجة الربوبية وهي أصل وأول الوشائج، ثم يثني بوشيجة الرحم فتقوم الأسرة الأولى من ذكر وأنثى هما من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة. ومن هذه الأسرة الأولى يبث رجالا كثيرا ونساء وكلهم يرجعون –ابتداء–إلى وشيجة الربوبية ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة التي يقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد قيامه على أساس العقيدة [3].

لقد أعيد النظر إلى مكان الإنسان في الخليقة كلها، فوضعه علماء الحيوان بموضع واحد مع طبقة الأحياء التي عرفوها باسم الأوائل وهي في الذروة من طبقات الحيوان اللبون، وأعيد تصنيف هذا النوع الحيواني فذهب بعضهم بعيدا في تقسيمه إلى أجزاء... والذين قالوا إنه نوع واحد لم يرتابوا في تقسيمه إلى عناصر أو سلالات تكاد–لولا التناسل فيما بينها–أن تعتبر أنواعا مستقلة بتراكيب أبدانها وعقولها، والذين قنعوا باختلاف العناصر والسلالات لم

---

[1]– سورة المائدة: الآية رقم 45.

[2]– محمد علوان، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة جدة، 1983، ص80–81.

[3]– محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص 258.

يقنعوا بالقليل من فوارق هذا الاختلاف، فمنهم من كاد يجعل السلالة (الآريا) نوعا سيكولوجيا يضارع النوع البيولوجي في الاختلاف وفي قابلية التفاهم والتعامل وتناسل العواطف والأفكار.

فمن كبار علماء الأنواع في العصر الحاضر من يقول، كما جاء في كتاب (قرن من ذهب دارون): " إن التفرقة بين عناصر النوع الإنساني اعتساف أو توسع في التغبير، فقد نقسم النوع الإنساني إلى عنصرين كبيرين يسكن أحدهما في القارتين الآسيوية والأوروبية والأمريكيتين، ويسكن الآخر في إفريقيا وبلاد الملايا والقارة الأسترالية، فإذا أرنا المزيد من الحصر فقد نقسمها حسب الألوان إلى بيضاء وصفراء وحمراء وسوداء وسمراء.... [1]

ونرى أن كل هذه النظريات الغربية حول محاولة معرفة الإنسان وأصله قد انحرفت عن الطبيعة والفطرة الإنسانية، وكذا عن العقل والمنطق الذي يرفض أن يقسم الإنسان إلى أقسام أو إلى فئات أو إلى سلالات.

إن قضية نشأة الجماعة الإنسانية حددها الله سبحانه وتعالى في نفس واحدة، كما أشرنا إليها في عدة مواضع من هذا البحث، جاء في كتابه العزيز قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾[2]

فحوى هذا أن القرآن قد وضع الإنسان –علما ودينا– في موضعه الصحيح، حين جعل تقسيمه الصحيح إنه (ابن ذكر وأنثى) وأنه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية الواحدة التي لا تفاضل بين الاخوة فيها بغير بالعمل الصالح، وبغير التقوى...

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾[3]، وقد نسميهم باصطلاح الأسماء(أمما) كثرة كلما تباعدت بينهم المواطن وتحيزت بهم الحدود وتشعبت بينهم العقائد واللغات، ولكن قبل هذا الاختلاف أمة واحدة لها أله واحد هو: رب العالمين.

فإذا كانوا قد تعددوا شعوبا وقبائل كما جاء في الآية الشريفة، فإنما كان هذا التعدد أقوى الأسباب لإحكام صلة التعارف بينها وتعريف الإنسانية كلها بأسرار خلقها، فإن تعدد

---

[1]– عباس محمود العقاد، الانسان في القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنسر والتوزيع، ص46.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 1.

[3]– سورة الحجرات: الآية رقم 13

الشعوب والقبائل يعدد المساعي والحيل لاستخراج كنوز الأرض واستنباط أدوات الصناعة على حسب المواقع والأزمنة، وعلى حسب الملكات والعادات التي تتفتق عنها ضرورات العيش والذود عن الحياة فينجم عن هذا ما لابد أن ينجم من تعدد الحضارات وأفانين الثقافة، وتزداد الإنسانية عرفانا بأسرار خلقها، وعرفانا بخالقها، واقترابا فيما بينهما، وتضطر إليه طرار لما تحسه من اشتباك منافعها سريان الضرر من قريبها إلى بعيدها: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾[1]

وهذا هو حكم القرآن في وحدة بني الإنسان، وفي تدعيم هذه الوحدة، بما يحسبه الناظر المتعجل بابا من أبواب الافراق والتباين، وهو تعدد الشعوب والقبائل واختلاف اللغات والألوان: ﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾[2].

إذا هذا هو التصور الإسلامي لنشأة الجماعة الإنسانية، هو تصور متوازن بين التفسير السببي والتصغيري للكليات الاجتماعية، يحدد بدقة نشأة الجماعة الإنسانية ووظيفتها والغرض منها.

وكل هذه الآيات تبين النظرة الإسلامية إلى عملية نشأة الجماعة الإنسانية، فلم تخلق الجماعة كاملة ودفعة واحدة، ولم يخلق الفرد وحده وإنما خلق منه زوجه، فخلق الله كما قرر سبحانه قد بدأ بالزوج والزوجة، ثم تتابع الخلق حتى وصل إلى درجة المجتمع الكبير، فالقرآن لم يقرر الفردية الكاملة بدرجة تجعلنا لا نستطيع أن نعلل الجمعية، كما أنه لم يقرر الجمعية بدرجة لا نستطيع تبريرها وتصغيرها إلى الفردية، وإنما قرر بتوازن التصغيرية التي أدت إلى التكبيرة، والتكبيرة التي نشأة من التصغيرية. [3]

---

[1]– سورة الروم: الآية رقم 22.

[2]– سورة يونس: الآية رقم 19

[3]– محمد علوان، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع، الجزء الأول، دار الشروق، الطبعة الأولى 1983، ص23–24.

المطلب الثالث: صلة الرحم

نريد أن ننظر إلى دائرة الارحام كما رسمها الإسلام فإنها أوسع كثيرا مما يظنها المرء لأول وهلة، إنها تمتد وتتداح حتى تتجاوز الأعمام والأخوال وأبناء الأعمام وأبناء الأخوال، والقرابات من الدرجة الأولى والثانية حتى تشمل الكثيرين.

الأساس أن الناس جميعا إخوة لأب أم، وأن هذه الصلة المشتركة لا يجوز أن تهمل وإن طال الزمان وكثرت الفروع وزاد البنون والبنات، والإخوة والأخوات...فهم تجري في عروقهم دماء مشتركة فعلام التقاطع والتناحر والاستكبار والاحتقار، إن النزاعات العرقية قسمت البشر قديما وحديثا، ولا تزال الفروق القومية تجعل أبناء آدم كأنه لا رحم بينهم ولا قرابة، وهناك الاختلافات الدينية فهي من قديم أساس عراك دموي ظلوم أرخص الأرواح والأموال وورث الأحقاد والثارات. [1]

ولعل من أبرز أسباب الفرقة والعراك والتشتت الأسري عند غير المسلمين ضعف صلة الرحم بينهم، أو تكاد تنعدم للأسباب التالية:

1-ضعف الرابطة الزوجية، فهي لا تقوم غالبا على الميثاق الغليظ الذي ذكره الله سبحانه وتعالى.

2-الرابطة في تلك العلاقات الزوجية جنسية بحتة، لا تمت إلى المودة والرحمة بصلة، أما في الإسلام ﴿وجعلنا بينكم مودة ورحمة﴾[2] وهذا يؤثر على الناشئة.

3-الطفل قد لا تعرف أمه بعد الوضع، فهو غالبا آخر عهدها به حتى يكبر ويصلب عوده، فالحاضنة تستلم هذا الطفل منذ ساعة الولادة، ثم ينتقل إلى دور الأطفال أو إلى الملاجئ، أو لربما لا يمس هذا الطفل حضن أمه ولا يذوق حليبها.

إذا الإسلام يهتم بالأسرة اهتماما بالغا، ويفرض صلة الرحم ويعتبر حق الوالدين بعد حقه سبحانه مباشرة ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾[3]، ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن الكبر عندك أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا

---

[1]- محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق القاهرة، 1990، ص140.

[2]- سورة الروم: الآية رقم 21

[3]- سورة لقمان: الآية رقم 14

تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾[1]، إذا محبة الوالدين والعشيرة أمر واجب مقدس موافق للفطرة البشرية التي لا يستطيع البشر التخلي عنها، إلا أنها تضعف وتقوى مع ضعف الايمان وقوته. [2]

لقد جاء ذكر الرحم عدة مرات في القرآن الكريم في مواضع مختلفة، ولكن في سورة النساء جاءت مقرونة بتقوى الله، وجاءت في أول آية، الآية التي تعتبر دستور الأمة والمجتمع والأسرة، الآية التي شملت في مجملها تقريرا لحقيقة الربوبية، مقرونة ومرتبطة بوحدة الأصل الإنساني لصيقة ومتصلة بوشيجة الرحم التي هي قاعدة الأسرة.

ولا نجد أجمل ما قيل في هذه القضية من قول سيد قطب: " نجد في مستهلها تقريرا لحقيقة الربوبية ووحدانيتها، ولحقيقة الإنسانية ووحدة أصلها الذي أنشأها منه ربها، ولحقيقة قيامها على قاعدة الأسرة، واتصالها بوشيجة الرحم، مع استجاشة هذه الروابط كلها مع الضمير البشري، واتخاذها ركيزة لتنظيم المجتمع الإسلامي على أساسها، وحماية الضعفاء فيه عن طريق التكافل بين الأسرة الواحدة، ذات الخالق الواحد، وحماية هذا المجتمع من الفاحشة والظلم، وتنظيم الأسرة والمجتمع المسلم والمجتمع الإنساني كله، على أساس وحدة الربوبية ووحدة البشرية... وهذه الحقيقة الكبيرة التي تتضمنها آية الافتتاح تمثل قاعدة أصيلة في التصور الإسلامي، تقوم عليها الحياة الجماعية.[3]

إن هذه الآية الأولى من سورة النساء تلخص لنا حقيقة الوجود الإنساني فوق هذه الأرض ووظيفته فيها، حيث كلف الله الإنسان بالانتشار في الأرض واستخلافه فيها من أجل اعمارها.

المطلب الرابع: تنظيم الأسرة (الأسرة كبعد اجتماعي)

إن الأسرة كمؤسسة اجتماعية تقوم أساسا على دعائم فطرية، وهي خاصية من خواص الإنسان الفطرية مثلها مثل سائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى، لكنها أكثر ثباتا واستمرارا وانتشارا.. فهناك بعض الحاجات الفطرية في الإنسان لا يمكنه أن يلبيها إلا من خلال تكوين

---

[1]– سورة الاسراء: الآية رقم 23

[2]– عبد الله الحمد الجيلالي، مرجع سابق، ص26.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص558–559.

الأسرة، وبطريقة تحفظ العرض والنسل من الاختلاط وتجنب المجتمع المهالك والمضار، فالرجل والمرأة جزءان متكاملان، أساس العلاقة بينهما الزواج المبني على المودة والرحمة والسكينة، والذي تلبي من خلاله الحاجة للجنس والإنجاب.

وإذا علمنا أن الإسلام يحرم من جهة أخرى الزنا والتبني وأمر بالزواج وفق نظام معين، أتضح أن الإطار الصحيح المناسب للفطرة ولتلبية تلك الحاجات هو الأسرة وفق ما شرعه الإسلام بالرغم من أنه يمكن تلبيتها بطرق مختلفة متعددة إلا أنها تبقى قاصرة وكثيرا ما تكون ضارة، ومما يدل على أن الأسرة من دواعي الفطرة[1]:

– أن الأسرة مؤسسة اجتماعية عامة، أي أنها وجدت في كل المجتمعات بلا استثناء فهي الوحدة الأساسية لنظم القرابة ومظهر من المظاهر المشتركة بين المجتمعات الإنسانية قاطبة، بل هي أصل وأساس كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وهو ما يعترف به غالبية علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بل تكاد تكون محل إجماع عندهم، وحتى الرافضين للأسرة لم يستطيعوا إثبات عدم وجودها في أي مجتمع من المجتمعات، فلم تسجل الأبحاث الميدانية التي أجريت على المجتمعات المختلفة، غياب هذه المؤسسة الاجتماعية بالرغم من أنها قد تتعرض لتغيرات وقد تأخذ أشكالا بنائية ووظائف اجتماعية قد تضيق أو قد تتسع إلا أنها لا تخلو من زوج وزوجة وأطفال تقوم برعايتهم.

– أنها المجال الأمثل لتلبية الحاجة الجنسية بعيدا عن المخاطر التي تنجم عن الفوضى الجنسية من أمراض جسمية ونفسية واجتماعية، والأبحاث والتجارب الحديثة تؤكد ذلك، وأنها المجال الأمثل لتلبية الحاجات الفطرية كالأمومة والأبوة والحنان والعطف، وأن العلاقة في الأسرة هي علاقة عاطفية تكافلية.

– أن الأسرة هي البيئة الاجتماعية الأولى التي ينشأ فيها الطفل وتبنى فيها شخصيته الاجتماعية، فهي المجال الأمثل للتنشئة الاجتماعية القاعدية وصياغة الشخصية الإنسانية في الصغر والتكفل بالعاجزين في الكبر، وقد جربت المجتمعات الغربية على الخصوص بالرغم من محاولاتها المتكررة من ابتكار مؤسسات بديلة عن الأسرة، كدور الحضانة ورياض

[1]– مراد زعيمي، التنشئة الاجتماعية، مشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006، ص 66–67.

الأطفال للأطفال، ودور العجزة والمسنين، وكانت النتيجة تحلل في المجتمع وتمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية.

– أنها منبت العلاقة الاجتماعية ففيها يتعلم الطفل أساليب التعامل مع الآخرين، ويكتسب العادات والقواعد الأساسية في المخالطة، وكلما كبرت الأسرة كان المجال أوسع لتجارب أكثر ونماذج أكثر من العلاقات، فهناك علاقة الطفل مع أبيه ومع أمه ومع أخيه ومع أخته، وكل منها لها طابعها الخاص، وإذا كان له جد وجدة يعيشان معه تحت السقف نفسه ازدادت علاقته اتساعا وتنوعا، أما إذا كان له أعمام فلا شك أن الدائرة تتسع لتشمل العم وزوجته وأبنائه وبناته.

– أنها ثابتة بالرغم من كل المحاولات المنظمة للقضاء عليها فمنذ **أفلاطون** اليوناني القرن الثالث مرورا **بمزدك الفارسي** القرن الخامس الميلادي **وماركس** اليهودي الألماني القرن التاسع عشر الميلادي إلى **سيمون دي بوفوار** المسيحية الفرنسية القرن العشرين، والمحاولات مازالت تتكرر لتفتيت الأسرة والتخلص منها إلا أن الواقع يشهد أن هذه المحاولات لم تجد إلا صدى ضعيفا، وأن المجتمعات والأفراد الذين استجابوا لها يعانون من المشاكل التي لا حصر لها.

تنظيم الأسرة في الإسلام لا يراد به تحديد النسل [1] هذه المشكلة التي أثارها الغرب ضمن فراغ، فليس لديهم فكرة عن أي حل سابق، وإنما برزت المشكلة وبدؤوا يضعون لها الحلول في ضوء الاقتصاد والاقتصاد فقط منفصلين بذلك عن النظرة الشاملة لما حولهم، ولذلك كان التخبط في حل هذه المشكلة وكان الاصطدام بعقائد الناس وتقاليدهم ومسلماتهم. والغرب معذور إذا بدأ من الفراغ، ولكن ليس هناك عذر لأولئك الذين عموا وصموا عن أحكام الإسلام في بلاد الإسلام، فنقلوا المشكلة بما فيها إلى بلادنا سواء أكان في بلد تزايد سكانه أو لم يكن، وسواء أكنا بحاجة إلى بحث مثل هذه المشكلة أم لا، ولم ينظروا إلى أمور ثلاث:

1– واقعنا السياسي الذي نعيشه منذ صراعنا مع أوروبا في الحروب الصليبية حتى صراعنا مع أوربا وأمريكا واجهة إسرائيل وضرورة وجود العنصر البشري في الصراع.

[1]– عبد العزيز عزت الخياط، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، دار السلام، القاهرة، 2010، ص 111.

2- قلة السكان في منطقتنا باستثناء مصر، بالإضافة إلى مساحات البلاد العربية الشاسعة التي ينقصها الإعمار.

3- أحكام الإسلام المنظمة للأسرة والمعالجة علاجا حقيقيا لمثل هذه المشكلة في ظل تعاليم الإسلام الشاملة ونظرته الكلية للإنسان والحياة.

- "قرن الله تعالى بين التقوى وصلة الرحم ليدل على أهمية هذه الرابطة الإنسانية، فالناس جميعا من أصل واحد، وهم إخوة في الإنسانية والنسب"[1].

- في الافتتاح بتذكير الناس أنهم خلقوا من نفس واحدة، فيه تمهيد جميل وبراعة تطلع لما جاء في السورة من أحكام الأنكحة والمواريث والحقوق الزوجية، وأحكام المصاهرة والرضاع وغيرها من الأحكام الشرعية [2].

- والعملية المتعلقة بالزواج والتكاثر فيها جوانب كثيرة تقع تحت مشاهدة الإنسان وبإمكانه أن يدركها بقدراته العقلية. وإذا كانت كل النظريات الغربية حول الإنسان تقيم تصورها عن الإنسان على أساس مصدره الحيواني، فهو إما حيوان ناطق، أو حيوان منتج، أو حيوان عاقل، أو حيوان اجتماعي.. ولم يسلم من هذا المسلك الخطأ حتى علم النفس التعليمي ذاته، رغم أن بحوثه تدور حول الذكاء، أو العمليات العقلية المعقدة [3].

- كرم الإسلام المرأة وكفل حقوقها منذ ولادتها حتى وفاتها، وصان لها حقوقها سواء أكانت بنتا أو أما أو زوجة أو أختا أو جدة [4].

إن البعد الاجتماعي لتنظيم الأسرة في سورة النساء، "يندرج ضمن مجموعة من الآيات صيغت بشكل يوضح كيفية تكوين هذا التنظيم، ثم التركيز على العلاقات الداخلية والخارجية للأفراد، وعرض النماذج السلوكية في إطار هذه المنظومة من العلاقات مع التركيز على

[1]- محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 233.

[2]- محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص 235.

[3]- مراد زعيمي، علم الاجتماع رؤية نقدية، مخبر علم اجتماع الاتصال، الجزائر، 2004، ص 101.

[4]- عبد العزيز عزت الخياط، مرجع سابق، ص 27.

الجانب الأخلاقي من أجل تحقيق الأهداف الخاصة والهدف العام المتجسد في أمانة الاستخلاف على الأرض"[1].

المبحث الثاني: الضوابط الإنسانية للعلاقات الاجتماعية في سورة النساء

المطلب الأول: النساء في سورة النساء

سميت سورة النساء بهذا الاسم –كما سبق وعرفنا السورة– بسبب ما ورد من تشريع وأحكام تتعلق بالنساء، بدرجة لم توجد في أي سورة من سور القرآن الكريم، وهذا يعد تكريما لها من الله عز وجل، وقد ركزت السورة على المرأة لما يعتريها من ضعف ورقة وحنان...لهذا جاءت السورة لتحمي هذا الكائن وتبين حقوقه وواجباته، وتنفض على المرأة غبار الجاهلية وما لصق بها من عادات وتقاليد تسيئ للمرأة وتهضم حقوقها وتدني من مكانتها، وتقضي على وظيفتها التي خلقت من أجلها.

1-مكانة وواقع المرأة

قبل أن نشرع في بحثنا حول المرأة وما جاء من تشريع لحماية حقوقها في القرآن الكريم لابد من إلقاء نظرة سريعة على مكانة المرأة في المجتمعات القديمة وحتى الحديثة وكيف تعامل وماهي مكانتها؟

عند اليونان كانت المرأة لا تغادر البيت وتقوم فيه بكل ما يحتاج إليه من رعاية، وكانت محرومة من الثقافة لا تسهم في الحياة العامة بقليل ولا بكثير، وكانت محتقرة حتى سموها رجس من عمل الشيطان، أما من الوجهة القانونية فقد كانت عندهم كسقط المتاع تباع وتشترى في الأسواق وهي مسلوبة الحرية والمكانة، وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة الرجل...وفي أوج حضارة اليونان تبدلت المرأة واختلطت بالرجل في الأندية والمجتمعات، فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنا أمر غير منكر، وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة

[1]– عقري زكية، مبدأ التنظيم في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، تخصص تنظيم وعمل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2015/2014، ص156.

والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الادب والفن...حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل...وكان ذلك خاتمة المطاف في حضارتهم فانهارت وزالوا.[1]

أما عند الرمان فلم يختلف حال المرأة كثيرا عن سابقتها في اليونان، فالأب لم يكن ملزما بضم ولده إلى أسرته ذكرا مان أو أنثى، بل كان يوضع الطفل عند ولادته عند قدميه فإذا رفعه وأخذه كان دليلا على أنه ضمه إلى أسرته، وإلا فيؤخذ ذلك الوليد إلى الساحات العامة فيطرح هناك فمن شاء أخذه، وإلا فإن الوليد يموت جوعا أو عطشا أو تأثرا بالحرارة أو البرد.

وكانت سلطة رب الاسرة على أبنائه وبناته تمتد حتى وفاته مهما بلغ سن الأبناء والبنات، كما كانت له سلطة على زوجته وزوجات أبنائه وأبناء أبنائه، وهذه السلطة تشمل البيع والنفي والتعذيب والقتل...وكان رب الاسرة هو مالك كل الأموال فليس لفرد فيها حق التملك، وإنما هم أدوات يستخدمها في زيادة أموالها، وكان يقوم بتزويج أبنائه وبناته دون إرادتهم.

وإذا مات رب الاسرة يتحرر الابن إذا كان بالغا، أما الفتاة فتنتقل الولاية عليها إلى الوصي مادامت على قيد الحياة... وإذا تزوجت تنتقل السلطة من رب الاسرة إلى الزوج.

في شريعة حمورابي كانت المرأة تحسب في عداد الماشية المملوكة، حتى أن من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتها أو يمتلكها. [2]

عند الهنود لم يكن للمرأة في شريعة (منو) حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها، فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، ولم يكن لها الحق في الحياة بهد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم وفاة زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين اليهود.

---

[1]– مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2003، ص11.

[2]– مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، المرجع السابق، ص12.

وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة.

وجاء في شرائع الهندوس: ليس الصبر المقدر، والريح والموت والجحيم والسم والأفاعي والنار أسوأ من المرأة.

أما في الشرائع السماوي فكانت عند بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادمة، وكان لأبيها الحق في بيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين وإلا ما كان يتبرع به لها أبوها في حياته، وإذا آل الميراث إلى البنت لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وقد جاء في التوراة: " المرأة أمر من الموت، وإن الصالح أمام الله ينجو منها، رجلا واحدا بين الألف وجدت، أما امرأة بين كل أولئك لم أجد". [1]

أما في الديانة المسيحية فمكانة المرأة ليست بأفضل حال من قرينتها في الديانة اليهودية، فقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا في المجتمع الروماني من انتشار الفواحش والمنكرات وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقي، فاعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله...فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأعلنوا أنها باب الشيطان.

وفي القرن الخامس اجتمع (مجمع ما كون) للبحث في المسألة التالية: هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح؟ وأخيرا قرروا أنها خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ماعدا أم المسيح.

وفي عام 586م عقد الفرنسيون مؤتمرا للبحث: هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان؟ وأخيرا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فقط.

ولما قامت الثورة الفرنسية وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة، لم تشمل بحنوها المرأة، فنص القانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهل للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غير متزوجة، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم: الصبي والمجنون والمرأة. [1]

[1]– مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص16.

وإذا عدنا إلى البيئة العربية قبل الإسلام، وجدنا المرأة العربية مهضومة في الكثير من حقوقها، فليس لها حق الميراث، وليس لها على زوجها أي حق، وليس للطلاق عدد محدود، ولا لتعدد الزوجات حد معين، ولم يكن لها الحق في اختيار زوجها، ولقد كان رؤساء العرب وأشرافهم فحسب يستشيرون بناتهم في أمر الزواج...وكانوا يتشاءمون من ولادة أنثى، وكانت بعض قبائلهم تئدها خشية من العار، وبعضهم كان يئدها ويئد أولاده عامة خشية الفقر.

فكيف عالجت سورة النساء هذه المشاكل التي كانت تعاني منها المرأة في القديم من ضعف وقهر وهوان، وكيف عززت مكانتها ورفعت من شأنها؟

2-المساواة في التكوين والنشأة

جدول رقم:(08)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
01	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾	المساواة في التكوين والنشأة بين المرأة والرجل.

تتحدد العلاقة بين الرجل والمرأة في نظام الإسلام على أساس المساواة في التكوين، ووحدة الخلق والإيجاد، وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم: ﴿يا أيها الناس اتقوا ركم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[2]، وقال عز وجل أيضا لتثبيت وحدة الأصل والمساواة: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[4]، وقال أيضا: ﴿من عمل

[1]-المرجع نفسه، ص 16-17.

[2]- سورة النساء: الآية رقم 1

[3]- سورة الأعراف: الآية رقم 189

[4]- سورة الحجرات: الآية رقم 13

صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[1].

وقرر النص القرآني المساواة التامة بالنص صراحة على جزاء الصفاة الحسنة فقال: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة أجرا عظيما﴾[2]، وفي مثل ذلك يقول النبي ﷺ:" استوصوا بالنساء خيرا"[3].

ولذلك تتساوى المرأة مع الرجل في العقيدة كالإيمان بالله واليوم الآخر، وفي فرض العبادات كالصلاة الصوم والزكاة والحج، وفي التمسك بالأخلاق والقيم العليا، وفي توقيع العقوبات، وفي التعليم وأداء الحقوق والعمل والمعاملات، وفي الزواج والمسؤولية في البيت والمجتمع، قال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [4][5]

ويقول سيد قطب في تفسير الآية الأولى من سورة النساء: " والحقيقة الأخرى التي تتضمنها الإشارة إلى أنه من النفس الواحدة ...كانت كفيلة-لو أدركتها البشرية- أن توفر عليها تلك الأخطاء الأليمة التي تردت فيها، وهي تتصور في المرأة شتى التصورات السخيفة، وتراها منبع الرجس والنجاسة، وأصل الشر والبلاء...وهي من النفس الأولى فطرة وطبعا، خلقها الله لتكون لها زوجا، وليبث منهما رجالا كثيرا ونساء، فلا فارق في الأصل والفطرة، إنما الفارق في الاستعداد والوظيفة". [6]

رغم هذه الحقائق الواضحة وضوح الشمس وأن المرأة والرجل من نفس واحدة، وهما متساويان في الخلق والحقوق والواجبات، إلا أن المرأة عانت الكثير في الحضارات

---

[1]- سورة النحل: الآية رقم 13

[2] - سورة الأحزاب: الآية رقم 35.

[3]- رواه البخاري ومسلم والترمذي، ويقول" إنما النساء شقائق الرجال" رواه الترمذي وابن ماجة واحمد بن حنبل.

[4]- سورة التوبة: الآية رقم 71.

[5]- عبد العزيز عزت الخياط، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2010، ص23.

[6]- سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1990، المجلد الأول، الأجزاء1-4، ص574.

والمجتمعات القديمة، وحتى في الديانات السماوية، كما وضحنا في السابق، فجاء الإسلام ليرفع مكانتها ويصلح حالها.

3-الإصلاح

جاء القرآن الكريم ليصلح أحوال المرأة ويذهب عنها كل ما لصق بها من شوائب الجاهلية القديمة والحديثة، وتتلخص المبادئ الإصلاحية التي أعلنها الإسلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم في المبادئ التالية:

أولا: إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء، كما وضحنا سابقا.

ثانيا: دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة منها وحدها، بل منهما معا، يقول الله تعالى: ﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾[1]، ويقول عن آدم وحواء: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءتهما﴾[2]، ويقول عن توبتهما: ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لن تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾[3]، بل إن القرآن في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال تعالى: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[4].[5]

ويقول سيد قطب في هذه القضية: "والحقيقة أن هذا الكائن ضعيف في بعض جوانب تكوينه حتى ليمكن من قيادته إلى الشر والارتكاس إلى الدرك الأسفل، من خطام شهواته.. وفي أولها ضعفه تجاه حب البقاء وضعفه تجاه حب الملك.. ويكون في أشد حالات ضعفه وأدناها حين يبعد عن هدي الله.

وهذه الحقيقة في التصور الإسلامي تنقذ كاهل البشرية من أسطورة الخطيئة الموروثة التي تقوم على التصورات الكنسية في المسيحية...خطيئة آدم التي تلازم البشرية كاللعنة المسلطة على الرقاب، حتى يتمثل الإله في صورة ابن الإنسان(المسيح) ويصلب ويتحمل

---

[1]- سورة البقرة: الآية رقم 36

[2] - سورة الأعراف: الآية رقم 20.

[3]- سورة الأعراف: الآية رقم 23

[4]- سورة طه: الآية رقم 121

[5]- مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص19.

العذاب للتكفير عن هذه الخطيئة الموروثة، ومن ثم يكتب (الغفران)لمن يتحد بالمسيح الذي كفر بدمه عن خطيئة آدم...

إن الامر في التصور الإسلامي أيسر من هذا بكثير.. لقد نسي آدم وأخطأ.. ولقد تاب واستغفر، ولقد قبل الله توبته وغفر له.. وانتهى أمر تلك الخطيئة. [1]

وبهذا رد الإسلام على كل الشبهات والمبطلات التي لازمة المرأة منذ خلقت إلا أن جاء الرسول الكريم بهذا الدين، الذي أنصف المرأة ورفع عن كاهلها كل الإهانات التي لازمتها عبر التاريخ.

ثالثا: حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها، كما كان شأن العرب في الجاهلية فقال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾[2]، فالأب لا يكاد يقدر على الخروج أمام الناس إذا بشر بالأنثى، بل يبقى متغيرا مغتما من الكآبة والحياء من الناس، بل إنه كظيم ممتلئ غما وغيظا وحزنا، فيبقى على هذه الحالة لكراهيته وكراهية قومه لهذه المشؤومة التي بشر بها، إما يبقي عليها ولا يقتلها، ويمسكها على هوان ومذلة، وإما أن يتخلص منها ويدفنها في التراب وهي حية.

وجاء الإسلام ليعلن أن البنت هبة يجب أن يفرح بها ونعمة يجب أن يشكر الله عليها، فقال جل في علاه: ﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾ [3]، فجعل الإناث هبة وقدمهن على الذكور، لأنهن سبب في تكثير النسل، ولتطييب خاطر الآباء لما قد يحصل من الحزن والكره. [4]

ويقول سيد قطب: " وحكمة الله وقاعدة الحياة، اقتضت أن تنشأ الحياة من زوجين ذكر وأنثى. فالأنثى أصيلة في نظام الحياة أصالة الذكر، بل ربما كانت أشد أصالة لأنها

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص1274.

[2]– سورة النحل: الآية رقم 59

[3]– سورة الشورى: الآية رقم 49

[4]– موقع الألوكة الشرعية، مقال التشاؤم من البنات، جمعية التنمية الأسرية بالمنطقة الشرقية (وئام) Alukah.net/sharia/0/111548 التشاؤم من البنات//01/17/ 2017،

المستقر، فكيف يغتم من يبشر بالأنثى، وكيف يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ونظام الحياة لا يقوم إلا على وجود الزوجين معا...إنه انحراف العقيدة ينشئ آثاره في انحراف المجتمع وتصوراته وتقاليده. [1].

رابعا: حرم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال: ﴿وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت﴾ [2]، قال أيضا: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾ [3]، كما سبق وأن قلنا إن الكثير من المجتمعات قد وقعت في انحرافات كثيرة عن الفطرة والتفكير السليم، ومن هذه الانحرافات قضية قتل الأولاد سواء أكانوا ذكورا أو إناثا، وهذا راجع إلى عدة أسباب منها الفقر والحاجة، أو الخوف من العبودية والعار، أو غيرها من الأسباب التي تدفع بالأب أو الأم لقتل أولادهم.

والقرآن الكريم ذكر في عدة مواضع القتل الذي اشتهرت به بعض قبائل العرب في الجاهلية، ألا وهو الوأد للبنات سخطا على ولادتهن كما بينا في العنصر الماضي، ويقول سيد قطب في تفسير الآية: "فما كانت المرأة هي المغبونة وحدها في المجتمع الجاهلي الوثني إنما كانت الإنسانية في أخص معانيها، فالأنثى نفس إنسانية، إهانتها إهانة للعنصر الإنساني الكريم، ووأدها قتل للنفس البشرية، وإهدار لشطر الحياة، ومصادمة لحكمة الخلق الاصيلة، التي اقتضت أن يكون الأحياء جميعا من ذكر وأنثى". [4]

والله سبحانه وتعالى يقول في قتل النفس البشرية: ﴿ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾[5]، إذا يمكن اعتبار هذا القتل فساد في الأرض ومعارض للفطرة السليمة، كما يقول سيد قطب في الضلال: " إن قتل نفس واحدة–في غير قصاص لقتل، وفي غير دفع فساد في الأرض–يعدل قتل الناس جميعا... وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس، فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته، وقرن الله قتل النفس

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص 2178

[2]– سورة التكوير: الآية رقم 9

[3]– سورة الانعام: الآية رقم 140

[4]– سيد قطب، مرجع سابق، ص2178.

[5]– سورة المائدة: الآية رقم 32

بالفساد في الأرض، وجعل كل منهما مبررا للقتل، واستثناء من صيانة حق الحياة، وتفظيع جريمة إزهاق الروح.. ذلك أن أمن الجماعة المسلمة وصيانة النظام العام الذي تستمتع في ظله بالأمان.. ذلك كله ضروري كأمن الافراد.. بل أشد ضرورة، لأن أمن الأفراد لا يتحقق إلا به".[1]

خامسا: أمر الشارع الحكيم بإكرام المرأة وإنزالها منزلة تليق بها كأم وزوجة وبنت وأخت...

*إكرامها كأم: قال الله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾ [1]، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: " من أحق الناس بصحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك"، رواه البخاري ومسلم.

وجاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: أريد الجهاد في سبيل الله، فقال له الرسول: "هل أمك حية؟" قال: نعم، قال: " الزم رجلها فثم الجنة" رواه الطبراني.

*إكرامها كزوجة: جاء في إكرام الزوجة آيات وأحاديث كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [2]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها سرتك، وإن غبت عنها حفظتك" رواه بألفاظ قريبة منه مسلم وابن ماجة.

*إكرامها كبنت: اعتبر الإسلام البنت هبة من الله سبحانه وتعالى ونعمة يهبها لمن يشاء-كما بينا في الجزء السابق- وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تنصف البنت وتعطيها حقوقها، مثل قوله تعالى: ﴿إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان

[1]- سورة الأحقاف: الآية رقم 15

[2]- سورة الروم: الآية رقم 21

الرجيم، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾[1]، وقال ﷺ: "من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعهن وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة".[2]

فالبنت التي كانت تدفن حية في الظلمات، أخرجت إلى نور الحياة بفضل هذا الدين، وأصبحت جنة الأب إذا ما اعتنى بها وحافظ عليها.

هذا ما جاء في القرآن الكريم لإصلاح أحوال المرأة عامة، أما سورة النساء فهي تزخر بأحكام النساء، والتي كرم الله بها المرأة إذ جعل لها سورة باسمها وهي من أطول السور في القرآن الكريم بعد البقرة، وقد وضحت بكل دقة وتفصيل ما للمرأة وما عليها، وسنرى كيف أكرمت المرأة وعززت من مكانتها حسب الترتيب المتسلسل للآيات:

1-الآية رقم1 من سورة النساء: سبحان الله العظيم الذي يعز العبد بعد أن كان ذليلا ويرفعه بعد أن كان في أسفل السافلين، المرأة في كل الحضارات وفي كل المجتمعات القديمة كانت تعتبر من المتاع تباع وتشترى وتقتل، ولعنة ومصيبة أحلت على أهلها ومجتمعها، كما سبق وذكرنا، تأتي سورة النساء فترفعها وتجعلها قمة الهرم الإنساني، فيقرر الحق سبحانه وتعالى أنها أصل هذا الوجود البشري، بعد أن خلق الله سبحانه وتعالى نفسا واحدة ثم خلق منها زوجها.

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآية: " -إن الآية ابتداء تذكر الناس بمصدرهم الذي صدروا عنه، وتردهم إلى خالقهم الذي أنشأهم في هذه الأرض...إن هذه الإرادة التي جاءت بهم إلى هذا العالم، وخطت لهم طريق الحياة فيه، ومنحتهم القدرة على التعامل معه، لهي وحدها التي تملك لهم كل شيء، وهي وحدها التي تعرف عنهم كل شيء، وهي وحدها التي تدبر أمرهم خير تدبير....

- كما انها توحي بأن هذه البشرية التي صدرت من أرادة واحدة، تتصل في رحم واحدة، وتلتقي في وشيجة واحدة، وتنبثق من أصل واحد، وتنتسب إلى نسب واحد: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا

[1]- سورة آل عمران: الآية رقم 35-37

[2]- مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص19-20.

ونساء﴾[1]، ولو تذكر الناس هذه الحقيقة لتضاءلت في حسهم كل الفروق الطارئة...ففرقت بين أبناء النفس الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة...واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصري الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت...واستقرار هذه الحقيقة كان كفيلا باستبعاد الاستعباد الطبقي السائد في وثنية الهند والصراع الطبقي، الذي تسيل فيه الدماء أنهارا في الدول الشيوعية...

-كذلك توحي الآية بأن قاعدة الحياة البشرية هي الأسرة، فقد شاء الله ان تبدأ هذه النبتة في الأرض بأسرة واحدة، فخلق ابتداء نفسا واحدة، وخلق منها زوجها فكانت أسرة من زوجين ﴿وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾.. ولو شاء الله لخلق في أول النشأة رجالا كثيرا ونساء، وزوجهم فكانوا أسرا شتى من أول الطريق، لا رحم بينها من مبدأ الأمر، ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد وهي الوشيجة الأولى...فتقوم الاسرة الأولى من ذكر وأنثى-من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة- ومن هذه الاسرة يبث رجالا كثيرا ونساء كلهم يرجعون ابتداء إلى وشيجة الربوبية ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الاسرة، التي يقوم عليها نظام المجتمع الإنساني بعد قيامه على أساس العقيدة.

-وأخيرا فإن نظرة إلى التنوع في خصائص الأفراد واستعداداتهم على هذا المدى الواسع، الذي لا يتماثل فيه فردان قط تمام التماثل، على توالي العصور وفيما لا يحصى عددهم من الفراد في جميع الأجيال.. التنوع في الأشكال والسمات والملامح، والتنوع في الطباع والأمزجة والأخلاق والمشاعر، والاستعدادات والاهتمامات والوظائف... فالإرادة التي لا حد لما تريد، والتي تفعل ما تريد هي وحدها التي تملك هذا التنوع الذي لا ينتهي، من ذلك الأصل الواحد الفريد."[2]

ثم إن الآية تفيد ان آدم قد خلق أولا، ثم خلقت منه زوجه لتبدأ سنة الازدواج تعمل عملها في الكائن البشري مع بداية الخلق...فالخلق ما كان للتفرد والانفصال والتفرق بل خلق الذكر لتخلق معه زوجه الأنثى، ليكون تعلق كل واحد منهما بالآخر تعلقا مشتركا، ولتكون الحاجة إلى بعضهما مستكنه في نفس كل واحد منهما... وتبين أن السكن الذي جعل غاية،

---

[1]- سورة النساء: الآية رقم 1

[2]- سيد قطب، مرجع سابق، ص 574-575.

قد نشأ عن تكامل بيولوجي ونفسي، فأنتج بمفعول التلاقي والافضاء ما يزيد الاجتماع عددا والرابطة احكاما... والحرص على أن تعطى الرحم حقوقا، تتمثل في وصلها وعدم قطعها. (1)

إذا هذه الآية الأولى من سورة النساء كفيلة وحدها بتبيان أصل النشأة الإنسانية وأن المرأة جزء أصيل في هذه النشأة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتم عمارة الأرض واستخلاف الإنسان فيها، بالاعتماد على جنس واحد وعلى مخلوق واحد، إذا لفسدت الحياة فوق الأرض، لأن أصلها وقاعدة الوجود فيها ذكر وأنثى في كل المخلوقات.

2-الآية رقم3 نظام التعدد

جدول رقم:(09)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
03	﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾	-الحكمة من تعدد الزوجات. -العدل بين الزوجات. -ان استحال العدل فواحدة.

فيها أحكام تتعلق بـ: الحكمة من تعدد الزوجات، العدل بين الزوجات وإن استحال العدل فواحدة فقط، ويقول في هذا السياق الطاهر ابن عاشور: "قد شرع الله تعدد النساء للقادر العادل لمصالح جمة: منها أن في ذلك وسيلة إلى تكثير عدد الأمة بازدياد المواليد فيها، وأن ذلك يعين على كفالة النساء اللاتي هن أكثر من الرجال في كل أمة لأن الأنوثة في المواليد أكثر من الذكورة، ولأن الرجال يعرض لهم من أسباب الحروب والشدائد ما لا يعرض للنساء...ومنها ان الشريعة قد حرمت الزنا وضيقت في تحريمه لما يجر اليه من الفساد في الأخلاق والانساب ونظام العائلات...ولأن التعدد يعرض المكلف إلى الجور وإن بذل جهده في العدل، إذ للنفس رغبات وغفلات...فيكون الترغيب في الاقتصار على واحدة.".(2)

(1)- محمد تومي، مرجع سابق، ص257-258.

(2)- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء الثالث، 1984، ص226-228.

إن نظام التعدد –وبخاصة في الإسلام– نظام أخلاقي إنساني. أما أنه أخلاقي، فلأنه لا يسمح للرجل بأن يتصل بأي امرأة شاء، وفي أي وقت شاء، ولا يجوز له أن يتصل بواحدة منهن سرا، بل لابد من إجراء العقد وإعلانه...

واما أنه إنساني، فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها ونقلها إلى مصاف الزوجات المحصنات، ولأنه يدفع ثمن اتصاله الجنسي مهرا وأثاثا ونفقات تعادل فائدته الاجتماعية من بناء خلية اجتماعية تنتج للأمة نسلا عاملا، ولأنه لا يخلي بين المرأة التي اتصل بها وبين متاعب الحمل وأعبائه، بل يتحمل قسطا من ذلك ينفقه عليها أثناء حملها ووضعها.

ولأنه يعترف بالأولاد الذين أنجبهم، ويقدمهم للمجتمع ثمرة من ثمرات الحب الشريف الكريم، يعتز هو بهم، وتعتز أمته في المستقبل بهم.

إن نظام التعدد يحدد الإنسان فيه شهوته إلى قدر محدود، ولكنه يضاعف أعبائه ومتاعبه ومسؤولياته إلى قدر غير محدود، لا جرم أن كان نظاما أخلاقيا يحفظ الأخلاق، إنسانيا يشرف الإنسان. [1]

والملاحظ في قضية التعدد يرى الحكمة جلية، وأنها لمصلحة المرآة، وأن الفائدة ترجع إلى أكثر من الرجل لأسباب أهمها:

1-أن حياة المرأة بجوار ضرة أخرى خير لها من مشقة العنوسة المؤلمة، وهذا يؤدي إلى حرمانها من إشباع رغبتها الجنسية التي هي فطرة بشرية، كما يؤدي إلى حرمانها من إشباع عواطفها البشرية من الأولاد والذرية.

2-حياة المرآة وإن كانت الثانية أو الثالثة في ظل زوج عادل يقوم بالنفقة عليها خير لها من أن تكون عالة على أبيها أو أحد أقاربها، بحيث يشعرونها بالمنة والاحتقار.

3-بالنسبة للزوجة السابقة لن تصاب بضرة إلا في حالة ضعف الرغبة الاجتماعية من زوجها، وهذا الضعف قد يؤدي إلى الطلاق وهذا هو أكره ما تكرهه المرأة، أو إلى التعليق وهو أيضا مكروه، وأقل ما يحدث من جراء ذلك هو العزوف عنها حينما يتعلق بأخرى يهواها

[1]– مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص64.

ولم يحصل عليها، فتكون تلك الزوجة ضحية تلك التوقعات، لأن ميل القلب أمر فطري يسيطر على أقوى الرجال فكيف بالرجل العادي صاحب العواطف البشرية.

4-إضافة إلى التعاون المتوقع بين الطرفين حينما تتحسن العلاقة بينهن، سواء في أمر البيت أو حاجات الرجل الأخرى، والحياة كلها مبنية على التعاون وعلى البر والتقوى.

5-التعدد تشريع إلهي كريم، قرره من يعلم مصلحة البشر، فاستجابة المرأة لهذا الحكم الذي لا خيرة فيه طاعة الله سبحانه وتعالى وتكسب فيه الأجر من الله، إذا استجابة المرأة لهذا الحكم عبادة يجب أن تحتسبه من الله، وحينما يكون الزوج عبئا ثقيلا على الزوجة فإن الثانية ستخفف عنها جزءا من هذا العبء.

6-المرأة المسلمة لا تكون أنانية أبدا فهي تبحث عن مصلحة أختها المسلمة وذلك يعني ألا تمانع في مشاركة أخرى في الإسلام في عصمة رجل عادل، وهو أهم مطالب المرأة العدل من الرجل، فإذا توفر فلا تمانع المرأة بذلك والعدل مشروط في التعدد. [1]

فلو أضفنا إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾ [2]، والمعلقة هنا تعبيرا عن ترك الزوجة الأولى لا هي زوجة تستمتع بزواجها، ولا هي حرة تبحث لنفسها عن زوج آخر، وإنما تعاني الحرمان والقلق وهي في بيت رجل.

إذا لتبين لنا أن التعدد مع العدل أمر مستحيل وخاصة في الأمور غير المحسوسة كالمحبة والمودة...ومادام العدل هو شرط التعدد، ومادام العدل بين النساء هو المستحيل.. إذا فالتعدد رخصة قصد بها الاستخدام عند الضرورة. [3]

يقول المستشرق الفرنسي المسلم **ناصر الدين دينيه** في كتابه محمد رسول الله: " الواقع يشهد أن تعدد الزوجات شيء ذائع في سائر أرجاء العالم، وسوف يظل موجودا ما وجد العالم مهما تشددت القوانين في تحريمه، ولكن المسألة الوحيدة هي معرفة ما إذا كان

---

[1]- عبد الله الحمد الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، مكتبة دار السلام الرياض، 1995، ص77-79.

[2]- سورة النساء: الآية رقم 129

[3]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص454-455.

الأفضل أن يشرع هذا المبدأ ويحدد، أم يظل نوعا من النفاق المتستر لا شيء يقف أمامه ويحد من جماحه؟

وقد لاحظ جميع الرحالة الغربيين –ونخص بالذكر منهم جيرال دي نير فال والليدي مورجان –أن تعدد الزوجات عند المسلمين – وهم يعترفوا بهذا المبدأ– أقل انتشارا منه عند المسيحيين الذين يزعمون أنهم يحرمون الزواج بأكثر من واحدة، وليس ذلك بالأمر الغريب على الفطرة البشرية، فالمسيحيون يجدون لذة الثمرة المحرمة عند خروجهم على مبدئهم في هذا.

...ونتساءل: هل في زوال تعدد الزوجات فائدة أخلاقية؟

إن هذا أمر مشكوك فيه، فالدعارة تندر في أكثر الأقطار الإسلامية وبغيره سوف تتفشى فيها وتنتشر آثارها المخربة، وكذلك سوف يظهر في بلاد الإسلام داء لم تعرفه من قبل، ذلك هو عزوبة النساء التي تنتشر بآثارها المفسدة في البلاد المقصور فيها الزواج على واحدة، وقد ظهر ذلك فيها بنسبة مفزعة وخاصة عقب فترات الحروب."[1]

إذا فالمرأة التي تبحث عن السكن النفسي والمعنوي، والتي تريد أن تحصن نفسها تجد كل هذا في التعدد الذي يضمن لها معيشة طيبة في كنف زوج عادل، أما ما تبحث عنه من كسب مادي ومالي فقد حفظها الله سبحانه وتعالى من أن تبيع نفسها وعرضها مقابل دراهم تجلب لهل العار والعذاب والخزي، فقد جعل الله لها ذمة مالية تصونها وتحفظ كرامتها كما تبين الآية الموالية.

– الترابط في طرح المواضيع بين الآيتين، حيث أمر الله الرجل أن يمتنع من الزواج من اليتيمة خشية أن يظلمها، فشرع له الزواج من واحدة أخرى أو اثنتين، أو ثلاث أو أربع أو ما ملكت يمينه.

– مسألة تعدد الزوجات ضرورة اقتضتها ظروف الحياة وهي ليست تشريعا جديدا انفرد به الإسلام، وإنما جاء الإسلام فوجده بلا قيود ولا حدود وبصورة غير إنسانية فنظمه وهذبه وجعله علاجا ودواء لبعض الحالات الاضطرارية التي يعاني منها المجتمع، وفي الحقيقة

[1]– مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص149.

فإن تشريع التعدد مفخرة من مفاخر الإسلام لأنه استطاع أن يحل مشكلة اجتماعية هي من أعقد المشاكل التي تعانيها الأمم والمجتمعات اليوم فلا تجد لها حلا. إن المجتمع كالميزان يجب أن تتعادل كفتاه فماذا نصنع حين يختل التوازن ويصبح عدد النساء أضعاف عدد الرجال؟ أنحرم المرأة من "نعمة الزوجية" و"نعمة الأمومة" ونتركها تسلك طريق الفاحشة والرذيلة، أم نحل هذه المشكلة بطرق فاضلة نصون فيها كرامة المرأة وطهارة الأسرة وسلامة المجتمع؟ وأقرب الأمثلة شاهدا على ما نقول ما حدث في ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث زاد عدد النساء زيادة فاحشة على عدد

الرجال فأصبح مقابل كل شاب ثلاث فتيات وهي حالة اختلاط اجتماعي فكيف يواجهها المشرع؟ لقد حل الإسلام المشكلة بتشريعه الإسلامي الرائع، بينما وقفت المسيحية حائرة مكتوفة الأيدي لا تبدي ولا تعيد. إن الرجل الأوربي لا يبيح له دينه التعدد، لكنه يبيح لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات بطريق الرذيلة [1].

– وقد جاء في مجلة الفتح القاهرية في العدد الصادر بتاريخ 15 من محرم 1346 الموافق 14 يوليو (تموز) 1927 في ص 3 ما يلي:

لاحظت بعض الصحف أن جريدة (دايلي ميل) الإنجليزية الشهيرة نشرت أخيرا مقالة غريبة في الإشادة بتعدد الزوجات لو نشرت قبل اليوم لجلبت على الجريدة والكاتب أشد سخط وأروع عقاب، فقد كان المساس بالعادات والتقاليد في إنجلترا من أشد الأخطار.

لاحظ كاتب المقال أن في إنجلترا وبلاد الغال زيادة في عدد النساء على الرجال تقدر بمليونين من السيدات، وقال: إن إباحة تعدد الزوجات هي الطريقة الوحيدة للعلاج الناجع.

قال الكاتب: وليست مسألة الزوجة الواحدة إلا مسألة اعتقاد واتفاق وهي في الحق والواقع نتيجة نسبة عددية، ثم ذكر أن نظرية المرأة الواحدة للرجل الواحد هي نظرية الأنسب والأوفق، ولكن الاستمساك بها لا يستحسن إلا عند التعادل العددي في الجنس، أما إذا زاد عدد جنس على الآخر، ولم تتخذ التدابير لذلك فلا مفر من حرب طاحنة تنشب بين الجنسين [2].

---

[1]– محمد علي الصابوني، مرجع سابق، 236.

[2]– مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام، القاهرة، 2003، ص 152.

3-الآية رقم 4

جدول رقم:(10) الحقوق المادية للمرأة

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
04	﴿وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾	الذمة المالية للمرأة

من سورة النساء تتعلق بالذمة المالية للمرأة التي كانت محرومة منها عبر التاريخ، فكل ما في ذمة المرأة من أموال لا يحق لأي شخص كان التصرف في أموالها من إرث ومهر وهبة إلا إذا سمحت هي بذلك عن طيب خاطر.

يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "والمقصود بالخطاب ابتداءهم الأزواج، لكيلا يتعذروا بحياء النساء وضعفهن وطلبهن مرضاتهم إلى غمص حقوقهن في أكل مهورهن...أو الأولياء لأن عادة بعض العرب أن يأكل ولي المرأة مهرها فرفع الله ذلك بالإسلام."[1]

والمهر هو منحة تقدير للزوجة تحفظ لها حياءها وكرامتها، يتقدم بها الزوج معبرا عن تقديره لزوجة المستقبل وكامل رغبته في إتمام الزواج بها، وقد فرضت الشريعة هذا المهر وحرصت على عدم الغلو فيه وضرورة التيسير في تحديده. [2]

ثم تأتي الآية رقم 24 لتثبت هذا الحق للمرأة بصيغة أخرى يقول الله عز وجل: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾[3]، فهو يجعل صداق المرأة فريضة مقابل الاستمتاع بها، أي عن طريق النكاح لا عن أي طريق آخر، وعليه أن يؤدي لها صداقها حتما مفروضا، لا نافلة، ولا تطوعا منه، ولا إحسانا، فهو حق لها عليه مفروض، وليس له أن يرثها وراثة دون مقابل-كما كان يقع في بعض الأحوال في الجاهلية- وليس له أن

[1]- الطاهر ابن عاشور، مرجع سابق، ص230.

[2]- نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دار الشروق جدة، 1998، ص28.

[3]- سورة النساء: الآية رقم 24

يقايض عليها مقايضة كما كان يقع في زواج الشغار في الجاهلية، وهو أن يتزوج الرجل امرأة في مقابل ان يدفع لوليها امرأة من عنده كأنهما بهيمتان أو شيئان.[1]

فالمهر فيه فائدة كبيرة للمرأة من الناحية المعنوية فهو تكريم لها ورفع من مكانتها، وأن الرجل لا يحل له الاستمتاع بها إلا إذا أدى حقها، وكذا من الناحية المادية فهي صاحبة المال دون منازع ولها الحرية التامة في التصرف فيه، فلها أن تستعين به في تجهيز نفسها وشراء مستلزماتها، أو أن تهبه أو تتصدق به فلها كامل الحرية في ذلك.

وهذا الحق الذي شرعه الله سبحانه وتعالى للمرأة نهى الرجل أن يأخذ منه شيئا في حال أراد الانفصال عنها في قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾[2]، يقول سيد قطب في هذا الباب: " ...فإذا تبين بعد الصبر والتجمل والمحاولة والرجاء، أن الحياة غير مستطاعه، وأن لابد من الانفصال، واستبدال زوج مكان زوج، فعندئذ تنطلق المرأة بما أخذت من صداق، وما ورثت من مال، لا يجوز استرداد شيء منه، ولو كان قنطارا من ذهب، فأخذ شيء منه إثم واضح ومنكر لا شبهة فيه...ومن ثم لمسة وجدانية عميقة، وظل من ظلال الحياة الزوجية وريف، في تعبير موح عجيب: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾[3]، ..ويدع اللفظ (أفضى) يرسم عشرات الصور لتلك الحياة المشتركة آناء الليل وأطراف النهار، وعشرات الذكريات لتلك المؤسسة التي ضمتهما فترة من الزمن.. فيتضاءل إلى جواره ذلك المعنى المادي الصغير، ويخجل الرجل أن يطلب بعض ما دفع...ثم يضم إلى ذلك الحشد من الصور والذكريات والمشاعر عاملا آخر، من لون آخر: هو ميثاق النكاح، باسم الله، وعلى سنة الله.. وهو ميثاق غليظ لا يستهين بحرمته قلب المؤمن، وهو يخاطب الذين آمنوا، ويدعوهم بهذه الصفة أن يحترموا هذا الميثاق الغليظ. [4]

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص625.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 20

[3]– سورة النساء: الآية رقم 21

[4]– سيد قطب، مرجع سابق، ص606-607.

إن الحفاظ على حقوق المرأة المادية والمعنوية وإصلاح أحوالها الاجتماعية والإنسانية، قد برع فيه القرآن وأنصفها أيما إنصاف، وهذا بشهادة المسلمين وغير المسلمين منهم على سبيل المثال لا الحصر:

قول **بول تيتو:** " ولا تنس أن القرآن أصلح حال المرأة في الحياة الاجتماعية إصلاحا عظيما"، وقالت جريدة **المونيتور** الفرنسية: " وقد أوجد الإسلام إصلاحا عظيما في حالة المرأة في الهيئة الاجتماعية، ومما يجب التنويه به أن الحقوق الشرعية التي منحها الإسلام للمرأة تفوق كثيرا الحقوق الممنوحة للمرأة الفرنسية".

وقال **فولتير:** " ولقد نسبنا إلى القرآن كثيرا من السخافات وهو في الحقيقة خال منها، إن مؤلفينا الذين كثروا كثرة الإنكشارية يجدون من السهل أن يجعلوا نساءنا من حزبهم بواسطة إقناعهن أن محمدَا اعتبرهن حيوانات ذات ذكاء، وأنهن في نظر الشريعة بمثابة الأرقاء، لا يملكن شيئا من دنياهن، ولا نصيب لهن في أخراهن، وبديهي أن هذا الكلام باطل، ومع ذلك فقد كان الناس يصدقونه.

نحن لا نجهل أن القرآن يميز الرجل تلك الميزة المعطاة له من الطبيعة ولكن القرآن يختلف عن التوراة في أنه لا يجعل ضعف المرأة عقابا إلهيا كما ورد في سفر التكوين الاصحاح الثالث العدد16. [1]

المهر هو حفظ لكرامة المرأة، "والمهر ليس أجرا ولا ثمنا، وإنما هو عطاء يوثق المحبة، ويديم العشرة ويربط القلوب"[2].

إن ما أُهلت به المرأة من عقل ومواهب روحية جعلها أهلا لتلقي شرف التكليف الإلهي بعبادة الله تعالى، وفعل الخير، فأولى أن تكون أهلا لما دون ذلك من القيم الاقتصادية على اختلاف أنواعها.. وقد كانت الأنوثة لدى –الرومان– من أسباب انعدام أهلية المرأة، وأنها لم تكن لدى –العرب– وغيرهم بأحسن حلا من حيث التملك والتصرف، فجاء الإسلام وجعل

[1]– مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص142–143.

[2]– محمد علي الصابوني: مرجع سابق، ص 231.

لها كالرجل حق مباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها، وجعلها صاحبة الحق المطلق على ملكها، ولم يجعل للرجل أيا كانت صفته أو قرابته منها.[1]

والمراد بتمكين المرأة: أي إكسابها القدرة على استخدام الموارد المتاحة واتخاذ القرارات الاستراتيجية التي تؤثر في حياتها؛ مما يمكنها من تحديد مصيرها وتحقيق مصلحتها وينطبق مفهوم التمكين على الفئات المهمشة في أي مجتمع ولا يقتصر على المرأة فقط، وظهر مفهوم "تمكين المرأة" في الثمانينات، وأصبح من المفاهيم المحورية في دراسات النوع الاجتماعي [2].

والتمكين الاقتصادي للمرأة: من المصطلحات الحديثة التي بدأ شيوعها في المحافل الدولية، وفي مختلف وسائل الإعلام منذ تسعينات القرن الماضي، إلا أن ذلك لا يعني وجود إجماع بيهم مشترك واضح لما تعنيه، الأمر الذي قد يؤدي إلى معاني مختلفة لهذا المصطلح، وتداعيات ذلك ستكون كبيرة عندما ينتقل الموضوع من حيز الخطاب إلى حيز التنفيذ الفعلي للسياسات والبرامج الهادفة إلى النهوض بأوضاع المرأة العربية [3].

ومدارس الفقه الإسلامي المختلفة وجهات نظر متباينة بشأن حقوق المرأة، تتراوح بين أشدها حطاً من مكانة المرأة، وتركيزا عليها بوصفها عورة ينبغي سترها، وتلك التي تعطي للمرأة مكانة كريمة تليق بإنسانيتها، وتعلي من أدوارها غير التقليدية خارج إطار المنزل، ولا يزال التنافس بين هذه المدارس محتدما داخل معظم المجتمعات العربية بدرجات متفاوتة، مع غلبة أحد الاتجاهين في كل مجتمع من المجتمعات العربية [4].

4-الآية11-12 توريث المرأة

جدول رقم:(11)

---

[1]- توفيق الواعي، مرجع سابق، ص 330.

[2]- ابتسام الكتبي وآخرون، النوع الاجتماعي وأبعاد تمكين المرأة في الوطن العربي، تحرير رويدا المعايطة، صادر عن منظمة المرأة العربية، القاهرة، 2010، ص 22.

[3]- إيمان عكوز، التمكين الاقتصادي للمرأة الواقع والآفاق وزارة العمل الأردنية نموذجا، منظمة العمل الدولية، ص3.

[4]- ابتسام الكتبي وآخرون، مرجع سابق، ص 26.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
11-12	﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك.. ﴾	تقرر الآية الكريمة منح المرأة حقها في الميراث.

وتبقى هذه الآيات في نفس السياق السابق المتعلق بالذمة المالية للمرأة، حيث أن الإسلام فرض التوريث للنساء وقد كان في الجاهلية لا يورثون النساء والأطفال والضعفاء، أما الإسلام فقد حدد نصيب كل وارث بغض النظر عن جنسه أو كبره أو صغره، قوته وضعفه، وسوف نتحدث عن هذا الموضوع بكل تفاصيله في جزء لاحق.

5-الآية 19 رفع الظلم عن المرأة ماديا ومعنويا

جدول رقم:(12)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
19	﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما ءاتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾	أبطل الله عضل النساء

أن الله أبطل عضل النساء بكل صورة ومنع تزويجهن بلا رضاهن، مما كان منتشرا في الجاهلية...كان بعضهم إذا مات الرجل منهم فأولياؤه أحق بامرأته، يرثونها كما يرثون البهائم والمتروكات، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاءوا زوجوها وأخذوا مهرها...وإن شاءوا عضلوها وأمسكوها في البيت دون تزويج حتى تفتدي نفسها بشيء...

ينتقل الحق إلى قضية يجتمع فيها ضعف اليتيم، وضعف النوع: ضعف اليتم سواء أكان ذكرا أم أنثى، وإن كانت أنثى فالبلوى أشد، فهي قد اجتمع عليها ضعف اليتم وضعف

النوع، طبعا فاليتيمة عندما تكون تحت وصاية وليها، يجوز أن يقول: إنها تملك مالا فلماذا لا أتزوجها لكي آخذ المال؟ وهذا يحدث كثيرا [1].

وكان بعضهم إذا توفي عن المرأة زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه، فمنعها من الناس وحازها كما يحوز السلب والغنيمة، فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت ويرثها... وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها، فيحبسها عن الزواج، حتى يكبر ابنه الصغير ليتزوجها ويأخذ مالها...وهكذا مما لا يتفق مع النظرة الكريمة التي ينظر بها الإسلام لشقي النفس الواحدة، ومما يهبط بإنسانية المرأة وإنسانية الرجل على السواء.. ويحيل العلاقة بين الجنسين علاقة تجار أو علاقة بهائم...ومن هذا الدرك الهابط رفع الإسلام تلك العلاقة إلى ذلك المستوى العالي الكريم...وحرم وراثة المرأة كما تورث السلعة والبهيمة، كما حرم العضل الذي تسامه المرأة ويتخذ أداة للإضرار بها. [2]

ثم تأتي اللمسة الأخيرة في الآية ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[3] والأمر القرآني هنا واضح للرجال بأن يحسنوا معاشرة النساء بالمعروف، والمطلع على أسرار اللغة العربية يجد في كلمة(المعروف) كل معاني السلوك القويم الذي يجب أن يكون بين الزوج وزوجه، والمعروف هو المودة والرحمة والسكن الذي أراده الله عندما أحل العشرة الزوجية ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [4]

ومع المودة والرحمة والسكن يصبح البيت ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ [5]، وتتحول الشجرة إلى شجرة ﴿خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ [6] إذا ما فقدت المودة والرحمة، والتعبير القرآني بليغ وهو يصور طبيعة المعروف المتمثل في الكلمة الطيبة والسلوك الحسن ويماثل بينه وبين الشجرة الطيبة ذات الأصول الراسخة والفروع الشامخة إلى السماء.

---

[1]– محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة، القاهرة، المجلد 4، ص 1996.

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص605.

[3] – سورة النساء: الآية رقم 19.

[4]– سورة الروم: الآية رقم 21.

[5]– سورة إبراهيم: الآية رقم 24–25

[6]– سورة إبراهيم: الآية رقم 26

اذن المعروف يجب أن يكون هو طابع العلاقة بين الزوج وزوجته...وهو السمة الأساسية لهذه العلاقة عشرة وإنفاقا وسلوكا، ويظل ذلك المعروف هو الطابع المميز لتلك العلاقة حتى عندما يرى الزوجان ضرورة انهاء علاقتهما الزوجية وذلك لقوله تعالى: ﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾ [1].[2]

ويختم الله سبحانه وتعالى الآية بقوله: ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[3] هذه اللمسة الأخيرة في الآية، تعلق النفس بالله وتهدئ من فورة الغضب، وتفثأ من حدة الكره، حتى يعاود الإنسان نفسه في هدوء... فالإسلام يقول للأزواج هكذا كي يستأني بعقدة الزوجية فلا تفصم لأول خاطر، وكي يستمسك بعقدة الزوجية فلا تنفك لأول نزوة، وكي يحفظ لهذه المؤسسة الإنسانية الكبرى جديتها فلا يجعلها عرضة لنزوة العاطفة المتقلبة، ونزوة الميل الحيواني المسعور، وحماقة الميل الطائر هنا وهناك. [4]

يقول الغزالي في حديثه عن إعمال العقل في هذه المسائل: " ولكن القدر الذي ينبغي أن يفزع إليه عند التحير أن يعلم أن العقل في أكثر الأمور يشير بالإصلاح للعواقب وإن كان فيه كلفة ومشقة في الحال، والهوى يشير بالاستراحة وترك التكلف، فمهما عرض عليك أمران ولم تدري أيهما أصوب فعليك بما تكره لا بما تهواه فأكثر الخلق في الكراهة".

ومن وسائل تغليب العقل على الهوى عند الغزالي استخدام الفكر ووضعه في خدمة العقل لا في خدمة الهوى، لأنه إذا استخدم العقل غلب به على الهوى، وإذا استخدم الهوى غلب به على العقل وأيهما سبق باستخدامه تغلب به على الآخر يقول هنا: " والفكرة مترددة بين الشهوة والعقل، العقل فوقها والشهوة تحتها فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرفت وولدت المحاسن، وإذا مالت إلى الشهوة تسفلت إلى أسفل السافلين وولدت القبائح".[5]

6-الآية21-23 نظام المحارم في سورة النساء

---

[1]- سورة البقرة: الآية رقم 229

[2]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص411-412.

[3] - سورة النساء: الآية رقم 19.

[4]- سيد قطب، مرجع سابق، ص605

[5]- مقداد يالجن، مرجع سابق، ص553-554.

جدول رقم:(13)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
21-22	﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا، حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن.. ﴾	قواعد تأسيس وتنظيم الأسرة في سورة النساء

تحدد هذه الآية نظام المحارم في الإسلام والقيود التي وضعتها الشريعة من أجل حماية وتنظيم الأسرة، هذا الكيان الذي أحاطه الله سبحانه وتعالى بكل أنواع العناية والوقاية لأنه أساس الحياة الاجتماعية وأساس بناء فرد سوي العقيدة والسلوك والبدن، فنظام المحارم نعمة من نعم الله علينا لا ندرك حتى الآن جل الفوائد والأهداف التي نجنيها من هذا النظام الرباني.

كان سائدا في العصور الفرعونية القديمة أن يتزوج أفراد العائلة الحاكمة من بعضهم البعض، كأن يتزوج الأخ من شقيقته لحفظ الدم الملكي والزعامة الملكية، وهذا ما حدث بالفعل، كما يقول علماء المصريات، والذين يغزون الإعاقة في ساق الملك الشاب " توت عنخ أمون" إلى أن والده ووالدته هما أخ تزوج من أخته، وبعيدا عن الأسباب البيولوجية لتحريم هناك العديد من النتائج الاجتماعية لهذا التحريم...ربما نعمة وجود مفهوم المحارم هي من النعم المغبونة التي لا نشكر الله عز وجل عليها كثيرا كفاية، إن تداعيات ونتائج وجود مفهوم نظام المحارم عميقة الأثر في حياة كل منا، فهل حقا ندرك مدى أهمية وعمق هذا الأثر؟ وكيف يكون حماية للفرد والأسرة والمجتمع؟ [1].

وضعت هذه الآيات قيودا على الزواج، ومن هذه القيود ما هو أبدي ومنها ما هو محرم مؤقت:

[1]- ياسمين يوسف، المحارم، مرصد ومدونات عمران، 2021/02/01.

أ-المحـارم الدائمـة: وتضـم هـذه المحـارم مـا حـرم بسـبب المصـاهرة أو النسـب أو الرضـاع، حيث يحرم الإسلام زواج الرجل أو المرأة بأي من الأصول أو الفروع، والأصول تشمل الآباء والأمهات وإن علو، والفروع تضم الأبناء والبنات وإن نزلن، كما تشمل الاخوة والأخوات والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت﴾ [1]، إذا المحرمات بالنسب هن الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت.

وتضيف النصوص القرآنية نمطا آخر من التحريم أصولا وفروعا وهو التحريم الناشئ عن الرضاع نظرا لعلاقة الأخوة الناشئة عنه حيث يقول الله تعالى: ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ [2]

أما التحريم الناشئ عن المصاهرة فقد شمل أم الزوجة التي دخل بها وابنتها وذلك لقوله تعالى: ﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ [3]، كما ضم هذا التحريم زوجة الأب وذلك لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء﴾ [4]، ويشمل التحريم كذلك زوجة الابن لقوله تعالى: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ [5]

ب-المحارم المؤقتة: التحريم المؤقت أي مشروط بشرط فلا يصح الزواج إلا بعد زوال هذا المانع، ويعد الجمع صورة من صور التحريم المؤقت، فليس من حق الزوج أن يجمع بين الأختين وذلك لقوله تعالى: ﴿وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾، وكذلك الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، ومن صور الجمع أيضا ان يجمع الرجل بين أكثر من أربع زوجات في وقت واحد، من صور التحريم هذا أيضا زواج المرأة وهي في العدة (طلاق أو وفاة)، كما

---

[1]- سورة النساء: الآية رقم 22

[2]- سورة النساء: الآية رقم 23.

[3]- سورة النساء: الآية رقم 23

[4]- سورة النساء: الآية رقم 22

[5]- سورة النساء: الآية رقم 22

لا يجوز زواج الحامل حتى تضع حملها، والمشركة حتى تؤمن لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾[1].[2]

هذه هي المحرمات في الشريعة الإسلامية، ولم يذكر النص علة للتحريم–لا عامة ولا خاصة–فكل ما يذكر من علل إنما هو استنباط ورأي وتقدير.

فقد تكون هناك علة عامة، وقد تكون هناك علل خاصة بكل نوع من المحارم، وقد تكون هناك علل مشتركة بين بعض المحارم، وعلى سبيل المثال يقال: إن الزواج بين الأقارب يضوي الذرية ويضعفها مع امتداد الزمن، لأن استعدادات الضعف الوراثية قد تتركز وتتأصل في الذرية، على عكس ما إذا تركت الفرصة للتلقيح الدائم بدماء أجنبية جديدة، تضاف استعداداتها الممتازة، فتجدد حيوية الأجيال واستعداداتها.

أو يقال: إن بعض الطبقات المحرمة كالأمهات والأخوات والبنات والعمات والخالات...يراد أن تكون العلاقة بهن علاقة رعاية وعطف، واحترام وتوقير، فلا تتعرض لما قد يجد في الحياة الزوجية من خلافات تؤدي إلى الطلاق والانفصال... فتخدش المشاعر التي يراد لها الدوام...إلخ

وأيا ما كانت العلة فنحن نسلم أن اختيار الله لا بد وراءه حكمة، ولا بد فيه مصلحة.. ثم تبقى كلمة أخيرة عامة عن هذه المحارم، ونص التشريع القرآني المبين لها: إن هذه المحرمات كانت محرمة في عرف الجاهلية فيما عدا حالتين اثنتين: ما نكح الآباء من النساء، والجمع بين الأختين فقد كانتا جائزتين –على كراهة من المجتمع الجاهلي، ولكن الإسلام لم يستند إلى عرف الجاهلية في تحريمها، إنما حرمها ابتداء، مستندا إلى سلطانه الخاص، وجاء النص: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم..﴾ والأمر في هذا ليس أمر شكليات إنما هو أمر هذا الدين كله، وإدراك العقدة في هذا الامر هو إدراك لهذا الدين كله، وللأصل الذي يقوم عليه: أصل الالوهية وإخلاصها لله وحده.[3]

---

[1]– سورة البقرة: الآية رقم 221

[2]– صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص404–407.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص609–610.

والعلوم الحديثة أعانتنا في فهم كثير من أحكام الله، لأنهم وجدوا أن كل تكاثر سواء أكان في النبات أم في الحيوان أم في الإنسان أيضا، كلما ابتعد النوعان " الذكورة والأنوثة" فالنسل يجيء قويا في الصفات، أما إذا كان الزوج والزوجة أو الذكر والأنثى من أي شيء: في النبات والحيوان والإنسان قريبين من اتصال البنية الدموية والجنسية فالنسل ينشئ ضعيفا، ولذلك يقولون في الزراعة والحيوان: (نهجن) أي نأتي للأنوثة بذكورة من بعيد.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا: " اغتربوا ولا تضووا" وقال: " لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا"[1] فالرسول يأمرنا حين نريد الزواج ألا نأخذ الأقارب، بل علينا الابتعاد، لأننا إن أخذنا الأقارب فالنسل يجيء هزيلا، وبالاستقراء وجد أن العائلات التي جعلت من سنتها في الحياة ألا تنكح إلا منها فبعد فترة ينشأ فيها ضعف عقلي، أو ضعف جنسي، أو ضعف مناعي... فمعنى (ضوي) في الحديث (هزل)، وقبل ما يقول النبي هذا الكلام وجد بالاستقراء في البيئة الجاهلية هذا، ولذلك يقول الشاعر الجاهلي:

أنصح من كان بعيد الهم
تزويج أبناء بنات العم
فليس ينجو من ضوي وسقم

إذن فالمسألة مشتبكة في القرابة القريبة، والله يريد قوة النسل، قوة الانجاب ويريد أمرا آخر هو: أن العلاقة الزوجية دائما عرضة للأغيار النفسية، فالرجل يتزوج المرأة وبعد ذلك تأتي أغيار نفسية ويحدث بينهما خلاف مثلما قلنا في قوله تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ [2]، ويكره منها كذا وكذا، فكيف تكون العلاقة بين الأم وابنها إذا مل حدث شيء مثل هذا؟ والمفروض أن لها صلة تحتم عليه أن يظل على وفاء لها، وكذلك الأمر بالنسبة للبنت أو الأخت أو العمة أو الخالة، فيأمر الحق الرجل: ابتعد بهذه المسألة عن مجال الشقاق.

[1]– رواه إبراهيم الحربي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورواه مرفوعا على عمر.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 20

ومن حسن العقل وبعد النظر ألا تدخل المقابلات في الزواج، أو ما يسمى بزواج البدل حيث يتبادل رجلان الزواج، يتزوج كل منهما أخت الآخر مثلا، فإذا حدث الخلاف في شيء حدث ضرورة في مقابله وإن كان الوفاق سائدا، فحسن الفطنة يقول: إياك أن تزوج أختك لواحد ستأخذ أخته، فقد تتفق زوجة مع زوجها، لكن أخته قد لا تتوافق مع زوجها الذي هو شقيق الأخرى، وتصوروا إحساس الأم حين ترى الغريبة مرتاحة عند ابنها لكن ابنتها تعاني ولا تجد الراحة في بيت زوجها، ماذا يكون الموقف؟ نكون قد وسعنا دائرة الشقاق والنفاق عند من لا يصح أن يوجد فيه شقاق ونفاق. [1]

إن سورة النساء جاءت لتنتشل المرأة من رواسب الجاهلية التي كانت فيها كل المحارم تنتهك، وكل الحقوق تؤكل وتغتصب، ويجار فيها على النساء الضعيفات، وما كان سائدا فيها من فوضى في العلاقات الجنسية والعائلية، فهذه الآيات جاءت لتضع الحدود بين المرأة والرجل، وتبين المحرمات من النساء لكي تبنى الأسرة على المودة والرحمة وصلة الرحم، ويحفظ المجتمع من الاختلاط والفوضى، وبذلك تتحقق إرادة الله وهي الاستخلاف وعمارة الأرض وصلاحها.

7-الآية 32 سنة التفضيل في الخلق

جدول رقم:(14)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
32	﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما﴾	التفاضل في أنصبة الرجال وأنصبة النساء.

الرضا بما قسم الله وأن الحياة ليست حربا طاحنة بين الرجل والمرأة.

النص عام في النهي عن تمني ما فضل الله بعض المؤمنين على بعض.. من أنواع التفضيل في الوظيفة والمكانة، وفي الاستعدادات والمواهب، وفي المال والمتاع ... والتوجه

[1]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص2094-2096.

بالطلب إلى الله وسؤاله من فضله، بدلا من اضاعة النفس حسرات في التطلع إلى التفاوت، وبدلا من المشاعر المصاحبة لهذا التطلع من حسد وحقد... هذا التفاضل في أنصبة الرجال وأنصبة النساء كما هو واضح من سياق الآية...وهذا الجانب على أهمية كبرى في تنظيم العلاقة بين شطري النفس البشرية وإقامتها على الرضا وعلى التكامل، وإشاعة هذا الرضا في البيوت وفي المجتمع المسلم كله.

قالت أم سلمة: يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزو، ولنا نصف الميراث.. فأنزل الله الآية ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾ [1]، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه، والحالم في مستدركه. وفي رواية أخرى: لا نقاتل فنستشهد، ولا نقطع الميراث...ثم أنزل الله ﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾ [2]

إن المنهج الإسلامي في تقسيم الوظائف، وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء، والفطرة ابتداء جعلت الرجل رجلا والمرأة امرأة، وأودعت كلا منهما خصائص مميزة لتنوط بكل منهما وظائف معينة.. لا لحسابه الخاص، ولا لحساب جنس منهما بذاته، ولكن لحساب هذه الحياة الإنسانية التي تقوم وتنتظم وتستوفي خصائصها وتحقق غايتها–من الخلافة في الأرض وعبادة الله بهذه الخلافة– عن طريق هذا التنوع بين الجنسين، والتنوع في الخصائص والوظائف.. وعن طريق هذا التنوع ينشأ تنوع التكاليف وتنوع الأنصبة، وتنوع المراكز.. لحساب تلك الشركة الكبرى والمؤسسة العظمى.. المسماة الحياة. [3]

ولا شك أن ميدان إنشاء وتنشئة العنصر الإنساني، هو ميدان عمل المرأة بالدرجة الأولى، ويقارن الشيخ متولي الشعراوي بين ميدان عمل المرأة هذا وبين ميدان عمل الرجل خارج البيت، ويرى ان ميدان عمل المرأة أهم وأدق من ميدان عمل الرجل، لأن الرجل – بحكم عمله خارج البيت– إنما يتعامل مع الأشياء هي كلها مسخرة لخدمة الإنسان الذي هو أكرم ما في الوجود كله، أما المرأة فمهمتها التعامل مع هذا المخلوق الراقي الكريم على الله وهو الإنسان. فتتعامل معه كزوج فيسكن إليها وتريحه، ثم تتعامل معه جنينا في بطنها،

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 32

[2]– سورة آل عمران: الآية رقم 195.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص643.

ووكيدا في حضنها، ورضيعا تطعمه وتحنو عليه، وطفلا وصبيا وشابا تربيه وترعاه وتضرب له المثل.

يقول الأستاذ **عباس العقاد:** " فالمجتمع الذي يتزاحم فيه الرجال والنساء على عمل واحد في المصانع والأسواق، لن يكون مجتمعا صالحا، مستقيما على سواء الفطرة، مستجمعا لأسباب الرضى والاستقرار بين بناته وبنيه، لأنه مجتمع يبذر جهوده تبذير السرف والخطل، على غير طائل، ويختل فيه نظام العمل والسوق كما يختل فيه نظام الأسرة والبيت.

فالمرأة لم تزود بالعطف والحنان والرفق بالطفولة، والقدرة على فهمها وإفهامها، والسير على رعايتها في أطوارها الأولى، لتهجر البيت وتلقي بنفسها في غمار الأسواق والدكاكين... وسياسة الدولة كلها ليست بأعظم شأنا، ولا بأخطر عاقبة من سياسة البيت، لأنهما عالمان متقابلان: عالم العراك والجهاد، يقابله عالم السكينة والاطمئنان، وتدبير الجيل الحاضر يقابله تدبير الجيل المقبل... وكلاهما في اللزوم وجلالة الخطر سواء.

ولولا مركب النقص لكان للمرأة فخر بمملكة البيت، وتنشئة (المستقبل) فيه، لا يقل عن فخر الرجل(الحاضر) وحسن القيام على مشكلات المجتمع التي تحتاج إلى الجهد والكفاح. وهي لو رجعت إلى سليقتها لأحست أن زهوها بالأمومة، أغلى لديها وألصق بطبعها من الزهو بولاية الحكم ورئاسة الديوان فليس في العواطف الإنسانية شعور يملأ قلب المرأة، كما يملأه الشعور بالتوفيق في الزواج، التوفيق في إنماء البنين الصالحين والبنات الصالحات."

وإذا كان ميدان المرأة الحقيقي هو البيت بمن فيه وما فيه، فإن تركها لهذا الميدان وخروجها للعمل في المجتمع الخارجي على اتساعه يعد تخريبا للميدان الحقيقي الذي تركته، وللميدان الجديد الذي لم تعد له بالفطرة والاستعداد والدربة. [1]

ولكن هناك من الغرب –وللأسف من المسلمين أيضا –من يرفض هذا التحليل وهذا المنطق الذي يفرض نفسه، بحجة المساواة بين الرجل والمرأة، وأن الرجل يأكل حقوق المرأة ولا ينصفها...وغيرها من الحجج الباطلة التي تدعوا بها بعض حركات التحرر النسوية من أجل تشويه صورة المرأة في الإسلام، متناسين أن هذا الخروج يترتب عليه وللأسف آفات

[1]– احمد علي مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار الفكر العربي القاهرة، 2002، ص204–205(بتصرف).

وشرور اجتماعية لا يمكن احتواؤها، ويقترح الدكتور **ألكسيس كاريل** بعض الحلول لهذه المشكلة فيقول: " فيجب علينا منذ الآن أن نزود أبناء المستقبل من جهة وطلبة مدارس المعلمين من جهة أخرى بالمعلومات التي تنقصهم حول سلوكهم في حياتهم الخاصة، وحول تربية صغار الكائنات البشرية، ومع ذلك فإن كل من يرغب في تربية بعض الحيوانات لابد أن يقضي فترة تدريب في إحدى المزارع أو مدارس الزراعة، ولو خطر لأحد بأن يعد نفسه لهذا العمل بدراسة الآداب والرياضيات أو الفلسفة يعد جنونا، ومع ذلك فإن هذا النوع من الجنون هو الذي ترتكبه فتيات اليوم، فمعظمهن لا يعرفن شيئا في حقيقة الأمر غير ما اشتملت عليه مناهج المدرسة، ونرى الواحدة منهن تصل إلى سن الزواج وهي على تمام الجهل بمهمتها كامرأة، فمن البديهي أنه لابد من وجود مدارس خاصة لتعليم الشبيبة النسوية وظيفتها النوعية في المجتمع، فتتعلم الفتيات في هذه المدارس واقع الحياة وتكوين الأطفال بالطريقة العقلية.. لان المرأة من النوع البشري تختلف في تركيبها العضوي والعصبي والعقلي عن الرجل، فجعل التربية واحدة بالنسبة للصبيان والبنات فكرة رجعية وبقية من فترة ما قبل العلم في تاريخ البشرية. [1]

إن الدارس والملاحظ الجيد لوضع المرأة اليوم يجدها لازالت تتخبط في تيه الجاهلية القديم، ولكن في حلة جديدة وبريق خادع، يحرمها كل حقوقها تحت شعار الحرية والمساواة مع الرجل، فتركت بيتها وخرجت إلى المجتمع حاملة راية الصراع والحرب ضد الجنس الآخر، رغم أن الإسلام أخرجها من العبودية والقهر والذل الذي كانت تعيشه في الماضي، وأعطاها كل حقوقها المادية والمعنوية، وجعل الحياة بينها وبين الرجل تكامل وتعاون وعدل وفق منهج الله، وليس تفضيلا ومحابة للرجل على حساب المرأة، فلا تتمنى المرأة حقوق وخصائص الرجل وواجباته، ولا يتمنى الرجل حقوق المرأة وخصائصها وواجباتها

المطلب الثاني: اليتـــامى في سورة النساء

جدول رقم:(15) **الحقوق المادية والمعنوية لليتامى**

[1]– مقداد يالجن، مرجع سابق، ص459.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
02-06	﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا، وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء.. ﴾	اليتامى بين الحياة الاجتماعية والحياة العملية.

من بين الفئات الهشة والضعيفة التي ركزت سورة النساء على تبيان حقوقها وحماية مصالحها ورعايتها والحرص أشد الحرص على كفالتها هي اليتيم.

سوف نتحدث أولا عن اليتامى في الجاهلية من خلال بعض النصوص القرآنية:

1-اليتـــامى في الجاهلية

المجتمع الجاهلي مجتمع ضاعت فيه الحقوق وانتشر فيه الظلم والعدوان والأنانية، فمن خصال الكفار الجفوة والغلظة وقسوة القلب، وأكل أموال الناس بغير حق والاعتداء عليهم، وبخاصة الضعفاء منهم كاليتيم والمسكين.

جاء الحديث عن ذلك في موضعين في القرآن الكريم: أحدهما قوله تعالى: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحضون على طعام المسكين﴾[1]، جاء في هاتين الآيتين بيان حقيقة فتنة المال وصورتين من صور إمساكه بغير حق، فبدأ بأقبح وجوه الإمساك وهو عدم إكرام اليتيم مهيض الجناح مكسور الخاطر، والتقاعس عن إطعام المسكين خالي اليد جائع البطن ساكن الحركة، وهذان الجانبان من أهم مهمات بذل المال، والكفار يمسكون عنها ويمنعونها، وقد بين الله تعالى أن هذا الأمر به اقتحام العقبة عمد الشدة في قوله تعالى: ﴿فما اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة﴾[2]

جاءت هاتان الآيتان في سورة الفجر بعد ذكر ابتلاء الله عبد بالسراء والضراء، فيظن أن الأول كرامة والثاني إهانة، والأمر ليس كذلك قال تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه

[1]- سورة الفجر: الآية رقم 17-18

[2]- سورة البلد: الآية رقم 11_16.

فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه وقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ [1]، وقد تضمنت الآية ما يدل شناعة فعل هؤلاء باليتامى والمساكين، فإن فيها انتقالا وترقيا من الذم القبيح من القول إلى الأقبح من الفعل، والالتفات إلى الخطاب لتشديد التقريع وتأكيد التشنيع، وفيه من الإشارة إلى تنقيصهم ما فيه، والجمع باعتبار معنى الإنسان

إذ المراد هو الجنس، إي: بل لكم أفعال أحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال، حيث يكرمكم الله تعالى المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه، من أكرام اليتيم والمبرة به والإحسان إليه.

وأيضا فإن وقوف همة العبد عند مراد نفسه فقط من ضعف الهمة، ولذلك لامهم الله على عدم اهتمامهم بأحوال الخلق المحتاجين، فقال: ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ [2]، الذي فقد أباه وكاسبه واحتاج إلى جبر خاطره والإحسان إليه، فأنتم لا تكرموه بل تهينوه، وهذا يدل على عذم الرحمة في قلوبكم وعدم الرغبة في الخير.

﴿ولا تحضون على طعام المسكين﴾ [3]، أي لا يحض بعضكم بعضا على إطعام المحاويج والفقراء والمساكين من الناس، وذلك لأجل الشح على الدنيا ومحبتها الشديدة المتمكنة من القلوب، ولهذا قال: ﴿وتأكلون التراث﴾ [4]، أي المال المخلف ﴿أكلا لما﴾، أي ذريعا لا تبقون شيئا منه. [5]

فهذا هو تصور الإنسان لما يبتليه الله به من أحوال، ومن بسط وقبض ومن توسعة وتقدير.. يبتليه بالنعمة والإكرام، بالمال أو المقام، فلا يدرك أنه الابتلاء تمهيدا للجزاء، إنما يحسب هذا الرزق وهذه المكانة دليلا على استحقاقه عند الله للإكرام، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره، فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة، ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة.

---

[1]– سورة الفجر: الآية رقم 15_16

[2]– سورة الفجر: الآية رقم 17

[3]– سورة الفجر: الآية رقم 18

[4]– سورة الفجر: الآية رقم 21

[5]– بدر بن ناصر البدر، اليتيم في القرآن الكريم، كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة العلوم الشرعية، العدد 14، ص 225_227.

ويبتليه بالتضييق عليه في الرزق، فيحسب الابتلاء جزاء كذلك، ويحسب الاختبار عقوبة، وير في ضيق الرزق مهانة عند الله، فلو لم يرد مهانته ما ضيق عليه رزقه.

وهو في كلتا الحالتين مخطئ في التصور ومخطئ في التقدير، فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله لعبده، ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر... وقيمة العبد عند الله لا تتعلق بما عنده من عرض الدنيا، ورضى الله وسخطه لا يستدل عليه بالمنح والمنع في هذه الأرض... إنه يعطي لبتلي ويمنع ليبتلي، والمعول عليه هو نتيجة الابتلاء.

ليس بسط الرزق دليلا على الكرامة عند الله، وليس تضييق الرزق دليلا على المهانة والإهمال إنما الأمر أنكم لا تنهضون بحق العطاء، ولا توقون بحق المال، فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير الذي فقد حاميه وكافله...ولا تتحاضون فيما بينكم على إطعام المسكين، الساكن الذي لا يتعرض للسؤال وهو محتاج، وقد اعتبر عدم التحاض والتواصي على إطعام المسكين قبيحا مستنكرا، كما يوحي بضرورة التكافل في الجماعة في التوجيه والواجب وإلى الخير العام وهذه سمة الإسلام.

وقد كان الإسلام يواجه في مكة حالة من التكالب على جمع المال بكافة الطرق، تورث القلوب كزازة وقساوة، وكان ضعف اليتامى مغريا بانتهاب أموالهم وبخاصة الإناث منهم بصور شتى، وبخاصة ما يتعلق بالميراث، كما كان حب المال وجمعه بالربا وغيره ظاهرة بارزة في المجتمع المكي قبل الإسلام، وهي سمة الجاهليات في كل زمان ومكان. [1]

كما بين الله تعالى حال الكفار مع اليتيم في موضع آخر من القرآن فقال: ﴿أرءيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾ [2]، المراد بالاستفهام تشويق السامع إلى معرفة من سيق إليه الكلام... وهو خطاب لكل عاقل أي: أرأيت يا عاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه أيفعل ذلك لا لغرض،

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص3905–3906.

[2]– سورة الماعون: الآية رقم 1–3

فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الأبدية على نفسه من غير غرض أو لأجل الدنيا، فكيف يليق بالعاقل أن يبيع الكثير الباقي بالقليل الفاني. [1]

إن هذه السورة الصغيرة ذات الآيات السبع القصيرة، تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا... حيث أنها تبدأ بالاستفهام: من هو هذا الذي يكذب بالدين؟ ... وإذا الجواب ﴿فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾ وقد تكون هذه مفاجئة بالقياس إلى تعريف الايمان التقليدي.. ولكن هذا هو لباب الأمر وحقيقته.. إن الذي يكذب بالدين هو الذي يدفع اليتيم دفعا بعنف_ أي الذي يهين اليتيم ويؤذيه، والذي لا يحض على طعام المسكين، ولا يوصي برعايته، فلو صدق بالدين حقا ولو استقرت حقيقة التصديق في قلبه ما كان ليدع اليتيم، وما كان ليقعد عن الحض عن طعام المسكين.

إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان، إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية، المحتاجين إلى الرعاية والحماية.. وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة التي تمثل روح هذه العقيدة، وطبيعة هذا الدين أصدق تمثيل. [2]

إن الله سبحانه وتعالى جعل المال سبيلا للتكافل والتراحم والتعاون، فلا يجب أن نبخل به على المحتاجين والفقراء واليتامى وكل من له حق فيه، فهذه الأموال يجب أن تدور بين أفراد المجتمع لكي تعم الفائدة وينتفع الجميع منها وهذه هي الحقيقة التي يجب أن تترسخ في النفوس حتى يقضى على الفكر الجاهلي وتقتلع جذوره، وينظف المجتمع من هذه الرواسب.

2-العناية باليتامى من خلال سورة النساء

سوف نتحدث في هذا الجزء عن الاحسان إلى اليتامى ومخالطتهم وعدم الإساءة إليهم واعتبارهم أفرادا من أفراد الأسرة والمجتمع، وذلك فيما يلي:

[1]- بدر بن ناصر البدر، مرجع سابق، ص228.

[2]- سيد قطب، مرجع سابق، ص3985.

أولا: الاحسان إلى اليتامى

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجاري ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ [1]

اليتيم هو من فقد أباه قبل البلوغ، [2] ولا يوجد شيء يحزن ويهز النفس كفقد الأب وخاصة في مرحلة الطفولة، إذ يجد الطفل صعوبات كثيرة للتأقلم مع ظروف الحياة سواء المادية أو المعنوية، وفي سورة النساء العلاج الشافي والكافي لهذا اليتيم المسكين.

وكفى اهتماما بحق اليتامى وتنبيها على مزيد العناية بهم أن الله سبحانه وتعالى ربط الأمر بالإحسان إليهم بعد الأمر بتوحيده، وفي هذا دليل على أن عقيدة الأمة لا تكون كاملة وتحت عيونها يتيما قد أهملوه وحرموه العطف والحنان وهذا التصرف لا يكون إلا حين ينقص الايمان وتضعف العقيدة، وذلك يؤدي إلى الأنانية في الأمة ويجعل كل فرد يهتم بمصالحه الشخصية دون النظر إلى حقوق الآخرين ووجود عقيدة التوحيد يجعل الأمة متماسكة كالبنيان يشد بعضه بعضا، كالجسد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، هذا هو المجتمع المثالي الذي دعا إليه الإسلام، مجتمع فيه الغني ولكن لا يوجد المحروم، ويوجد فيه القوي ولكن لا يوجد المظلوم.

إن الدين الإسلامي ليست أوامره جامدة لا تحقق من ورائها معاني إنسانية، إنما الدين الإسلامي عقيدة تتيح علاقة الإنسان بربه، وعلاقته ببيته، وعلاقته بمجتمعه، ونلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى وجه الأمر بلفظ الجماعة وهذا دليل على المسؤولية الجماعية في الإسلام، فالجماعة كلها مسؤولة عن رعاية الضعفاء. [3]

وهكذا تتضح مرة أخرى تلك اللمسة الأساسية في المنهج الإسلامي، وهي ربط كل مظاهر السلوك وكل دوافع الشعور وكل علاقات المجتمع بالعقيدة، فإفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة والتلقي، يتبعه الاحسان إلى البشر ابتغاء وجه الله ورضاه، والتعلق بثواب الآخرة، في

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 36

[2]– إبراهيم مدكور، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية دار الشروق، القاهرة، 1981، ص747.

[3]– محمد مجاهد طبل، آداب معاملة اليتيم، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1992، ص 14-15.

أدب ورفق ومعرفة بأن العبد لا ينفق إلا من رزق الله فهو لا يخلق رزقه ولا ينال إلا من عطاء الله. [1]

فالإحسان إلى اليتيم يكون كما يحسن الإنسان إلى والديه وأهله وأقربائه المقربون، فطاعة الوالدين وبرهما مقرونان بالإحسان والعطف على اليتيم، كما جاء في الآية الكريمة.

ثم يربط الحق جل وعلا الاحسان بالعدل ويجعله واجب كوجوب العدل: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ [2]، وقوله تعالى:

﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾[3]، هاتان الآيتان تقرران حق اليتيمة حتى لا تكون موضعا للطمع من الأولياء حين يقدم الولي على نكاح اليتيمة فيبخسها قدرها ويهضمها حقها ويعطيها مهر مثلها، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى ﴾[4]، فقالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا أليهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمر أن ينكحوا من النساء سواهن... وقالت عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾[5]، رغبة أحدكم عن يتيمة إذا كانت قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن، إذا كن قليلات المال والجمال، وبذلك يكون قد صان الشرع الحكيم لليتيمة حقها حتى تكون مصونة من كل ما يحط من قدرها أو

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص660.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 3آ

[3]– سورة النساء: الآية رقم 126

[4]– سورة النساء: الآية رقم 126

[5]– سورة النساء: الآية رقم 126

يهبط من شأنها فإنها لا تقل منزلة عن غيرها اللاتي ليست هن يتيمات، فيتق الأولياء ربهم الذي أنذر بقوله تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾[1]

ويعلمنا الله سبحانه وتعالى أن من يطعمون الطعام لليتامى على حبه ابتغاء وجهه الكريم دون أغراض أو أهداف دنيوية زائفة إنما يؤدون عملا من أعمال الخير التي يلقون عليها أحسن الجزاء يوم القيامة حيث يتقون شر ذلك اليوم وينعمون بنعيم الله الذي ينقطع النعيم إلا مهن وذلك في قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا﴾ [2]

وإطعام اليتيم من الأقرباء مسئولية كبيرة على الراشدين من ذوي قرابته، ويعتبر ذلك أداة أو وسيلة تساعد من يفعله على اقتحام عقبات النفس والشيطان والدنيا إلى بر الأمان حيث السعادة والنعيم الأبدي فيقول تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ [3].[4]

فالإحسان إلى اليتيم يكون بتربيته والسهر على حمايته، والقيام بشؤونه وحفظ ماله وتحري العدل في ذلك كله، يولد لدى اليتيم إحساس بالانتماء إلى المجتمع وأنه عنصر مرغوب فيه، وبذلك يكون فردا صالحا، لأن فساده يهدد أمن واستقرار المجتمع خاصة والأمة عامة، وكذلك بالنسبة لليتيمة التي تجد الحضن الدافئ الذي يحنو عليها ولا يطمع في مالها وجمالها ويكون لها بمثابة الأب.

ثانيا: اليتامى والحياة الاجتماعية

إن مخالطة اليتامى وإدراجهم في الحياة الاجتماعية أمر لابد منه وقد حرصت آيات قرآنية عديدة على ترسيخ هذا المفهوم لدى المسلمين، ونذكر منها ما هو في مجال دراستنا.

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 1.

[2]– سورة الإنسان: الآية رقم 8–11.

[3]– سورة البلد: الآية رقم 11–17

[4]– محمد عزمي صالح، الرعاية الاجتماعية لليتامى في الإسلام، مكتبة وهبة، 1986، ص20–21.

يقول الله عز وجل: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [1]، لقد فعلت هذه النصوص القرآنية بإيحاءاتها العنيفة العميقة فعلها في نفوس المسلمين... وأشاعت فيها الخوف والتحرج والتقوى والحذر من المساس بأموال اليتامى...كانوا يرون فيها النار التي حدثهم الله عنها في هذه النصوص القوية فعادوا يجفلون أن يمسوها ويبالغون في هذا الاجفال.

من طريق عطاء بن السائب، عن سعد بن جبير، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: لما نزلت الآية انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء، فيحبسه له، حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله –صلى الله عليه وسلم–فأنزل الله ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾ [2].[3]

ولقد نزلت هذه الآية لتوضح للمسلمين في عهد رسول الله أسلوب معايشة اليتامى عندما سيطر الخوف عليهم من المساس بأموال اليتامى، والاقتراب منها الأمر الذي جعلهم يعزلونهم رغم معايشتهم ومخالطتهم مع صعوبة ذلك، حتى نزل قوله تعالى﴿ ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم، كما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأمثال في إصلاح اليتامى ومعاشرتهم ومخالطتهم كما في رواية أنس رضي الله عنه حيث قال: "خدمت الرسول ﷺ عشر سنين بالمدينة، وأنا غلام ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن أكون عليه، ما قال لي فيها أفٌّ قطٌّ، وما قال لي: لم فعلت هذا؟ أو ألا فعلت هذا". [4]

ويقول الرسول ﷺ: " خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه" أخرجه ابن ماجة، هذا الحديث إن دل على شيء فإنما يدل على ضرورة مخالطة اليتامى واشراكهم في الحياة الاجتماعية وتوفير لهم المأوى،

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 10

[2]– سورة البقرة: الآية رقم 218

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص589

[4]– محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص16–17.

واعتبارهم أفرادا من العائلة كي ينمو في جوي يسوده العطف والحنان والمودة والرحمة، حتى يكونوا أفراد صالحين في المجتمع.

إن هذا الاعتناء والمخالطة لليتامى وتوفير الحياة الأسرية لهم يعطيهم نوع من الاستقرار النفسي والاجتماعي، ويمدهم ببعض الحاجات التي تساعد الإنسان على أن يكون عنصرا فعالا في المجتمع، نذكر من هذه الحاجات:

1-الحاجات النفسية: تعتبر الحاجات النفسية للطفل محركا ودافعا للسلوك الإنساني، فالإشباع المحقق لهذه الحاجات يساهم في تكوين الشخصية السوية، والطفل اليتيم لا يختلف عن أقرانه في الإشباع النفسي، مع فارق جوهري أن هذا يتميز بخاصية شعوره المسبق بغياب أحد الوالدين أو كلاهما، مما يولد لديه نقصا رهيبا في حاجات نوعية، قد يتعذر على محيطه الاجتماعي توفير هذه الحاجات والاشباع النفسي منها ومن أهم هذه الحاجات:

الحاجة إلى الأمن الذي يعتبر من أهم الحاجات التي يسعى الإنسان بالفطرة إلى تأمينها، فالأمن مثبط ومزيل للشعور بالخوف، فالشعور بالأمن في كنف الأسرة بوجود الوالدين بما يضفيانه من شعور بمصدر القوة، لمجابهة كل خطر يهدد الطفل، هذا الشعور لدى الأطفال يعزز لديهم التعلق بوالديهم واعتبارهما مصدر الأمان، وعليه فإن الطفل اليتيم خاصة في بعض المراحل العمرية المتميزة بإدراك كنه الأمور والأحداث تكون له عواقب غير محمودة وآثار سلبية.[1]

هذا الشعور إذا تملك النفس البشرية خاصة بالنسبة للفئة الهشة للنسيج الاجتماعي ممثلة في الأطفال، كان لها بالغ الأثر في النمو النفسي والاجتماعي لهم، مما يولد لديهم عدم الرغبة في الاندماج المجتمعي، وقد يجنح الفاقد للأمن لسلوكيات مضرة به وبالآخرين.

الحاجة إلى الحب والانتماء أيضا من الحاجات الضرورية للنمو السليم للطفل، فكل فرد يحتاج إلى هذا الشعور الجميل بأنه محبوب، وأنه قادر على أن يحب هو أيضا، وأول مدارج هذا الشعور النبيل يكون بين الأم ووليدها، إن عدم إشباع هذه الحاجة عند الطفل اليتيم

[1] – هياق إبراهيم، التكفل النفسي والاجتماعي للطفل اليتيم في الوسط المدرسي في الجزائر الواقع والآفاق، مجلة تطوير العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلد 10ع 1، 2017، ص301.

تؤدي إلى شعوره بالنبذ وعدم الانتماء مما يعزز لديه الرغبة في الانطواء والتقوقع حول ذاته، ويصبح سيء التوافق ومضطربا نفسيا.

إن الحاجة لاحترام الذات وتقديرها، حاجة ملحة وضرورية يشعر الطفل من خلالها بذاته على المستوى الداخلي وجدانيا، وعلى المستوى الخارجي من خلال تجسيد ما يرغب في تحقيقه من مكانة بين أقرانه وفي محيطه الاجتماعي.

2-الحاجات الاجتماعية:

إن الحاجات النفسية والحاجات الاجتماعية للفرد يرتبطان ارتباطا عضويا من خلال التأثير المتبادل للعوامل المختلفة، والحاجات الاجتماعية على قدر من الأهمية في حياة الطفل حاضرا ومستقبلا، فهي الحاجات التي تتعلق بعلاقة الفرد بالمجتمع كالحاجة إلى المكانة الاجتماعية، لأن اجتماعية الإنسان لا جدال حولها، فالرغبة الملحة في تحقيق علاقات اجتماعية من سجايا الكائن البشري، فالطفل من خلال وجوده في كنف الأسرة يسعى لتحقيق مكانة مميزة، وذلك بالتقرب للوالدين والفوز برضاهم والعمل على اكتساب مكانة اجتماعية تساهم في تنشيط السلوك الإنساني، هذا الاشباع الذي يحققه الطفل يبعث في نفسه الشعور بالارتياح والطمأنينة، وعدم تحقيق هذا الاشباع بالنسبة لليتيم يكون سببا في ظهور حالات القلق والتوتر وما ينجر عنهما من آثار سلبية على الفرد والمجتمع.

إن علاقة الطفل بوالديه ومراقبته لكل التصرفات التي تصدر عنهم تجاه المواقف المختلفة، يولد لديه الرغبة في المحاكات لهذه السلوكيات واكتساب المعايير المجتمعية، لأن ذلك جزء من حاجاته التي يرغب في اشباعها، فالمعايير الاجتماعية بالنسبة له تحقيق لذاته، أما بالنسبة لليتيم قد تتحول علاقته بالمعايير الاجتماعية إلى نوع من الانتقام برفض كل المعايير والخروج عنها، واتباع معايير مختلفة نتيجة شعوره بعدم تحقيق ما يرغب فيه من المجتمع. [1]

[1]- هياق إبراهيم، مرجع سابق، ص304.

ثالثا: تأمين حياة الأبناء قبل الموت

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ [1]، تمس هذه اللمسة قلوب الآباء المرهفة الحساسية تجاه ذريتهم الصغار، بتصور ذريتهم الضعاف مكسوري الجناح، لا راحم لهم ولا عاصم، كي يعطفهم هذا التصور على اليتامى الذين وكلت إليهم أقدارهم، بعد أت فقدوا الآباء فهم لا يدرون أن تكون ذريتهم غدا موكولة إلى من بعدهم من الأحياء، كما وكلت إليهم هم أقدار هؤلاء.. مع توصيتهم بتقوى الله فيمن ولاهم الله عليهم من الصغار، لعل الله يهيئ لصغارهم من يتولى أمرهم بالتقوى والتحرج والحنان، وتوصيتهم بأن يقولوا في شأن اليتامى قولا سديدا، وهم يربونهم ويرعونهم كما يرعون أموالهم ومتاعهم. [2]

لقد كان الدين الإسلامي الحنيف سباقا في التنبيه لأثر الرعاية المبكرة للأطفال، حيث سبق ما توصل إليه علماء الوراثة المحدثون وذلك بالحض على حسن اختيار شركاء الحياة، كما أوصى به رسولنا الكريم ﷺ معشر المسلمين أن يتخيروا لنطفهم لأن العرق دساس، ولقد أثبت علماء الوراثة بعد أن جاءت توجيهات الرسول الكريم بمئات السنين أن الأطفال يتوارثون صفات الأبوين وخاصة ما كان منها جسميا أو عقليا أو نفسيا، كما أثبت علماء التربية والنفس والاجتماع أن عادات الأهل وطباعهم ومسالكهم في الحياة تنتقل إلى الأبناء بحكم التنشئة والتربية والمحاكاة.

ولم يقتصر الأمر على هذا النحو بل أرشدنا الرسول ﷺ إلى وسيلة تقي أبناءنا شر الشيطان حتى قبل أن تحمل بهم أمهاتهم وذلك بقوله: " أما لو أن احدكم قال إذا أتى أهله– أو قال حين يأتي أهله–بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك ولد لم يضره شيطان أبدا" أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي. [3]

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 9

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص577.

[3]– محمد عزمي صالح، مرجع سابق، ص14–15.

إذا يجب على الآباء الذين لهم أولاد صغار وذرية ضعاف يخشون ضياعهم بعد موتهم، أن يعملوا على تأمين حياة هؤلاء الصغار بوسائل أكدتها الآية الكريمة، تؤدي إلى حفظ حياة الصغار والضعفاء من الذرية وهذه الوسائل هي:

أ-تقوى الله والقول السديد

فالإنسان يؤمن مستقبل ولده بتقوى الله، وتقوى الله تشمل إصلاح العلاقة بين الإنسان وخالقه وبينه وبين الناس، فالإنسان إذا أدى ما عليه نحو الناس بالمعونة والكلمة الطيبة، فإنه بذلك يرسي أساس الحياة الطيبة لولده بعد موته. [1]

ولا يخفى علينا ما ورد في القرآن في قصة موسى عليه السلام والخضر في سورة الكهف،

يقول الله تعالى: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا﴾ [2]، والمتدبر في هذه الآية يجد أن الكنز الذي كان للغلامين اليتيمين تحت الجدار أراد الله جل شأنه أن يستخرجه لهما عند رشدهما لصلاح أبيهما رحمة من الله سبحانه وتعالى وذلك حفظا بصلاحه في نفسيهما ومالهما...

ولعل في ذلك حكمة من أعظم الحكم تعني توجيه المسلمين لرحمة أبنائهم والإحسان إليهم بصلاحهم حيث أن الأعمار بيد الله ولا يستبعد أحد أن تواتيه المنية ويترك من خلفه يتامى ينفعهم صلاحه في دنياهم كما ينفعه هو في أخراه. [3]

فالله سبحانه وتعالى يحفظ الأبناء بصلاح الآباء، ولا مانع بعد ذلك من اتخاذ الأسباب المادية بعد أن يؤدي الإنسان ما عليه من حق نحو المجتمع، كما قال الرسول ﷺ لسعد بن أبي وقاص: " إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أنك تتركهم عالة يتكففون الناس" أخرجه أحمد والبيهقي، حين طلب سعد بن أبي وقاص في مرضه من رسول الله أن يتصدق بنصف

---

[1]- محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص43.

[2]- سورة الكهف: الآية رقم 81

[3]- محمد عزمي صالح، مرجع سابق، ص22.

ماله فنهاه الرسول ﷺ فقال له: " بالثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة فقراء يسألون الناس" أخرجه البخاري ومسلم.[1]

والقول السديد من الأوصياء: ألا يؤذوا اليتامى، وان يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالأدب الحسن والترحيب ويدعوهم بقولهم يا بني ويا ولدي، وحين يتقي المؤمن الله فيما بين يديه يرزقه الله في أولاده. [2]

ب-الدعاء بحفظ الذرية

نظرا لما للدعاء من أثر عظيم في صلاح الأبناء، وجدنا خير الخلق وصفوتهم من الأنبياء والرسل يسألون الله تعالى ويلحون عليه سبحانه أن يصلح لهم ذرياتهم، وإن المتتبع لكتاب الله في هذا الموضوع يمكنه أن يخرج بنتيجة مفادها ان دعاء الآباء للأبناء منهج الأنبياء والصالحين من عباده، فنذكر مثلا:

دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يسأل ربه الولد الصالح، فيدعو ربه قائلا: ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ [3]، أي هب لي ولدا صالحا، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ [4]، ولم ينقطع دعاء إبراهيم الخليل عليه السلام لأبنائه بعد أن استجاب الله تعالى له، ورزقه الولد الصالح، بل استمر في الدعاء، مع الأخذ بجميع أسباب حسن التربية والإصلاح، فيسأل إبراهيم عليه السلام ربه لنفسه ولولده أن يجنبهم عبادة الأصنام وأن يجعله وذريته من مقيمي الصلاة، قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾ [6]

ويستمر الخليل في الدعاء بأن تمتد الرسالة في ذريته من بعده، فيقول عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب

---

[1]- محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص44.

[2]- محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2021.

[3]- سورة الصافات: الآية رقم 100

[4]- سورة الصافات: الآية رقم 101

[5]- سورة إبراهيم: الآية رقم 35

[6]- سورة إبراهيم: الآية رقم 40.

والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[1] ، فيكون من ذريته سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ الذي قال: " أنا دعوة أبي إبراهيم" رواه أحمد وأبو داود والبيهقي. [2]

فنغمة الدعاء، وموسيقى الدعاء، وجو الدعاء.. كلها حاضرة كأنها تقع اللحظة حية شاخصة متحركة.. وتلك إحدى خصائص التعبير القرآني الجميل رد المشهد الغائب الذاهب حاضرا يسمع ويرى، ويتحرك ويشخص وتفيض منه الحياة، إنها خصيصة (التصوير الفني) بمعناه الصادق اللائق بالكتاب الخالد.

وكانت الاستجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل هي بعثة هذا الرسول الكريم بعد قرون وقرون، بعثة رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل... إن الدعوة المستجابة تستجاب، ولكنها تتحقق في أوانها الذي يقدره الله بحكمته، غير أن الناس يستعجلون وغير الواصلين يملون ويقنطون. [3]

فعلينا أن نصنع مستقبلا باسما لأبنائنا بحسن علاقتنا بالله إذا ما انتهت حياتنا تركنا لهم غرة أعمالنا التي وضعنا بذورها، فكما يزرع الإنسان يحصد، وأن الله يخلف العبد الصالح في أولاده، فواجب المؤمن أن يترك أولاده وديعة عند الله تعالى بعدما يقدم لهم من عمل صالح ينتفعون به بعد موته.

فعندما حضرت الوفاة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وقد ترك أولاده دون أن يترك لهم شيء، فقيل: هؤلاء بنوك وكانوا أثنى عشر ألا توصي لهم بشيء فإنهم فقراء، فقال: " ﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾ [4]،

وهم بين رجلين إما صالح فالله يتولى الصالحين وإما غير صالح فما كنت لأعينه على فسقه، وفي رواية " أفأدع له ما يستعين به على معصية الله فأكون شريكه فيما يعمل بعد الموت؟ ماكنت لأفعل" ثم استدعى أولاده فودعهم وعزاهم بهذا، وأوصاهم بهذا الكلام ثم قال:

---

[1] – سورة البقرة: الآية رقم 129.

[2]– عصام محمد فهيم جمعة، الدعاء وأثره في صناعة الأبناء الصالحين، شبكة الألوكة آفاق الشريعة، مقال بتاريخ 2021/03/24.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص114–115.

[4]– سورة الأعراف: الآية رقم 196

" انصرفوا عصمكم الله وأحسن الخلافة عليكم، قال فلقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل على ثمانين فرسا في سبيل الله.

فالدعاء له أبلغ الأثر في صناعة الأبناء الصالحين وهدايتهم، فرب دعوة صادقة من أب أو أم، ردت شاردا أو أصلحت فاسدا، أو هذت ضالا أو قربت بعيدا.

اليتم ظاهرة اجتماعية في كل زمان ومكان، لا يخلوا منها مجتمع ولا دولة ولا أمة، وذلك أن بعض الآباء قد يتوفى قبل أن يبلغ ابنه سن الرشد، فيصبح ذلك الابن يتيما–ذكرا كان أم أنثى– لا يجد من يرعاه ويكفله، فيصبح ضعيفا مكسور الجناح، وسهل المنال هو وماله كما كان في الجاهلية القديمة –ما يزال يحدث الآن في الجاهلية الحديثة–من أكل لأمواله وإهانته وتحقيره وإذلاله، فحماه الله بالإسلام ونص له القوانين التي تصونه وتصون كرامته وتمكنه من العيش في مجتمعه بكرامة وعزة.

المطلب الثالث: السفهـــاء في سورة النساء

جدول رقم:(16) **أموال السفهاء بين التقوى والتبذير**

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
05	﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾	المال يعين على تقوى الله فـــلا يجـــب تبـــذيره ولا اسرافه.

تحدثت الآيات الأولى من سورة النساء عن اليتامى وبينت كما قلنا في السابق كل ما يخص هذه الفئة الضعيفة التي هي جزء من المجتمع، فوضعت لها القوانين والقواعد لحمايتها، وأثناء الحديث عن اليتامى وأموالهم وجدنا القرآن الكريم قد قرن لنا هذه الفئة بفئة أخرى أشد ضعفا من الأولى وهي السفهاء.

1–من هو السفيه؟

أصل السفه الخفة والحركة، ومنه يقال ثوب سفيه أي خفيف النسج، ثم صار السفه يستعمل في الجهل وخفة الحلم، ويستعمل السفه في الطيش ونقصان العقل والجهل في

الأمور الدينية والدنيوية، ويكون معناه حسب وروده في الآية فقد يكون معناه: ﴿سفه نفسه﴾ خسرها جهلا، أو قد يكون معناه في آية أخرى جهلا وحمقا ونقصان دين، أو نقصان عقل، أو شخص سيء التصرف، أو الحمق والطيش، أو الجُهال.[1]

ومما سبق ذكره يمكن القول إن السفيه هو: الجاهل الضعيف الذي لا رأي له، ولا يحسن التصرف في الأخذ والعطاء، المبذر لماله، المفسد لدينه المستحق للحجر عليه.

وردت كلمة السفيه في القرآن الكريم في عدة مواضع:

الجدول رقم:(17)

[1] – ابراهيم مدكور، مرجع سابق، ص299.

رقم الآية	نص الآية	السورة
13	﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾	البقرة
142	﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾	البقرة
05	﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾	النساء
155	﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾	الأعراف
130	﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾	البقرة
282	﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا ستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾	البقرة
140	﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾	الأنعام
66	﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة﴾	الأعراف
67	﴿قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾	الأعراف
04	﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾	الجن

ونحن في حديثنا عن السفيه نقصد الذي جاء ذكره في الآية ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ [1]، لأن سورة النساء هي مجال دراستنا، وكذلك ما رود في آية المداينة في سورة البقرة، لأن هاتان الآيتان هما اللتان تطرقتا إلى ما يتعلق بالسفهاء في أمورهم الدنيوية، أما بقية الآيات التي ذكر فيها لفظ السفيه ومشتقاته في القرآن الكريم فأكثرها تتعلق بالجانب الديني. [2]

[1]– سورة النساء: الآية رقم 5

[2]– عبده محمد يوسف، فقه التعامل مع السفهاء في ضوء القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جامعة صنعاء اليمن، العدد15، 2007، ص15–17.

فقد جعل الإسلام السعي في طلب المال والحرص عليه واجبا على كل مسلم، حيث يقول الرسول ﷺ: " طلب المال جهاد" و" طلب كسب الحلال زينة"، كما يؤكد النص القرآني ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ [1]، والنص يوضح مدى حرص الإسلام على صيانة الأموال وتحذيره من جعلها تحت تصرف المبذرين حتى لا يبددوها فيفقد الناس بذلك المصدر الذي ينهض عليه معاشهم ﴿التي جعل الله لكم قياما﴾.

بل وجعل الإسلام المال خير عون على تقوى الله وفي هذا يقول الرسول ﷺ: " نعم العون على تقوى الله المال" لذلك فإن من فقه الرجل أن يصلح معيشته، والمتتبع للنصوص القرآنية يجد المال خير معين على أداء فرائض الله وتنفيذ ما أمر به، حيث يلعب المال دورا أساسيا في التمكين لفريضة الجهاد وفي تحقيق علاقة البر والتكافل بين بين أعضاء المجتمع الإسلامي وذوي القربى فيه، علاوة على أن المال هو أساس الزكاة والصدقات والكفارات وكلها سبل لتقوى الله. [2]

ويقول الشعراوي في هذا الباب: " إن السفيه يملك المال إلا أن سفهه يمنعه من أن يحسن التصرف، وعدم التصرف الحكيم يذهب بالمال ويفسده، وحين يكون سفيها فالمال ليس له –تصرفا وإدارة– ولكن المال لمن يصلحه بالقوامة.

أو أن الحق سبحانه وتعالى يعالج قضية كان لها وجود في المجتمع وهي ان الرجل إذا ما كان له أبناء وكبروا قليلا، فهو يحب ان يتملص من حركة الحياة ويعطي لهم حق التصرف في المال، وإن كان تصرفهم لا يتفق مع الحكمة، فكأنه قال سبحانه: لا إياك أن تعطي أموالك للسفهاء بدعوى أنهم أولادك، وإياك أن تملك أولادك ما وهبه الله لك من رزقك، لأن الله جعل من مالك قياما لك، وإياك أن تجعل قيامك أنت في يد غيرك."[3]

ومعنى ﴿قياما﴾ لكم ولهم، قوام معايشكم، أو قوام عيشكم، أي ما يقيم به الناس معايشهم، قال محمد عبده: " لا يمكن أن يوجد في الكلام ما يقوم مقام هذه الكلمة(قياما)،

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 5

[2]– مصطفى صلاح الفوال، مرجع سابق، ص166.

[3]– محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2011–2012.

ويبلغ مل تصل إليه البلاغة من الحث على الاقتصاد وبيان فائدته ومنفعته، والتنفير على الإسراف والتبذير، الذي هو شأن السفهاء، وبيان غائلته وسوء مغبته، فكأنه قال إن مصالحكم الخاصة والعامة لا تزال قائمة وثابتة ما دامت أموالكم في أيدي الراشدين المقتصدين منكم، الذين يحسنون توفيرها وتثميرها، ولا يتجاوزون حدود المصلحة في إنفاق ما ينفقون منها، فهذا الدين هو دين الاقتصاد والاعتدال في الأموال، وفي الأمور كلها. ولذلك وصف الله تعالى المؤمنين بقوله: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [1].[2]

وحتى تحفظ هذه المصالح الخاصة والعامة، وتمنع من التبذير والاسراف يبين لنا القرآن الكريم صفات هؤلاء السفهاء كي يتمكن المجتمع من معرفتهم، وعدم السماح لهم بهدر مالهم والذي هو في نفس الوقت مال الأمة.

2-صفات السفيه

هناك عدة صفات للسفيه تم ذكرها في القرآن الكريم وهي على النحو التالي:

1-عدم تمييزه لمصلحة نفسه والسعي لإلحاق الضرر بها، قال تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ [3]، وإذا قيل للمنافقين آمنوا مثل ايمان الصحابة، وهو الايمان بالقلب واللسان والجوارح، جادلوا وقالوا: أنصدق مثل تصديق ضعاف العقل والرأي، فنكون نحن وهم في السفه سواء فرد الله عليهم بأن السفه مقصور عليهم، وهم لا يعلمون أن ما هم فيه هو الضلال والخسران.

2-سفاهة الرأي وتفاهة التفكير، قال الله تعالى: ﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾

---

[1]- سورة الفرقان: الآية رقم 67

[2]- رفيق المصري، مقال: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم، موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، 04أفريل2010.lefpedia.com/arab/؟p=17020.

[3]- سورة البقرة: الآية رقم 13.

[1]، أخبر الله تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن على أحكام الله وشرائعه.

3-البعد عن الحق في الحديث، يتحدث منحرفا عن الصواب وفي حديثه ظلم وجور، وتعدي من الحق إلى الباطل، وذلك بسبب قلة عقله ودينه، قال الله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾ [2]، أي قولا جائرا عن الصواب، متعديا للحد، وما حمله على ذلك ألا سفهه وقلة عقله، وإلا فلو كان رزينا مطمئنا لعرف كيف يقول.

4-نقص في العقل عن حمق وجهل، قال الله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [3]، ولا أحد يعرض عن دين إبراهيم وهو الإسلام -إلا من سفه نفسه-أي إذا حملها على الجهل بأنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته.

وقال تعالى أيضا: ﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ [4]، قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله في جهالة، وإنا نعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

5-أفعاله وأقواله تكون بغير علم، قال الله تعالى: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾[5] ، قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله كذبا على الله، قد بعدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد، فالتحليل والتحريم من خصائص الألوهية في التشريع، والحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه الله، وليس لأحد من خلقه فردا كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

6-لا يحسنون التصرف في أموالهم، قال الله تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم فيها قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾[6] ، وقال أيضا: ﴿فإن

---

[1]- سورة البقرة: الآية رقم 142

[2]- سورة الجن: الآية رقم 4

[3]- سورة البقرة: الآية رقم 130

[4]- سورة الأعراف: الآية رقم 66

[5] - سورة الأنعام: الآية رقم 140

[6] - سورة النساء: الآية رقم 5.

كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾[1] ولا تؤتوا أيها الأولياء من يبذر من الرجال والنساء والصبيان أموالهم التي تحت أيديكم فيضيعوها في غير وجهه، فهذه الأموال هي التي عليها قيام حياة الناس، وأنفقوا عليهم منها واكسوهم، وقولوا لهم قولا معروفا من الكلام الطيب والخلق الحسن. [(2)]

هذه هي أهم الصفات التي تميز الشخص السفيه سواء أكان كبيرا أو صغيرا، ذكرا أو أنثى، عن غيره من الأشخاص العاديين، فهذا السفه من تعطيل العقل والعمل بالهوى وتبذير المال وعدم مراعاة المصلحة الخاصة والمصلحة العامة، فجعل الله له ضوابط وأمر باحتواء هذه الفئة وعدم تركها لهواها ووضح كيفية التعامل معها.

3-التعامل مع السفهاء حسب ما جاء في سورة النساء

إن التعامل مع السفهاء حسب ما جاء في الآية الكريمة ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالك التي جعل الله لكم قياما ورزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾ له شقان الأول مادي (التعاملات المالية) والثاني معنوي (معاملة نفسية وإنسانية) ولنا تفصيل في المسألتين.

أ-الجانب المادي الذي تشير إليه الآية: ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾

نظرا إلى أن فائدة المال واستثماراته وتوجيهاته تعم المجتمع كله أضافه الله سبحانه وتعالى تارة إلى نفسه، وجعل المالكين له مستخلفين في حفظه وتنميته وإنفاقه أو استهلاكه حسب توجيهاته سبحانه حيث يقول: ﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾[(3)]، وأضافه الله تارة إلى الجماعة وجعله كله بتلك الإضافة ملكا لها حيث قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[(4)]، وقال تعالى: ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾[(5)]، وهذا يعني ان الاعتداء عليها أو التصرف السيء فيها

[1] – سورة البقرة: الآية رقم 282.

[(2)]– موقع مع الله، مفهوم السفاهة في القرآن الكريم، 05 فيفري2023.https: //maa-allah.com/.

[(3)]– سورة الحديد: الآية رقم 7

[(4)]– سورة النساء: الآية رقم 29

[(5)]– سورة النساء: الآية رقم 5

هو اعتداء أو تصرف سيء واقع على المجتمع، ولا شك أن هذا أمر منطقي متفق مع ما قرره الإسلام من أن المال أداة لصالح المجتمع كله به تحيا الأرض وتقام الصناعات... وبه يساهم أصحابه في سد حاجات المحتاجين، وإن لم يكن بعاطفة التعاون والتراحم فبحكم الفرض الذي أوجبه الله في أموال الأغنياء للفقراء وفي سبيل الله.[1]

يقول سيد قطب: " أما السفهاء من اليتامى ذوي المال الذين لا يحسنون تدبير المال وتثميره، فلا يسلم لهم، ولا يحق لهم التصرف فيه والقيام عليه–وإن بقيت لهم ملكيتهم الفردية فيه لا تنزع منهم– إنما يعود التصرف في مال الجماعة إلى من يحسن التصرف فيه من الجماعة، مع مراعاة درجة القرابة لليتيم، تحقيقا للتكافل العائلي، الذي هو قاعدة التكافل العام بين الأسرة الكبرى، وللسفيه حق الرزق والكسوة في ماله.[2]

ولكن الإنفاق عليهم من أموالهم (رزقهم وكسوتهم) كيف يتم؟ فهل يكون الإنفاق عليهم من صلب أموالهم مباشرة؟ أم يكون من أرباحها بعد السعي إلى تنميتها؟

يرى أكثر الفقهاء ان الإنفاق عليهم يكون من أرباح أموالهم لا من أصولها، ولذا قالوا في معنى قوله: ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ أمرهم الله بأن يجعلوا هذه الأموال مكانا لرزقهم وكسوتهم، بأن يتجروا بها ويربحوا حتى تكون نفقاتهم من الأرباح لا من صلب المال، لئلا يأكله الإنفاق، وهذا ما يقتضيه جعل الأموال نفسها ظرفا للرزق والكسوة فقال: ﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾ ولم يقل (منها)... وأثر التعبير ب(في) على (من) مع أن المعنى عليها إشارة إلى أنه ينبغي للولي أن يتجر لموليه في ماله ويربحه له، حتى تكون نفقته عليه من الربح لا من أصل المال.[3]

وفي قوله تعالى: ﴿وارزقوهم فيها﴾ أضيفت الأموال إلى ضمير المخاطبين بـ(يا أيها الناس) إشارة بديعة إلى أن المال الرائج بين الناس هو حق لمالكيه المختصين به في ظاهر الأمر، ولكنه عند التأمل تلوح فيه حقوق الأمة جمعاء لان في حصوله منفعة للأمة كلها، لأن ما في أيدي بعض أفرادها من الثروة يعود إلى الجميع بالصالحة، فمن تلك الأموال ينفق

---

[1]– نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص262–263.

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص575.

[3]– عبده محمد يوسف، مرجع سابق، ص36.

أربابها ويستأجرون ويشترون ويتصدقون ثم تورث عنهم إذا ماتوا فينتقل المال من يد إلى غيرها فينتفع العاجز والعامل والتاجر والفقير وذو الكفاف، ومتى قلت الأموال من أيدي الناس تقاربوا في الحاجة والخصاصة، فأبحوا في ضنك وبؤس... وذلك من أسباب ابتزاز عزهم وامتلاك بلادهم، وتصيير منافعهم لخدمة غيرهم، فلأجل هذه الحكمة أضاف الله تعالى الأموال إلى جميع المخاطبين ليكون لهم الحق في إقامة الأحكام التي تحفظ الأموال والثروة العامة[1]. إذا هذا هو التعامل المادي مع السفهاء وأموالهم الذي أوضحته لنا الآية الكريمة بكل تفاصيله.

ب-الجانب المعنوي الذي تشير إليه الآية ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾

وكما أرشدتنا الآية الكريمة إلى فقه التعامل مع السفهاء زمع كل من نعولهم ماديا، أرشدتنا أيضا إلى فقه التعامل معهم معنويا، لأن الاحسان المادي المصحوب بخشونة التعامل القولي والمعنوي، قد لا يؤدي مقصده الشرعي، بل قد يؤثر على الإحسان المادي سلبا، ولربما أبطلته بالكلية، ودخل في باب إبطال الأعمال بالمن والأذى، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾[2] ولذا أرشدنا القرآن إلى حسن التعامل مع الأقارب واليتامى والمساكين عند حضورهم القسمة فقال تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا﴾[3] أي بمعنى: أيها الولاة قولوا لمن تحت ولايتكم من السفهاء كلاما طيبا تطيب به نفوسهم، ولا تجمعوا بين الحرمان وجفاء القول، ولكن حسنوا لهم الكلام لأن القول الجميل يؤثر في القلب فيزيل السفه، أما خلاف القول بالمعروف فإنه يزيد السفيه سفها ونقصانا.[4]

وإنما قال ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ ليسلم إعطاؤهم النفقة والكسوة من الأذى، فإن شأن من يخرج المال من يده أن يستثقل سائل المال، وذلك سواء في العطايا التي من مال المعطي، والتي من مال المعطي، ولأن جانب السفيه ملموز بالهون، لقلة تدبيره، فلعل ذلك

---

[1]- ابن عاشور، مرجع سابق، ص234-235

[2] - سورة البقرة: الآية رقم 264.

[3] - سورة النساء: الآية رقم 8.

[4]- عبده محمد يوسف، مرجع سابق، ص38.

يحمل وليه على القلق من معاشرة اليتيم فيسمعه ما يكره مع أن نقصان عقله خلل في الخلقة، فلا ينبغي أن يشتم عليه، ولأن السفيه غالبا يستنكر منع ما يطلبه من واسع المطالب، فقد يظهر عليه أو يصدر منه كلمات مكروهة لوليه، فأمر الله لأجل ذلك كله الأولياء بأن لا يبتدئوا محاجيرهم بسيء الكلام، ولا يجيبوهم بما يسوء، بل يعظون المحاجير، ويعلمونهم طرق الرشاد ما استطاعوا، ويذكرونهم بأن المال مالهم، وحفظه حفظ لمصالحهم، فإن في ذلك خيرا كثيرا، وهو بقاء الكرامة بين الأولياء ومواليهم، ورجاء انتفاع الموالي بتلك المواعظ في إصلاح حالهم.[1]

إن ما أرشدت إليه الآية الكريمة هو القول الحسن والجميل لهؤلاء السفهاء، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أخلاق حسنة رفيعة في التعامل مع هذه الفئة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، وحتى لا يبطل الإنسان فعل الخير بالمن والأذى، ويساعد في النهوض بالمجتمع الذي يكون فيه التكافل الاجتماعي والتعاون بين فئاته وشرائحه السمة الغالبة عليه، وكذا لا يصلح حال البلاد والعباد إلا إذا اتقوا الله في هذه الفئات الهشة والضعيف

[1]– ابن عاشور، مرجع سابق، ص236–237.

الفصل الرابع:
البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء

المبحث الأول: الجهاد قواعده وفضله كأسلوب لحماية فئة الضعفاء في سورة النساء

المطلب الأول: قواعد الجهاد في سورة النساء

المطلب الثاني: فضل الجهاد في سورة النساء

المبحث الثاني: الميراث المنظومة المالية في سورة النساء

المطلب الأول: الأسرة محور عملية التوريث وانتقال الملكية

المطلب الثاني: الميراث نظام يرفض تكديس الأموال

المطلب الثالث: للذكر مثل حظ الانثيين

المطلب الرابع: الدين والوصية

المبحث الثالث: اختبار اليتامى وقدرتهم على إدارة أموالهم

المطلب الأول: أموال اليتامى

المطلب الثاني: قدرة اليتامى على إدارة الأموال

المطلب الثالث: صيانة أموال اليتامى وتطويرها

تمهيد:

أهم الوسائل التي قررتها سورة النساء لحماية الفرد والمجتمع–على سبيل المثال لا الحصر لأن الوقت لا يسعنا للبحث فيها كلها– الجهاد في سبيل الله لنصرة الدين والعباد، الميراث الذي هو أساس يقام عليه كيان الدولة وهو تداول الأموال بين أيدي الناس لتعم فائدته على الجميع، من بين الحلول التي وضعتها السورة لضمان حق المستضعفين هي اختبار اليتيم والسفيه حتى ترد إليهم أموالهم، والإشهاد على هذه العملية حتى لا يأكلها مواليهم ظلما وعدوانا. إذا هذه أهم الأساليب في سورة النساء لحماية الإنسان وعرضه وشرفه وماله وبلاده، سنتعرض لها حسب أهميتها.

المبحث الأول: الجهاد قواعده وفضله كأسلوب لحماية فئة الضعفاء في سورة النساء

المطلب الأول: قواعد الجهاد في سورة النساء

قبل الحديث عن الجهاد وقواعده وكيفية حماية فئات المجتمع عن طريق القتال والحروب، يجب معرفة أغلب الآيات التي جاءت في سورة النساء تحث على الجهاد وبيان قواعده وهذا الجدول يضم أهم الآيات القرآنية التي تنص على الجهاد:

جدول رقم (18) **آيات الجهاد في سورة النساء**

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
71-73	﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتا أو انفروا جميعا، وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾	قواعد الجهاد في سورة النساء
74	﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾	
84	﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾	

1-القاعدة الأولى:

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتا أو انفروا جميعا، وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾ [1]،

هذه أول قاعدة في القتال وهي الحذر والحيطة من أن يخدعهم العدو ويباغتهم ويلحق بهم الخسائر.

وفي هذا السياق يقول ابن عاشور: " وابتدأ الأمر بأخذ الحذر وهي أكبر قواعد القتال لاتقاء خدع الأعداء، والحذر هو توقي المكروه، ومعنى ذلك أن لا يغتروا بما بينهم من هدنة

[1]- سورة النساء: الآية رقم 71-73

وصلح الحديبية فإن العدو وأنصاره يتربصون بهم الدوائر، ومن بينهم منافقون هم أعداء في صورة أولياء". [1]

كان الرسول ﷺ يدرك من أول يوم أن مؤسسات الجاهلية سوف تتحرش بالدولة الوليدة، فلابد من إعداد العدة للدفاع عنها ولتأمينها، وتحسبا للهجمات الحتمية التي تشنها القوى المعادية للإسلام، لا لسبب سوي أنه النقيض لقوى الشر والعدوان ولمصالح قوى البغي والاستكبار... ولقد نوه القرآن الكريم بتلك الحتميات.. حتميات الصراع بين الإسلام والكيانات التي تمثل قوى البغي والاستكبار.. فكانت دعوة القرآن للمؤمنين لليقظة القصوى والحذر وعدم الركون إلى الدعة والخمول والغفلة. [2]

قال الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم.. وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾ [3]

هذه الآية الكريمة دستور كامل في حد ذاتها.. فلا سبيل إلى السلامة ولا طريق إلى الإسلام من غير قوة، وجاءت الإشارة إلى القوة مهملة من دون تعريف لتدل على أن القوة المطلوبة هي القوة الشاملة في كل مجال من مجالات الحياة تلك المجالات التي لا تتكون القوة العسكرية بمعزل عنها. فلا قوة للدفاع من دون الصناعات العسكرية ولا قوة للدفاع من دون القوة العلمية المنهجية ولا قوة لذلك من دون قوة الإيمان والفداء والتضحية بالنفس والنفيس.. ولا يتأتى ذلك من دون المال والقدرة والرغبة في بذل المال في سبيل الله.. والإشارة واضحة بأن الدفاع يكلف مالا كثيرا ولكته مال يبذل في مكانه وفي موضعه وإن الله تعهد بتعويض كل إنفاق في سبيل الدفاع عن دولة الإسلام.. والدفاع يأخذ أولوية كبرى ذلك أنه إذا اخترق الدولة الإسلامية عسكريا وأمنيا فإن ذلك يهدد كل شيء سلامة الدين والعباد. [4]

---

[1]– ابن عاشور، مرجع سابق، ص117–118.

[2]– زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص172.

[3]– سورة الأنفال: الآية رقم 60.

[4]– زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص172–173.

والحذر يعني أيضا: إياك أن تنتظر حتى يترجموا عداءهم لك إلى عدوان، لأنهم سيعجلونك فلا توجد عندك فرصة زمنية كي تواجههم، فلابد لكم أيها المؤمنون من أخذ الحذر لأن لكم أعداء، وهؤلاء الأعداء هم الذين لا يحبون لمنهج السماء أن يسيطر على الأرض، فحين يسيطر منهج السماء على الأرض فلن يوجد أمام أهواء الناس فرصة للتلاعب بأقدار الناس، ومن ينتفعون بسيطرتهم وبأهوائهم على البشر فلن تجدوا لهم فرصة سيادة. [1]

والمقصود من الآية لا تخرجوا للجهاد فرادى، ولكن أخرجوا مجموعات صغيرة أو الجيش كله، حسب طبيعة المعركة.. وذلك أن آحاد قد يتصيدهم الأعداء المبثوثين في كل مكان.

وخذوا حذركم لا من العدو الخارجي وحده ولكن من المعوقين المبطئين المخذلين، سواء أكانوا يبطئون أنفسهم أو يبطئون غيرهم معهم... ويتلكؤون ولا يصارحون، ليمسكوا العصى من وسطها كما يقال، وتصورهم للربح والخسارة هو التصور الذي يليق بالمنافقين. [2]

النتيجة الأولى للجهاد هي كما ذكر الشعراوي عدم إعطاء فرصة للجهلة للتلاعب بأقدار الناس الضعفاء والذين لا حول لهم ولا قوة، ومنع سيطرتهم وسيطرة أهوائهم على البشرية.

ب-القاعدة الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [3]، وقال أيضا: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾ [4]

---

[1]- محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2396.

[2]- سيد قطب، مرجع سابق، ص705-706.

[3]- سورة النساء: الآية رقم 74

[4]- سورة النساء: الآية رقم 84.

الحق سبحانه وتعالى يريد في الآية الأولى أن يعقد مع المؤمن به صفقة فيها بيع وشراء، وأنتم تعلمون أن البائع يعطي سلعة ويأخذ ثمنا، والشاري يعطي ثمنا ويأخذ سلعة، والحق هنا يقول: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة﴾ فالمؤمن هنا يعطي الدنيا ليأخذ الأخرة التي تتمثل في الجنة والجزاء، ومنزلة الشهداء، ولذلك يقول الحق في آية أخرى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ [1]، وقال بعدها: ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾ [2]

تلك هي الصفقة التي يعقدها الحق مع المؤمنين، وهو سبحانه يريد أن يعطينا ما نتعرف به على الصفقات المربحة، فكل منا في حياته يحب أن يعقد صفقة مربحة بأن يعطي شيئا ويأخذ شيئا أكبر منه، ولذلك يقول في آية أخرى: ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ [3]

هنا أيضا تجارة، وانت حين تريد أن تعقد صفقة عليك أن تقارن الشيء الذي تعطيه بالشيء الذي تأخذه ثم افرق بينهما، ما الذي يجب أن يضحى به في سبيل الآخر؟ [4]

لقد جاء الإسلام وآمن به الضعفاء الذين لا يملكون أن يقاتلوا، فلم يكن باستطاعتهم أن يحموا حتى أنفسهم، ذلك حتى نعرف أن الحق ساعة يأتي، يأتي عادة لا من قوي بل يأتي من ضعيف تعب كثيرا كي يثبت الإيمان... ونعلم أن القتال عملية ضرورية في الحياة، فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[5]، إذن فدفع الله بعض الخلق بالخلق أمر ضروري واقعي، وحين يحاول المستشرقون الإساءة بالباطل إلى الإسلام لأنه أمر بالقتال نقول لهم: إن الحق حينما شرع هذا القتال فقد شرعه لأن قوى البغي هي التي تحول دون وصول منهج الله تعالى إلى الناس وتصد دعوة الحق وترغم الناس على عدم الدخول في الإسلام.

إن الإسلام لم يجئ ليفرض دينا وإنما جاء ليحمي حرية اختيار الدين، فقد كان المؤمنون الأوائل ضعافا وضلوا على الضعف مدة طويلة، والبلاد التي فتحوها مازال فيها

---

[1]– سورة التوبة الآية رقم111

[2]– سورة التوبة الآية رقم111.

[3]– سورة فاطر: الآية رقم 29.

[4]– محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2402–2403.

[5]– سورة البقرة: الآية رقم 251

أناس غير مسلمين، وهذا دليل على ان الإسلام جاء ليحمي حرية الاختيار: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [1]. [2]

القاعدة الثانية في الآية هي التحريض على القتال بعقد صفقات مربحة مع الله سبحانه وتعالى، يكون فيها الأجر والفائدة أكبر بكثير من الذي يخسره المسلم في الحرب حتى ولو كانت نفسه.

ج-القاعدة الثالثة:

يقول الله عز وجل: ﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾[3]، حرص الإسلام على إيجاد عقيدة قتالية لدى مجاهديه، وعمل على تنميتها باستمرار فقال: ﴿وقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾[4]، وهدف القرآن واضح سواء من خلال النصوص السابقة أو غيرها في إيجاد عقيدة قتالية لدى الفرد المسلم من خلال إبراز منزلة الجهاد ودوره في الحفاظ على دين الله وعلى مجتمع الإسلام.[5]

فكيف تقعدون أيها المسلمون عن القتال في سبيل الله، واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان... هؤلاء الذين يعانون المحنة في عقيدتهم والفتنة في دينهم، والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض وحق المال والأرض. [6]

---

[1]- سورة الكهف: الآية رقم 29

[2]- محمد متولي الشعراوي، الجهاد في الإسلام، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، الطبعة الأولى، 1998، ص72-75.

[3]- سورة النساء: الآية رقم 75-76

[4]- سورة آل عمران: الآية رقم 13

[5]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص341.

[6]- سيد قطب، مرجع سابق، ص708.

وسبحانه حينما يقول: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ فهذا يدلنا على أن هناك قتالا في غير سبيل الله، كأن يقاتل الرجل حمية، أو ليقال إنه شجاع، فقتال الرجل دائما حسب نيته... إذن فالقتال مرة يكون في سبيل الله ومرة يكون في سبيل النفس، ومرة يكون في سبيل الشيطان. (1)

القاعدة الثالثة حسب الآية الكريمة هي العقيدة الإيمانية لدي المسلم، ونية القتال التي تكون خالصة لوجه الله، ومن أجل استنقاذ الفئات الضعيفة من ظلم وبطش العدو.

د-القاعدة الرابعة:

قال الله تعالى: ﴿ألم ترى إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكون يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[2]، كان من اهتمام القرآن الكريم بمسألة الدفاع عن الكيان الإسلامي، أن بين أن من علامات الصدق في الايمان ومن سمات الولاء لله ولرسوله ولجماعة المؤمنين الأخذ بأسباب القوة في كل مجال من مجالات الحياة.. والذي لا يعد ألوانا من أسباب القوة لا يكون صالحا في إعلان النوايا بالخروج للجهاد في سبيل الله. [3]

إن أشد الناس حماسة واندفاعا وتهورا، قد يكونون هم أشد الناس جزعا وانهيارا وهزيمة عندما يجد الجد.. بل إنها القاعدة، ذلك أن الاندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالبا ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف، لا عن شجاعة واحتمال وإصرار.

كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة احتمال الضيق والأذى والهزيمة، فتدفعهم قلة الاحتمال إلى طلب الحركة والدفع والانتصار بأي شكل دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع

(1)- محمد متولي الشعراوي، الجهاد في الإسلام، ص76.

(2)- سورة النساء: الآية رقم 77

(3)- زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص174.

والانتصار، حتى إذا ووجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا وأشق مما تصوروا فكانوا أول الصف جزعا ونكولا وانهيارا. [1]

إذا كقاعدة قتالية رابعة هي أن القتال امتحان لإيمان المقاتل، واختبارا لقوة شخصيته وقوة حضوره في الحرب ومدى استعداده للدفاع عن بلاده وأهله، فالجهاد فتنة واختبار.

هـ-القاعدة الخامسة:

قال الله تعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مل لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾ [2]، إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يتحملونه.. إن أعدائهم كذلك يتألمون وينالهم القرح والهوان، ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء إن المؤمنين يتجهون إلى الله بجهادهم ويرتقبون عنده جزاءهم... ولكن هناك اللحظات التي تعلوا فيها المشقة على الطاقة، ويربو الألم على الاحتمال، ويحتاج القلب البشري إلى مدد فائض وإلى زاد... وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تتحمل ولا تنهار، وأن تعلم أنها إن كانت تألم، فإن عوها كذلك يألم.. ﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾ [3] وهذا هو العزاء العميق، وهذا هو مفرق الطريق. [4]

إن الذين خافوا على أموالهم ولم يصبروا على أذى الكافرين ولم يصبروا على فراق أموالهم ومتاعهم ولم يجاهدوا ﴿قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الواسعة فتهاجروا فيها﴾ [5]

إن قيام النبوة عن اقناع العقل المسؤول بآيات الكون، قد اختتم سلطان الأحبار والقادة، كما اختتم سلطان النبوات بالمعجزات وخوارق العادات، فلا يعذر الإسلام إنسان عطل عقله ليطيع السادة المستكبرين أو ليطيع الأحبار المتسلطين بسلطان المال والدين. [6]

---

[1]- سيد قطب، مرجع سابق، ص712.

[2]- سورة النساء: الآية رقم 104

[3] - سورة الجاثية: الآية رقم 14.

[4]- سيد قطب، مرجع سابق، ص750.

[5]- سورة النساء: الآية رقم 97.

[6]- عباس محمود العقاد، مرجع سابق، ص 21.

إن سياسة الخضوع والخوف التي يتحجج بها الإنسان الضعيف ليست من سلوك المؤمن في شيء، فالمؤمن الذي يعمل عقله في تدبر شؤون حياته يعلم أن المؤمن القوي أحب وخير عند الله وعند الناس من المؤمن الضعيف.

تحث الآية الكريمة على الجهاد والصبر عندما يشتد القتال، وعند الألم والضعف، فألم الجراح والقتال كله يزول عندما يكلل بالنصر في الدنيا أو الاستشهاد في سبيل الله.

وهذه أهم قواعد الجهاد التي يمكن استنباطها من آيات الجهاد في سورة النساء، والتي تصب في قالب واحد وهو الامتثال لأوامر الله عز وجل بالقتال والجهاد في سبيله، وكذا الدفاع عن أرضهم وعرضهم ومالهم، وعن المستضعفين من النساء والولدان، حتى يحققوا إرادة الله عز وجل من وجود الإنسان في هذه الحياة وهو عمارة الأرض واستخلافه فيها.

المطلب الثاني: فضل الجهاد كما جاء في سورة النساء

الجدول رقم:(19)

رقم الآية	نص الآيـــة	المحتوى
95	﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾	فضل المجاهدين في إرساء قواعد الدين وحمايتها، وتفضيلهم على القاعدين درجة.

إن هذا النص القرآني... كان يعالج حالة خاصة في هذا المجتمع من التراخي –من بعض عناصره– في النهوض بتكاليف الجهاد بالأموال والأنفس، سواء أكان المقصود أولئك الذين تخلفوا عن الهجرة احتفاظا بأموالهم، إذ لم يكن المشركون يسمحون لمهاجر أن يحمل معه شيئا من ماله، أو توفيرا لعناء الهجرة وما فيها من مخاطر... أو كان المقصود بعض المسلمين في دار الإسلام الذين لم ينشطوا للجهاد بالأموال والأنفس في دار الحرب ودار الإسلام سواء.

والتعبير القرآني يقرر قاعدة عامة، يطلقها من قيود الزمان وملابسات البيئة، ويجعلها هي القاعدة التي ينظر الله بها إلى المؤمنين في كل زمان وكل مكان–قاعدة عدم الاستواء بين القاعدين من المؤمنين عن الجهاد بالأموال والأنفس– غير أولي الضرر الذين يقعدهم العجز عن الجهاد بالنفس أو يقعدهم الفقر والعجز عن الجهاد بالنفس والمال– عدم الاستواء بينهم هو قاعدة عامة، يقول الله تعالى: ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[1] وهؤلاء هم أولو الضرر الذين ليس عليهم حرج في تخلفهم عن الجهاد.

﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة، وكان الله غفورا رحيما﴾ [2]، هذا التوكيد وهذه الوعود وهذا التمجيد للمجاهدين والتفضيل على القاعدين، والتلويح بكل ما تهفو له نفس المؤمن من درجات الأجر العظيم هذا كله يشي بحقيقتين هامتين:

1–الحقيقة الأولى: هي أن هذه النصوص كانت تواجه حالات قائمة في الجماعة المسلمة كما أسلفنا وتعالجها، وهذا كفيل بأن يجعلنا أكثر إدراكا لطبيعة النفس البشرية ولطبيعة الجماعات البشرية، وأنها مهما بلغت في مجموعها من التفوق في الإيمان والتربية فهي دائما في حاجة إلى علاج ما يطرأ عليها من الضعف والحرص والشح والتقصير في مواجهة التكاليف.

2–الحقيقة الثانية: هي قيمة الجهاد بالأموال والأنفس في ميزان الله واعتبارات هذا الدين وأصالة هذا العنصر في طبيعة هذه العقيدة وهذا النظام، لما يعلمه الله من طبيعة الطريق وطبيعة البشر، وطبيعة المعسكرات المعادية للإسلام في كل حين. [3]

نجد أن الله يرغب المؤمنين في أن يمونوا مجاهدين، وأن يبذل الجهد لتكون كلمة الله هي العليا، فإذا ما آمن الإنسان فليس له أن يتخلف عن الصف الإيماني، لأنه مادام قد نفع نفسه بالإيمان فلم لا ينظم إلى ركب من ينفع سواه بالإيمان؟ ويريد الله أن يعبئ كل من مس

---

[1]– سورة الفتح: الآية رقم 17

[2]– سورة النساء: الآية رقم 95–96

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص740–741.

الإيمان قلبه، وحتى لو كان في مكان يسيطر عليه الكفار فيدعوه لأن يتخلص من التفافهم حوله وليخرج منضما إلى إخوته المؤمنين، وليشيع الإيمان لسواه ويعبر عمليا عن حبه للناس مما أحبه لنفسه. [1]

إن الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله هو نظام أقره الإسلام ويعتبر من أعظم الأعمال عند الله، وهو يعد المؤمنين الذين جاهدوا في سبيله وطبقوا قواعد وآداب الجهاد بالفوز العظيم والجنة خالدا فيها، لأن قيامهم بهذا العمل–الجهاد– فيه حماية للدولة والمجتمع والفرد، وبه يحق الحق ويبطل الباطل، والتقاعس والتباطء عن أدائه فيه ضرر كبير وهلاك للنفس والعرض والمال والوطن.

المبحث الثاني: الميراث المنظومة المالية لحماية الضعفاء كما تضمنتها سورة النساء

قال الله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ءابآئكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما، ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾[3]، ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم

[1]– محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ص2574.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 7

[3]– سورة النساء: الآية رقم 11–12

يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم ﴾[1].

من خلال هذه النصوص القرآنية نستنبط عدة محاور تقوم عليها عملية توزيع التركة ومن أهمها: أن القرابة أو الأسرة هي محور التوريث، وكذا قضية الدين الذي تركه المتوفى والوصية التي أوصى بها وفي الأخير قسمة للذكر مثل حظ الأنثيين، وهذه أهم العناصر التي سنركز عليها في هذه الجزئية.

المطلب الأول: الأسرة هي محور التوريث وانتقال الملكية

إن قاعدة النظام الاجتماعي الإسلامي هي التكافل.. ولكي يقوم هذا التكافل على أسس وطيدة راعى الإسلام أن يقوم على أساس الميول الفطرية الثابتة في النفس البشرية، هذه الميول التي لم يخلقها الله عبثا في الفطرة، إنما خلقها لتؤدي دورا أساسيا في حياة الإنسان. ولما كانت روابط الأسرة روابط فطرية حقيقية... جعل الإسلام التكافل في محيط الأسرة هو حجر الأساس في بناء التكافل الاجتماعي العام، وجعل الإرث مظهرا من مظاهر ذلك التكافل في محيط الأسرة، فوق ما له من وظائف أخرى في النظام الاقتصادي والاجتماعي العام. [2]

فالقرابة تشكل الأساس في عملية التوريث سواء أكان مصدر هذه القرابة النسب أو المصاهرة، أو بمعنى آخر فإن التوريث كنظام إسلامي يعتمد أساسا على القرابة بحيث تعد محوره الأساسي، ومن الواضح أنه مع اعتماد التوريث تماما على النسق القرابى، نجد كذلك أن التوريث يدعم ذلك النسق ويعمل على استمراره وتوازنه، ولا ينصرف معنى الدعم هنا على الآثار الاقتصادية الناشئة عن التوريث فقط، وإنما يمتد ذلك الدعم ليشمل طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل وحدات النسق القرابي المختلفة.

ففي مجال الأحكام العامة على سبيل المثال نجد الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون﴾ [3]،[1]

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 176

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص587.

[3]– سورة النساء: الآية رقم 7

والحكم هنا حكم عام يقرر أحقية كل من الرجال والنساء فيما ترك الوالدان والأقربون، والأقربون هنا هم الأصول أو الفروع وفقا لطبيعة القرابة في الإسلام، فضلا عن شمولية مفهوم (الأقربون) ليضم القرابة الناشئة عن المصاهرة.

وينتقل القرآن من مجال الأحكام العامة إلى التحديد من خلال قوله تعالى: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ءابآئكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما﴾[2]، كان هذا من أحكام التوريث بالنسبة للأصول والفروع، فماذا عن الأحكام الخاصة بالقرابة الناشئة عن المصاهرة، يقول تعالى: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين﴾[3].

وماذا يحدث لو مات مورث وليس له والد أو ولد؟ يقول الله تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾[4] ولكن يبدو أن هذا النص أثار جدلا لدى المسلمين وكثرت أسئلتهم حوله لرسول الله حتى نزل قوله تعالى:﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾[5].

---

[1]– صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص228–229.

[2]– سورة النساء: الآية رقم 11

[3]– سورة النساء: الآية رقم 12

[4] – سورة النساء: الآية رقم 12.

[5]– سورة النساء: الآية رقم 176

والمتأمل للنصوص القرآنية السابقة يجد التحديد فيها واضحا لأطراف عملية الإرث الثلاثة: الوارث والمورث ومقدار الميراث، ولا يوجد مستحقون آخرون للتركة سوى أصحاب الولاء الناشئ عن العتق، علاوة على أن بيت المال يرث بعض المتوفين في كل أو بعض ما تركوا على حسب الظروف. [1]

ومن خلال النصوص القرآنية السابقة نجد أن الله هو الذي يوصي، وهو الذي يفرض، وهو الذي يقسم الميراث بين الناس... ومن عند الله ترد التنظيمات والشرائع والقوانين، وعن الله يتلقى الناس في أخص شؤون حياتهم–وهو توزيع أموالهم وتركاتهم بين ذريتهم وأولادهم.

إنه نظام يراعي معنى التكافل العائلي، ويوزع الأنصبة على قدر واجب كل فرد في الأسرة في هذا التكافل... وهو نظام يراعي أصل تكوين الأسرة البشرية من نفس واحدة، فلا يحرم امرأة ولا صغيرا لمجرد أنه امرأة أو صغير، لأنه مع رعايته للمصالح العملية يرعى كذلك مبدا الوحدة في النفس الواحدة، فلا يميز جنس عن جنس إلا بقدر أعبائه في التكافل العائلي والاجتماعي. [2]

المطلب الثاني: الميراث نظام يرفض تكديس الأموال:

وللميراث جانب من العدل الطبيعي كما أن له هذا الجانب من الحق والمصلحة، لأن الولد يأخذ من أبويه ما حسن وما قبح من الصفات والطبائع، ويأخذ منهما ما فيهما من استعداد للمرض والخلائق المرذولة، وليس في وسع الأمة أن تحميه من هذه الوراثة الطبيعية التي لا تفارقه من مولده إلى مماته، فليس من العدل أن تدع له هذا الميراث وتنزع منه ميراث المال، وهو مفضل فيه عن غيره ولا يتساوى فيه مع أبناء القاعدين عن الكسب والادخار.

هذا نظام يوافق حركة السعي والنشاط في الجماعات البشرية ولا يعوقها عن التقدم الذي تستحقه بسعيها ونشاطها، بل يرجع إليه الفضل الأكبر فيما بلغته من الحضارة والارتقاء، ولو عمل الناس لأنفسهم منذ القدم آحادا متفرقين ولم يعملوا كما عملوا أسرا متكافلات لما بلغوا شيئا مما بلغوه اليوم من أطوار المعاش وآداب الاجتماع، ولا مما بلغوه

---

[1]– صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص230–231.

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص596–597.

من المعارف والصناعات، ولا مما بلغوه من العواطف المشتركة ومقاييس العرف والشعور. (1)

إنه نظام يراعي طبيعة الفطرة الحية بصفة عامة، وفطرة الإنسان بصفة خاصة، فيقدم الذرية في الإرث على الأصول وعلى بقية القرابة، لأن الجيل الناشئ هو أداة الامتداد وحفظ النوع، فهو أولى من الرعاية... وهو نظام يتماشى مع طبيعة الفطرة كذلك في تلبية رغبة الكائن الحي في ألا تنقطع صلته بنسله وأن يمتد نسله، ومن ثم هذا النظام الذي يلبي هذه الرغبة، ويطمئن الإنسان الذي بذل جهده في ادخار شيء من ثمرة عمله إلى أن نسله لن يحرم من ثمرة ذلك العمل وأن جهده سيرثه أهله من بعده.

وأخيرا هو نظام يضمن تفتيت الثروة المتجمعة، على رأس كل جيل وإعادة توزيعها من جديد فلا يدع مجالا لتضخم الثروة وتكدسها في أيدي قليلة ثابتة.. وهو من هذه الناحية أداة متجددة الفاعلية في إعادة التنظيم الاقتصادي في الجماعة. (2)

والإسلام يدعو إلى تداول الأموال وعدم حبسها على أي صورة من صور الحبس، ومع تداول الأموال يمكن للنسق الاقتصادي أن يشبع مختلف الحاجات المادية لأعضاء المجتمع، كما أن الإسلام ضد تكديس الأموال في يد فئة ما من فئات المجتمع، يقول الله عز وجل: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾(3) وهذا علاوة على أن حبس الأموال بالاكتناز أو الاحتكار يعطلها عن أداء وظيفتها التي خلقها الله لها باعتبار أن الأموال مع البنين هي الأساس لعمارة الحياة الدنيا ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾(4). (5)

ويختلف النظام الإسلامي في مجال الميراث عن المذاهب الوضعية المتطرفة، فالماركسية تلغي الملكية أصلا وبالتالي تلغي الميراث كلية، والرأسمالية تجعل للمورث السلطان الكامل في ماله بعد وفاته- تماما كما أن له سلطان عليه في حياته- وبهذا الشكل

(1)- عباس محمود العقاد، الفلسفة القرآنية، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ص69.

(2)- سيد قطب، مرجع سابق، ص597.

(3)- سورة التوبة: الآية رقم 34

(4)- سورة الكهف: الآية رقم 46

(5)- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص174-175.

أهمل المذهبان الأسرة وحاجاتها وحقوق الأقارب، فالماركسية لم تعترف بهذه الحقوق على الإطلاق، أما الرأسمالية فقد وضعت أفراد الأسرة تحت رحمة المورث إن شاء أعطاهم وإن شاء حرمهم.

أما الشريعة الإسلامية فإنها وقفت موقفا متوازنا عادلا ملزما، فقد سلبت من المورث الإرادة في الثلثين، وتركت له حرية الترف في الثلث فقط، وقد وزعن الثروة طبقا لمعايير عادلة وهي درجة القرابة ودرجة الحاجة، وجعلت هذا التوزيع ملزما بنص القرآن الكريم حتى تصد الأبواب في مواجهة محاولات التحايل إلى جانب أن قضية الميراث تقع في صلب البناء العقدي الذي يلتزم به المسلم بشكل كامل لأنه أمر من الله سبحانه. [1]

المطلب الثالث: للذكر مثل حظ الأنثيين

الجدول رقم (20)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
بداية الآية11	﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾	البند الأول في الوصية هو نصيب الذكر والأنثى.

يقول الشعراوي في هذا الباب: " أنا أريد أن نستجمع الذهن هنا جيدا لنتعرف تماما على مراد الحق ومسالك القرآن في تنبيه الأذهان لاستقبال كلام الله، فقد كرم الله الإنسان بالعقل، والعقل لابد له من رياضة، ومعنى الرياضة هو التدريب على حل المسائل وإن طرأت مشكلات هيأ نفسه لها بالحل، وأن يملك القدرة على الاستنباط والتقييم، كل هذه من مهام العقل، فيأتي الحق في أهم سيء يتعلق بالإنسان وهو الدين، والدليل إلى الدين وحافظ منهجه هو القرآن، فيجعل للعقل مهمة إبداعية."[2]

والذين لا يُعملون عقولهم من أعداء الدين الإسلامي يعترضون على هذه القسمة الإلهية الربانية الحكيمة، كيف يفرق الإسلام بين الذكر والأنثى ليعطي الذكر مثل حظ الأنثيين جهلا من بعضهم وغفلة عن الحكمة... لذلك نهجت القوانين الوضعية منهجا بعيدا عن

[1]– نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص232–233.

[2]– محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص2025–2026.

المنهج الرباني في توزيع الميراث فساوت بين الذكر والأنثى متناسية الفوارق البعيدة والتبعات المالية التي يتحملها الذكور دون الإناث مثل العقل والديات ومهور الزواج والنفقات التي يقوم بها الذكر دون الأنثى، والمرأة لا تطالب بشيء من ذلك أبدا بحيث يلتزم الزوج والأب الوارث بالنفقة عليها اجباريا.[1]

هذا الطرح والتصور الخاطئ نجيب عليه من خلال شرح الآية الكريمة وإعمال العقل فيها فنجد أن قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ يأتي فيه البند الأول في الوصية ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ ولماذا لم يقل (للأنثيين مثل حظ الذكر) أو (للأنثى نصف حظ الذكر) هذه معان يمكن أن تعبر عن المطلوب.

لقد أراد الله أن يكون المقياس أو المكيال هو حظ الأنثى، ويكون حظ الرجل هنا منسوبا إلى الأنثى، لأنه لو قال (للأنثى نصف حظ الرجل) لكان المقياس هو الرجل، لكن سبحانه جعل المقياس للأنثى فقال ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾.

والذين يقولون: هذا أول ظلم يصيب المرأة، نريد المساواة نقول لهم: انظروا إلى العدالة هنا فالذكر مطلوب له زوجة ينفق عليها، والأنثى مطلوب لها ذكر ينفق عليها، إذن نصف حظ الذكر يكفيها إن عاشت دون زواج، وإن تزوجت فإن النصف الذي يخصها سيبقى لها، إن تزوجت فإن النصف الذي يخصها سيبقى لها وسيكون لها زوج يعولها.

إذن فأيهما أكثر حظا في القسمة؟ إنها الأنثى، ولذلك جعلها الله الأصل والمقياس حينما قال ﴿للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ فهل في هذا القول جور أو فيه محاباة للمرأة؟

إن في هذا القول محاباة للمرأة لأنه أولا جعل نصيبها المكيال الذي يرد إليه الأمر، لأن الرجل مطلوب منه أن ينفق على الأنثى، وهي مطلوب لها زوج ينفق عليها، إذن فما تأخذه من نصف حظ الذكر يكون خالصا لها، وكان يجب أن تقولوا: لماذا حابى الله المرأة؟ لقد حابى الله المرأة لأنها عرض فصانها، فإن لم تتزوج تجد ما تنفقه، وإن تزوجت فهذا فضل من الله. [2]

---

[1]– عبد الله الحمد الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن، مرجع سابق، ص37.

[2]– محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2025.

إذا هذا هو المنطق وهكذا نحكِم العقل في هكذا مسائل، كي تتضح الحقيقة ويذهب اللبس، ويسكت أصحاب القلوب المريضة والعقول الفارغة، الذين يحاولون زعزعة النظام الاجتماعي والأسري بمثل هذه المطالب والإشاعات المغرضة.

هذا هو حكم الله وشرعه الذي لا يفرق بين ذكر وأنثى، إنما هو توازن وعدل بين أعباء كل واحد منهما في التكوين العائلي وفي النظام الاجتماعي الإسلامي.

المطلب الرابع: الديـــن والوصيـــة

الجدول رقم:(21)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
12	﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾	قضاء دين المتوفى وتنفيذ وصيته قبل تقسيم التركة.

إذا توفي شخص وعليه دين وجب على أهله قضاء ذلك الدين من التركة قبل تقسيمها عملا بقوله تعالى كما جاء في الآية الكريمة ﴿من بعد وصية يوصي بها أودين﴾، والوصية هنا مقدمة على الدين، وهو ما يؤدي إلى القول بأن حق الموصي له مقدم على حق الدائن، وليس الأمر كذلك فإن تقديم الوصية في الذكر على الدين، لا يقتضي تقديمها في الحكم، فإن الحكم هو تقديم الدين على الوصية ولا يعدوا تقديم الوصية على الدين من باب التنبيه على أمرها وعدم التفريط فيها.

ولأن الوصية فيها تعلق بحق الغير على سبيل التبرع والدين فيه تعلق بحق الغير على سبيل الوجوب، والوجوب يقتضي الالزام، بخلاف التبرع فإن مرده إلى مشيئة الإنسان واختياره، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: " نفس المؤمن مرتهنة في قبره بدينه حتى يقضى عنه"

فإن الحديث يدل على التعجيل بقضاء الدين والإسراع في الوفاء به حتى لا تظل مرهونة بالدين الذي عليه. [1]

وقد شدد الإسلام في ابراء الذمة من الدين، كي تقوم الحياة على أساس من تحرج الضمير، ومن الثقة في المعاملة، ومن الطمأنينة في الجماعة، فجعل الدين في عنق المدين لا تبرأ منه ذمته حتى بعد وفاته.

وأما الوصية فلأن إرادة الميت تعلقت بها، وقد جعلت الوصية لتلافي بعض الحالات التي يحجب فيها بعض الورثة بعضا، وقد يكون المحجوبون معوزون، أو تكون هناك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة، وإزالة أسباب الحقد والحسد والنزاع قبل أن تنبت، ولا وصية لوارث، ولا وصية في غير الثلث، وفي هذا ضمان ألا يجحف المورث بالورثة في الوصية. [2]

والملامح العامة للتوريث كما جاءت في سورة النساء – آيات الميراث في سورة النساء– تبين أن التركة توزع وفق آليات وملامح وضعها الله سبحانه وتعالى حتى لا تظلم فئة على حساب فئة أخرى، ولا يكون هناك أغنياء وفقراء في المجتمع، وعليه نحدد هذه الملامح في:

1–إن الإرث ينهض أساس على القرابة.. والقرابة قد تنشأ من عصبة نسبية أو عصبة سببية، والعصبة النسبية هي التي تعود إلى الميلاد، والعصبة السببية هي التي تعود إلى العتق.

2–إن الإرث ينهض كذلك على أساس الزواج الصحيح وفقا لأحكام الشريعة.

3–إن الإرث يعتمد على وجود ملكية فردية معترف بها من الشريعة الإسلامية وتكون هذه الملكية خالصة للمورث.

4–إن الإرث حق لكل من الرجل والمرأة أصولا وفروعا وفقا للقواعد الشرعية المنظمة للميراث.

---

[1]– محمد الشحات الجندي، الميراث في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة، ص27–32.

[2]– سيد قطب، رجع سابق، ص592.

5-إن الإرث ليس قاصرا على الأسرة باعتبارها الوحدة القرابية المباشر للمورث فقط، بل يمتد كذلك ليشمل وحدات قرابية أخرى تبعا لامتداد أصوله وفروعه داخل النسق القرابي كله وهذه الوحدات هي التي أطلق عيها القرآن مصطلح (ذوو الأرحام).

6-إن الإرث ليس مجرد طريقة تنظم كيفية انتقال ملكية الأموال بين مختلف الوحدات القرابية داخل البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي، ولكنه منهج رباني قصد منه حفظ الأموال والأنساب وصلات الرحم مع ما يمثله في ذلك من تدعيم للروابط والعلاقات بين مختلف الوحدات الاجتماعية التي تدور في فلكها عملية التوريث.

7-لا تصح عملية التوريث أساسا إلا بعد وصية يوصي بها المورث أو دين مستحق عليه سواء أكان هذا الدين متعلق بحق من حقوق الله أو بحق من حقوق الناس، وحقوق الله هي الزكاة والكفارات وغيرها من التكاليف المالية المتعلقة بالعبادات، أما حقوق الناس فهي الديون المكتوبة أو التي عليها شهود أو أقربها المورث قبل وفاته. [1]

إذا النصوص القرآنية جاءت واضحة محددة لعملية التوريث، لا تحتاج إلى شرح أو تعديل أو زيادة أو نقصان، وهذه النصوص تقول إن أساس التوريث هو الأسرة أو القرابة، فالأفراد المذكورين في آيات الميراث هم أصول وفروع المتوفي الذين لهم الحق في التركة، ومن عناية الله سبحانه وتعالى بالإنسان حتى بعد وفاته في قضية الدين، حيث أنه شدد وأكد على أن عملية التوريث لا تصح حتى يقضى دين المتوفي.

إن عملية التوريث ليست فقط معاملة مالية مادية بحتة تعني انتقال ملكية من شخص إلى آخر أو آخرين، ولكن هي قبل كل شيء نظام اجتماعي قرره الله سبحانه وتعالى لتعزيز الرباط العائلي والحفاظ عليه، وتنظيم العلاقات العائلية في الأسرة الواحدة، والتأكيد على صلة الرحم ورحمة بذي القربى والضعفاء والمساكين.

وفي الختام هذا الدين دين الله والمال مال الله والرزق رزقه، والتشريعات والحدود التي أقامها الله لتكون هي الحكم في التوزيع والقسمة، ولا دخل للإنسان فيها، خلق الله فقط لاستغلال هذه الأموال والثروات من أجل عمارة الأرض واستخلافه فيها.

[1]- صلاح مصطفى الفوال، مرجع سابق، ص231-232.

المبحث الثالث: اختبار اليتامى وقدرتهم على إدارة أموالهم كما جاء في سورة النساء

الجدول رقم:(22)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
6	﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا﴾	-شروط تسليم أموال اليتامى. -الإجراءات الشرعية الواجب اتباعها في تسليم أموال اليتامى.

المطلب الأول: أموال اليتامى

في سورة النساء خمس آيات تتحدث عن اليتيم وأغلبها تثبت وتؤكد أن لليتيم ذمة مالية وحق في التملك شرعه الله له، كي يضمن له العيش الكريم:

1- ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [1].

2- ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أو مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾ [2]

3- ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾ [3]

4- ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [1]

---

[1]- سورة النساء: الآية رقم 2

[2]- سورة النساء: الآية رقم 3.

[3]- سورة النساء: الآية رقم 6.

5- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. [2]

هذه الآيات من سورة النساء وغيرها في القرآن الكريم والتي يبلغ عددها 24آية كلها تدل على أن لليتيم ذمة مالية خاصة به منها ما ورثها ومنها ما كفلته له الدولة، فماهي مصادر هذا المال؟

أ-مصادر أموال اليتامى

إن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان وفر له كل أساليب العيش الكريم كي لا يتعب ولا يشقى في هذه الأرض، حتى يستطيع أن يقوم بالدور الذي خلق من أجله وهو الاستخلاف في الأرض وعمارتها، ولما كان اليتيم فاقدا للممول الرئيسي له وهو الأب جعل له الله سبحانه وتعالى ذمة مالية من عدة مصادر هي:[3]

1-الميراث

فيقال: ورث الميت: أي استحق مما خلفه الميت من مال لقرابته له، أو علاقة توجب ذلك على حسب ما يقضي به العرف أو الشريعة. [4]

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يوصيكم الله في أولاد للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [5]، ويقول أيضا: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ [6]، هذه الآيات تدل على أن اليتيم من حقه أن يرث أبويه أو أقربائه، والإرث نظام شرعي يجعل لليتيم ذمة مالية، والتي يتكالب الأولياء من أجلها، ويأكلون مال اليتيم ظلما وعدوانا.

---

[1]- سورة النساء: الآية رقم 8.

[2]- سورة النساء: الآية رقم 10.

[3]- اليتيم، موقع موسوعة التفسير الكريم، الموضوعي للقرآن https: //modoee.com/show-book-scroll/492

[4]- إبراهيم مدكور، مرجع سابق، ص718.

[5]- سورة النساء: الآية رقم 11

[6]- سورة النساء: الآية رقم 7

وسيأتي شرح مفصل في هذه الجزئية وكيف يعد الإرث أسلوب من أساليب حماية اليتامى والمستضعفين.

2-الصدقة

الصدقة: ما يخرج من المال على وجه القربة، لأنها تظهر صدق العبودية، وقد يسمى الإعفاء مما يجب من حق صدقة، كما يسمى ما يسامح به العسر صدقة، على ما يرد في الآيات. [1]

قال الله تعالى: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا﴾[2] شرع سبحانه وتعالى إعطاء اليتامى من القسمة إذا حضروها انعاما عليهم وبرا بهم، وتطهيرا للمال مع إكرامهم بالقول الطيب وعدم جرحهم أو الإساءة إليهم، وأمر المسلمون بالإنفاق في الأوجه التي شرعها الله سبحانه وتعالى ومن بينها الانفاق لليتامى لقوله تعالى: ﴿يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ [3]

وجعل الله سبحانه وتعالى الانفاق على اليتيم من أوجه البر التي حددها بقوله جل شأنه: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [4].

ولما كان نظام التوريث يحجب فيه بعض ذوي القربى بعضا، فيوجد ذوو قرابة ولكنهم لا يرثون... فإن السياق يقرر للمحجوبين حقا لا يحدده تطييبا لخاطرهم، كي لا يروا المال

---

[1]- إبراهيم مدكور، مرجع سابق، ص352.

[2] - سورة النساء: الآية رقم 8.

[3]- سورة البقرة: الآية رقم 215.

[4]- سورة البقرة: الآية رقم 177

يفرق وهم محرومون، واحتفاظا بالروابط العائلية والمودات القلبية، كذلك يقرر لليتامى والمساكين مثل هذا الحق تماشيا مع قاعدة التكافل العام. [1]

3-الفيء والغنيمة

الفيء: يقال: وأفاء عليه فيئا أي غنيمة لا تلحق فيها مشقة، أما الغنيمة جاءت من **الغُنم:** الظفر بالغنم، ثم استعمل في كل ما يظفر به من جهة العدو أو غيرهم. [2]

شرع الله سبحانه وتعالى لليتيم نصيب فيما يغنم المسلمون من شيء لقوله تعالى: ﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير﴾[3]، أي اعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتموه من أموال المشركين في الحرب سواء أكان قليلا أم كثيرا ... تقسم الغنيمة خمسة أقسام، فيعطى الخمس لمن ذكر الله تعالى في هذه الآية والباقي يوزع على الغانمين، ﴿وللرسول﴾ أي سهم من الخمس يعطى للرسول ﷺ ﴿ولذي القربى﴾ أي قرابة الرسول ﷺ وهم بنو هاشم وبنو طالب، ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ أي ولهؤلاء الأصناف من اليتامى الذين مات آبائهم، والفقراء من ذوي الحاجة، والمنقطع في سره من المسلمين.[4]

إن جعل لليتيم نصيب من هذه الأموال كاف بأن يسد حاجته ويحل كل مشاكله المادية، فبهذه القواعد يقضي الإسلام على الفقر والحاجة، ويؤمن لليتيم حياة كريمة ويضع حدا لمشاكله النفسية والاجتماعية.

ب-أكل أموال اليتامى:

شرع الأكل من مال اليتيم لمن يقومون بإدارتها بشرط عدم تجاوز الحدود المعقولة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: " يأكل الوصي بقدر عمالته"، ولوالي اليتيم أن يأكل بالمعروف من مال اليتيم، غير أنه عليه أن يستعفف ويتنزه عن الأكل منه إذا كان غنيا،

---

[1]- سيد قطب، مرجع سابق، ص588.

[2]- إبراهيم مدكور، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص486-459.

[3]- سورة الأنفال: الآية رقم 41

[4]- محمد علي الصابوني، مرجع سابق، ص469.

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ومن كان غنيا فليستعفف، ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾[1]، إنما نزلت في والي اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف، وينهانا الله تعالى عن أكل مال اليتيم نهيا قاطعا لقوله جل شأنه: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم، إنه كان حوبا كبيرا﴾[2]، وينذر العلي القدير أكلة أموال اليتامى ظلما نذيرا شديدا حيث يشبهها بالنار في بطونهم ويتوعدهم بالسعير في الآخرة فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾[3]

وقد نبأنا الرسول الكريم بأن أكل أموال اليتيم ظلما من السبع الموبقات التي أمرنا بتجنبها لقوله صلى الله عليه وسلم: " اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات". رواه أبو هريرة. [4]

وكما أمر الله بإيتاء اليتامى أموالهم نبهنا إلى شيء خطير مما يتسرب إلى النفوس وهو أن الوصي قد يعطي اليتيم من ماله الخبيث ويأخذ مكانه مال اليتيم الطيب، ويضع في حسابه أنه لا وزر عليه في ذلك مادام أعطى اليتيم الكم المطلوب، فنبهنا الله سبحانه وتعالى أن المطلوب مراعاة الله في هذا المال كما وكيفا. [5]

إن أكل مال اليتيم ظلما وبغير حق جريمة شنعاء في حق الإنسانية، ولا ينفع مع آكلي أموال اليتامى تعزير ولا قانون، كما يقول سيد قطب: "... وفي كل جاهلية يقع مثل هذا، ونحن نرى أمثاله في جاهليتنا الحاضرة في المدن والقرى، وما تزال أموال اليتامى تؤكل بشتى الطرق، وشتى الحيل، من أكثر الأوصياء على الرغم من كل الاحتياطات القانونية، ومن رقابة الهيئات الحكومية المخصصة للإشراف على أموال القصر. فهذه المسألة لا يفلح

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 6

[2]– سورة النساء: الآية رقم 2

[3]– سورة النساء: الآية رقم 10.

[4]– محمد عزمي صالح، مرجع سابق، ص28.

[5]– محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص12-13.

فيها التشريعات القانونية ولا الرقابة الظاهرية.. كلا لا يفلح إلا أمر واحد.. التقوى.. فهي التي تكفل الرقابة الداخلية على الضمائر فتصبح للتشريع قيمته وأثره". [1]

المطلب الثاني: القدرة على إدارة الأموال

كما أمر القرآن الكريم بالاهتمام بشخص اليتيم، أمر بالاهتمام به أيضا من حيث المحافظة على ماله حتى يصل إلى سن البلوغ، وفي هذه الآية الكريمة نجد أن رب العزة يأمرنا بأشياء فيها مصلحة اليتيم وينهانا عن أشياء لأن فيها مضرة اليتيم وضياع له، وهذه الأوامر هي:

1-اختبار الولي لليتيم والتأكد من قوته العقلية وسلامة التصرفات المالية.

2-دفع المال إلى اليتيم إذا لمس الوصي من أحواله حسن التصرف في المال وعدم إضاعته وإتلافه وذلك بعد التجارب العديدة.

3-إن الوصي إما أن يكون غنيا أو يكون فقيرا، فإن كان غنيا فعليه أن يتعفف عن الأخذ من مال اليتيم، وإن كان فقيرا فله أن يأكل من هذا المال بالمعروف.

4-الإشهاد عند دفع المال إلى اليتيم بعد البلوغ وذلك لئلا يتهم الإنسان أنه اقتطع من هذا المال لنفسه.

أما النواهي التي جاءت في الآية فهي قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا﴾ أي ولا تأكلوا أموال اليتامى مسرفين في الانفاق منها ولا مبادرين كبرهم إليها، أي متعجلين في الإسراف قبل أن يكبر اليتيم ويأخذ ماله منكم، وقد قيد النهي هنا بالإسراف وهو صرف مال اليتيم في غير محله ولو على اليتيم نفسه وسمى هذا أكلا لأنه إضاعة والأكل يطلق على إضاعة الشيء. [2]

---

[1]- سيد قطب، مرجع سابق، ص577.

[2]- محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص9-10.

ويبدو من خلال النص الدقة في الإجراءات التي يتسلم بها اليتامى أموالهم عند الرشد، كذلك يبدو التشديد في وجوب المسارعة بتسليم أموال اليتامى إليهم بمجرد تبين الرشد–بعد البلوغ– وتسليمها لهم كاملة سالمة والمحافظة عليها في أثناء القيام عليها.[1]

المطلب الثالث: صيانة أموال اليتامى وتطويرها

المعاملات المالية في أموال اليتامى أجازها الشرع حفاظا على مصالح اليتامى وحتى لا تبلى أموالهم ولا يأكلها الانفاق، قال الله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾[2] وصيانة أموال اليتامى حتى يبلغوا رشدهم تستلزم تشغيلها والاتجار فيها حتى تنمو وتتزايد، ولا تخضع للتناقص وهبوط قيمتها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة" (حديث ضعيف، أورده الهيثمي في مجمع الزوائد).

والاتجار في أموال اليتامى أو تشغيلها يجب ألا يكون في محرم ولا دنس للإبقاء على المال نقيا طاهرا وحتى لا تستخدم أموال المسلمين فيما لا يقبله الدين. [(3)]

فعلى من يتولى اليتيم ألا يقرب ماله إلا بالطريقة التي هي أحسن لليتيم، فيصونه وينميه، حتى يسلمه له كاملا ناميا عند بلوغ أشده، أي اشتداد قوته الجسمية والعقلية، ليحمي ماله ويحسن القيام عليه، وبذلك تكون الجماعة قد أضافت إليها عضوا نافعا، وسلمته حقه كاملا. [(4)]

لقد عنت سورة النساء بالفئات الهشة الضعيفة كالنساء واليتامى والمساكين عناية كبيرة، فلا نجد سور القرآن الكريم كلها بهذا القدر من التشديد والتحذير والتذكير والبيان من التعدي والجور على هذه الفئات من المجتمع، الذي جاءت به سورة النساء.

---

[1] – سيد قطب، مرجع سابق، ص586.

[2] – سورة الأنعام: الآية رقم 152.

[(3)]– محمد مجاهد طبل، مرجع سابق، ص11–12.

[(4)]– سيد قطب، مرجع سابق، ص1233.

لقد وضعت سورة النساء نظاما أمنيا شديد الدقة من أجل حماية الضعفاء وصون حقوقهم والحفاظ على ممتلكاتهم التي أقرها لهم الله تعالى بعدما حرموا منها لعقود من الزمن تحت سلطة وطغيان الجاهلية.

ويمكن القول إن سورة النساء هي سورة الرحمة والعدل والتكافل الاجتماعي والترابط الأسري وصلة الرحم، والمعاملات المالية التي تدفع بالمجتمع إلى الاستمرار والتطور.

إذا أصبح اليتيم قادرا على إدارة أمواله وتحمل المسؤولية فهو بالتالي قادر على تكوين الأسرة وإدارتها، وذلك بعد اختبارهم في مجال التصرف بالأموال فإن أحسنوا التدبير فقد أصبحوا مؤهلين للزواج.

– يستنتج من معاني الآية **قيمة الأمانة**، فقد حرص القرآن على حث كافل اليتيم بالتحلي بهذه القيمة، من خلال التأكيد على حفظ أموال اليتيم وصيانتها إلى أن يصبح أهلا للتصرف فيها.

– في الآية إشارة إلى صورة إنسانية وهي **كفالة اليتيم** في المجتمعات المسلمة، والحرص على متطلبات هذا اليتيم المادية والمعنوية، هذه الصورة التي غابت عن المجتمع نتيجة ظهور صورة بديلة لها نفس الوظائف الظاهرية ولكن تختلف معها في الأهداف وهي دور الأيتام.

– كما حضي اليتيم بحماية لحقوقه المادية والمعنوية كذلك أعطى حماية لكافله: " فالله سبحانه يصنع الحماية للولي أو الوصي، فالحق يعلم خلقه، والولي على اليتيم لابد أن يلي الأمر بحكمة وحرص؛ حتى لا يكرهه اليتيم، وربما قد يراضيه في كل شيء، نقول له: لا، أعطه بقدر حتى لا تفسده، فإذا ما أعطى الولي اليتيم بقدر ربما كرهه اليتيم، لأن اليتيم قد يرغب في أشياء كمالية لا تصلح له ولا تناسب إمكاناته، وعندما يصل اليتيم إلى سن الرشد قد يتركز كرهه ضد الوصي، فيقول له: لقد أكلت مالي، لذلك يوضح الحق للولي أو الوصي: كما حميت اليتيم بحسن ولايتك أحميك أنا من رشد اليتيم"[1]، وفي هذه الآية اشارة واضحة إلى عدالته سبحانه وتعالى حيث حمى الطرفين وعدل بينهما ماديا ومعنويا.

[1]– محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص 2014.

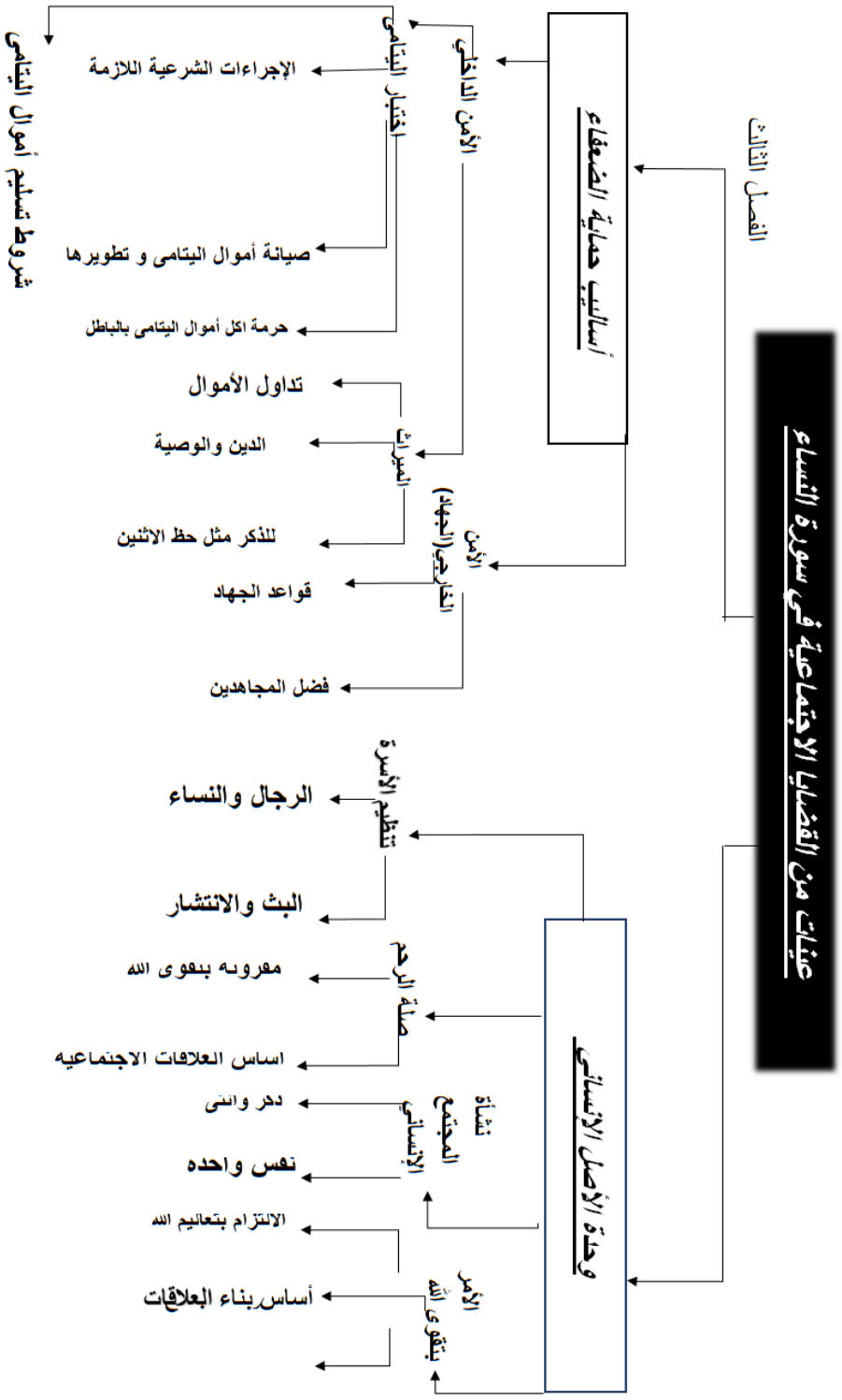

الشكل رقم:(02) عينات من القضايا الاجتماعية في سورة النساء.

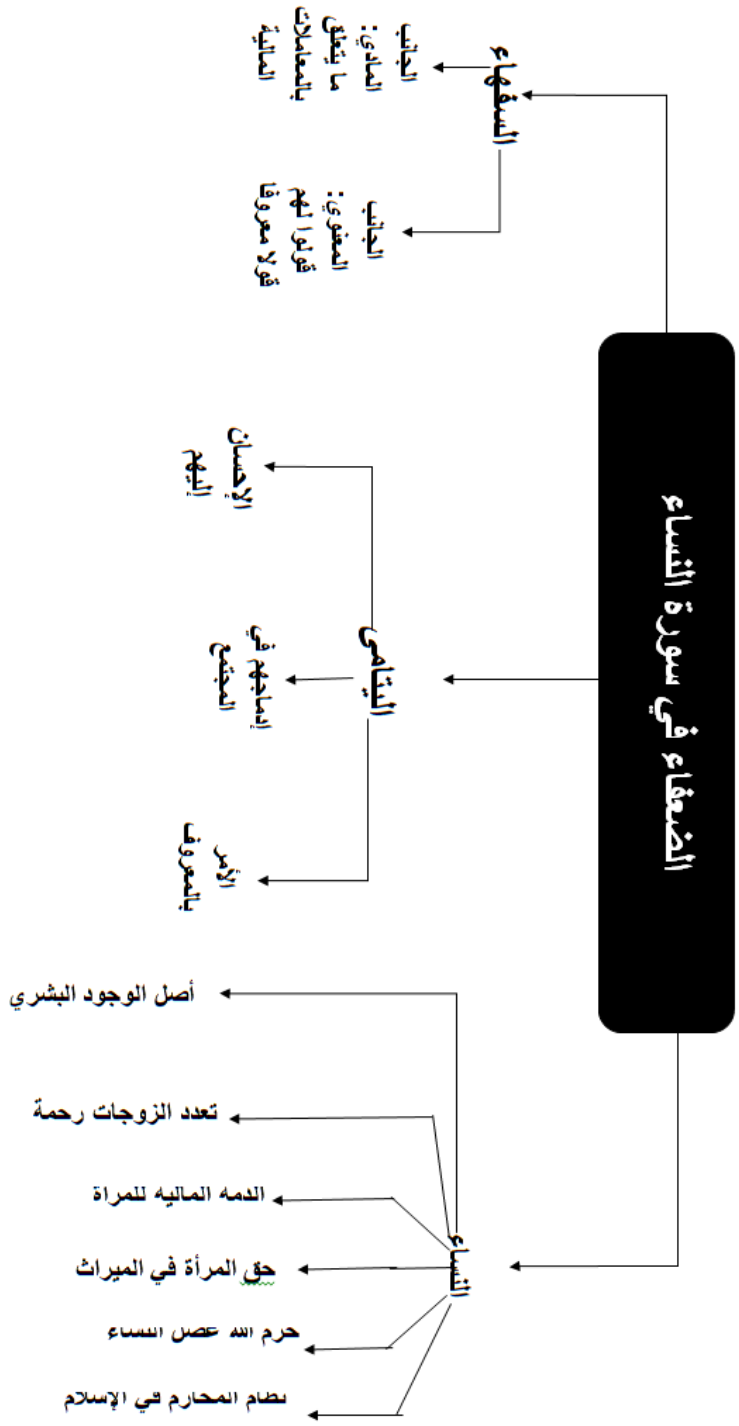

الشكل رقم: (03) الضعفاء في سورة النساء

الفصل الخامس:
البعد الأسري والبعد العقائدي في سورة النساء

المبحث الأول: معالم السلوك الفردي والأسري في سورة النساء

المطلب الأول: بناء شخصية الفرد في سورة النساء

المطلب الثاني: سلوك الزوج مع زوجته وسلوك الزوجة مع زوجها

المطلب الثالث: علاقة الوالدين مع أبنائهم وسلوك الأبناء تجاه الوالدين

المبحث الثاني: العلاقات الإنسانية والاجتماعية وضوابطها كما تضمنتها سورة النساء

المطلب الأول: ضبط علاقة الفرد بخالقه(الطاعة)

المطلب الثاني: ضبط علاقة الفرد بنفسه

المطلب الثالث: ضبط علاقة الفرد بالمجتمع

المبحث الثالث: المشكلات الاجتماعية وطرق معالجتها من خلال سورة النساء

المطلب الأول: التمرد

المطلب الثاني: انحلال الرابطة الزوجية

المطلب الثالث: العلاقات غير الشرعية

المطلب الرابع: الأضرار الاجتماعية والنفسية والصحية للعلاقات غير الشرعية

المبحث الأول: معالم السلوك الفردي والأسري في سورة النساء

المطلب الأول: بناء شخصية الفرد في سورة النساء

الجدول رقم:(23)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
17-18	-إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك أتوب عليهم ومان الله عليما حكيما، وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما-	-تعديل السلوك غير السوي. -التوبة ووقت قبولها.

- تشجع هذه الآيات الفرد على السير في سبيل الإصلاح والحق والخير، والحيلولة دون تسرب اليأس إلى قلوب الجاهلين، واستمرارهم في طريق الشر والإثم وفي هذا كله مصلحة للإنسانية وللمجتمع، ولما كانت التوبة تتمثل في الندم على ما فات والعزم على الكف، والرغبة في الإصلاح والإنابة وتلافي ما يمكن أن يكون قد سببه التائب من أضرار مادية ومعنوية مما يعلق بحقوق الناس أفراد وجماعات، كانت وجها من التغير من الشر إلى الخير، وإن كان التغير معناه انتقال الشيء من وضع إلى آخر أدركنا بداهة أنه نشأ مع الإنسان، وعاش معه في سلبياته وايجابياته، في ضعفه وقوته، بحكم ما نال المجموعة البشرية من تحولات فكرية، وعقائدية، واجتماعية واقتصادية، تختلف في حدتها، وتتفاوت في خطوات سيرها وتتباين في صورها، ومحتواها، وأحجامها حسب ما يبذل من موجهات، وما يقدم من عطاءات. وإذا ألقينا نظرة شاملة فاحصة على ما تكفل القرآن بذكره من أخبار، وعلى ما تولى عرضه من قصص تناولت مضامينها طائفة من حوادث الأمم، ومجموعة من وقائع الرسل مع أقوامهم، وملوك قراهم، أدركنا أن الدين واحد في كل الدعوات على الرغم من تباعد الأزمنة بينها وتنوع الأشخاص الذين تحملوا مسؤولية تبلغها واختلاف الأقوام الذين دعوا إليها، ذلك لأن المضمون الديني في نظر القرآن لم يكن نتاج قصور ذاتي، ولا وليد

ذكاء مفرط، كما أنه لم يكن إنجابا اجتماعيا، ولا انبثاقا لحتمية جدلية وإنما هو: هداية سماوية وهبة ربانية [1].

إن الفرد هو أصل الجماعة وإن وجود الإنسان كفرد يسبق وجوده كعضو في جماعة ويأخذ الإنسان دوره في الحياة، ويتحمل مسؤولية البقاء والنمو كفرد مستقل ذو حرية وإرادة واختيار، قال تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[2]، إذن فالخطاب يوجه في الأصل وفي البداية إلى الإنسان فردا فردا، ويكون التكليف بالخلافة إلى الفرد أولا ثم إلى النوع كجماعة ثانيا وإن العرض الإلهي للإنسان بالهداية وقبول رسالات الأنبياء يوجه إليه كفرد وله وحده الحق والحرية في أن يختار الهداية والرشد أو الغواية والضلال، وإن تبعة ذلك كله من جزاء وعقاب إنما يطاله هو كفرد في المقام الأول.[3]

ذلك أن للنفوس عاهات باطنية تعتادها وتعاودها، فتقضي بتقلص ماهي عليه من التعاليم الصالحة والتسلل مما طبعت عليه رويدا رويدا: تعاودها في ابتداء التخلق مصارعة بين حالتها السابقة الموروثة وحاتها الملقنة المبثوثة.

تلك مصارعة عظيمة وجهاد كبير بين داعيي النفس ويحق تسميتها بالجهاد كما ورد في سنن الترمذي، قال رسول الله ﷺ: " المجاهد من جاهد نفسه" ثم يعاود النفس النزوع إلى العكر السابق الذي طال عليه الأمد، فإن للنفوس حنينا إلى أحوالها المتقادمة ... وتعاودها بواعث الشهوة والغضب والتعجل والتريث فتروم خلع ما تلبست به من الأعمال الصالحة لقضاء مآرب عارضة معللة بالرجوع إلى حالها لعد ذلك الانخلاع عنه في فترة من الزمن.

فلأجل ذلك كله كان الإصلاح بحاجة إلى ما يشبه الحارس يذب عن النفس ما يتسرب إليها من دواعي نقص الإصلاح، وإن شئت قل من دواعي الفساد... هذه الحراسة هي إيجاد

---

[1]– محمد التومي، مرجع سابق، ص 374–375.

[2]– سورة الاسراء: الآية رقم 13–14

[3]– زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص34.

وازع في النفس يزعها أي: يمنعها من الانحراف عما اكتسبته من الصلاح حتى يصير تخلقها بذلك دائما وشبيها بالاختياري. [1]

هذا هو الوازع النفسي الذي يحرص الفرد ولا يجعل له مجال للخطأ والمعصية، وحتى إذا أخطأ الإنسان–وهو غير معوم من الخطأ– هو الذي يدفعه إلى التوبة وتصحيح الخطأ، ويبعد عنه كل ما يفسد نفسه الصالحة.

والله سبحانه وتعالى حين قدر أمر التوبة على خلقه رحم الخلق جميعا بتقنين هذه التوبة، وإلا غرق العالم في شرور لا مثيل لها، بداية من أول واحد انحرف مرة واحدة فيأخذ الانحراف عملا له، والمهم في التائب أن يكون قد عمل السوء بجهالة، ثم تاب من قريب، وفعل السوء بجهالة، أي بعدم استحضار العقوبة المناسبة للذنب، فلو استحضر الإنسان العقوبة لما فعل المعصية. [2]

ومن الأمور التي تساعد الفرد على الطاعة وعدم الوقوع في المعصية هي تكوين روح الخضوع للنظام، فخضوع الأفراد طواعية لهذا النظام ورغبة فيه يؤدي أولا إلى تطبيقهم له في السر والعلن لا خوفا من السلطة ولا نفاقا للمجتمع، وإنما حبا في هذا النظام وهذا بدوره يزيد من طاقة الأفراد في تطبيق النظام ونشاطهم في العمل، وأخيرا يؤدي هذا الأمر إلى شعورهم عند العمل بالسرور والبهجة، لأنهم يخضعون لنظام يؤمنون به ويحبونه. [3]

هذا النظام الذي يؤمنون به–الإسلام–لا يغلق الأبواب في وجه الخاطئين والخاطئات، ولا يطردهم من المجتمع إن أرادوا أن يعودوا اليه متطهرين تائبين، بل يفتح لهم الطريق ويشجعهم على سلوكه، أما التوبة الثانية ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ [4]، هذه توبة المضطر الذي أحاطت به الخطيئة، توبة الذي يتوب لأنه لم يعد لديه متسع لارتكاب الذنوب... وهذه لا يقبلها الله، لأنها لا تنشئ

---

[1]– محمد الطاهر ابن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010، ص74–76.

[2]– محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص2028–2029.

[3]– مقداد يالجن، مرجع سابق، 147.

[4]– سورة النساء: الآية رقم 18

صلاحا في القلب ولا صلاحا في الحياة، ولا تدل على تبدل في الطبع ولا تغيير في الاتجاه. (1)

المطلب الثاني: سلوك الزوج مع زوجته وسلوك الزوجة مع زوجها

الجدول رقم:(24)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
34	﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾	-القوامة للرجل. -الانفاق على المرأة. -حال المرأة الصالحة في بيتها.

1-القوامة للرجل

معنى "قوام "القوام هو المبالغ في القيام، وجاء الحق هنا بالقيام الذي فيه تعب، وعندما تقول فلان يقوم على القوم أي لا يرتاح أبدا. إذن لماذا تأخذ "قوامون على النساء "على أنه كتم أنفاس؟ لماذا لا نأخذها على أنه سعي في مصالحهن؟[2]

إن تفضيل الرجال في القوامة على النساء يعود إلى الوظيفة التي أسندت إلى الرجل والمتمثلة في الكدح والضرب في الأرض، لكي يكفل ويحقق للمرأة التفوق والمركز لا التعب، وفي المقابل أعطى للمرأة ميزة توازي القوامة وهي كونها سكن وراحة للرجل

-الأفضلية في تحمل المسؤولية والإنفاق على الأسرة كتفضيل بعض الأعضاء على بعض، وليست أفضلية للذكر على الأنثى، فلو قامت هي بالإنفاق على الأسرة لسبب ما، كعجز الرجل فهي أفضل منه في هذه الحالة.[3]

وهل قوامة الرجل على بيته تعني منحه حقا لاستبداد والقهر؟ بعض الناس يظن ذلك وهو مخطئ، فإن هناك داخل البيت المسلم ما يسمى حدود الله.. هذه الحدود هي الضوابط

(1)- سيد قطب، مرجع سابق، ص604.

2 - محمد متولي الشعراوي، مرجع سابق، ص2193.

3 - عبد العزيز عزت الخياط، مرجع سابق، ص29.

التي تمنع الفوضى والاستخفاف والاستضعاف، ضوابط الفطرة والعقل والوحي التي تقيم الموازين القسط بين الناس، إن البيت ليس وجارا تسكنه الثعالب، أو غابا يضم بين جذوعه الوحوش.[1]

وليست القوامة أن تكون المرأة تحت سيطرة الرجل فيسلبها حقوقها ويطمس شخصيتها، كما يقول سيد قطب: "هذه القوامة ليس من شأنها إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، ولا إلغاء وضعها المدني–إنما هي وظيفة داخل كيان الأسرة لإدارة هذه المؤسسة الخطيرة، وصيانتها وحمايتها. ووجود القيم في مؤسسة ما لا يلغي وجود ولا شخصية ولا حقوق الشركاء فيها، والعاملين في وظائفها. فقد حدد الإسلام في مواضع أخرى صفة قوامة الرجل وما يصاحبها من عطف ورعاية وصيانة وحماية، وتكاليف في نفسه وماله، وآداب في سلوكه مع زوجه وعياله.[2]

2–سلوك الزوج مع زوجته:

الحكمة من الزواج هي الإبقاء على النوع الإنساني بالتناسل، وكذلك حاجة كل من الزوجين إلى صاحبه لتحصين فرجه بقضاء شهوة الجماع الفطرية، وتعاون كل من الزوجين على تربية النسل والمحافظة على حياتهن وتنظيم العلاقة بين الزوجين على أساس من تبادل الحقوق والتعاون المثمر في دائرة المودة والمحبة والاحترام والتقدير.

وركز القرآن على واجبات الزوج نحو زوجته، لأنه أقوى الطرفين بما ميزه الله من صفات جسدية وعقلية، ولأنه في الغالب يكون هو البادئ بالعدوان والزواج عقد مكتوب وعهد متعارف عليه بين رجل وامرأة على أن يتعايشا في بيت واحد وأن الزواج شركة بينهما، لكل منهما وظيفته وحقوقه وواجباته فيها: الزوج يعول الأسرة ويدافع عنها، والزوجة تنجب له الأولاد وتتعهدهم بالرعاية والتربية، فضلا عن رعاية شؤون البيت بما يحقق راحة وسعادة الزوجين والأولاد، وبذلك ينشأ مجتمع صغير مترابط برباط وثيق من المحبة والتعاطف والتعاون، هو مجتمع الأسرة. ولا شك أن أقرب الناس للرجل هي زوجته، وأقرب الناس إلى

[1] – محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق، 1990، ص154.

[2] – سيد قطب، مرجع سابق، ص 652.

المرأة هو زوجها، يجد كل منهما في الأخر مأمنه ومستودع أسراره وماله، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة .... ﴾ [1] وقد بين القرآن الكريم الأسس السليمة التي يجب أن تكون عليها حياة هذا المجتمع الصغير فحدد التزامات وحقوق كل من الزوج والزوجة حيال الآخر، فقد شرع نظم الزواج، وشروطه وضماناته.[2]

وكما جعل للزوج القوامة على الزوجة وتقويمها، حفظ للزوجة حقوقها وكرامتها، فقال: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾.[3]

فالحق سبحانه وتعالى خلق الكون وفيه أجناس وكل جنس يشمل أنواعا أو نوعين، وتحت كل نوع أفراد فإذا ما رأيت جنسا من الأجناس انقسم إلى نوعين فاعلم أنهما يشتركان في مطلوب الجنس، ثم يختلفان في مطلوب النوع ولو كانا متحدين لما انقسما إلى نوعين ... وكذلك انقسم الإنسان إلى نوعين إلى ذكورة تتمثل في الرجال، وإلى أنوثة تتمثل في النساء، وبينهما قدر مشترك يجمعهما كجنس، ثم بينهما اختلاف باختلاف نوعهما.

المطلب الثالث: علاقة الوالدين بأبنائهم وسلوك الأبناء تجاه الوالدين

الجدول رقم:(25)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
36	﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾	-عدم الشرك بالله -استوصوا بالوالدين خيرا واحسانا.

1-علاقةالوالدين بأبنائهم:

من أوثق العلاقات وأنبلها وهي صفة ركبها الله في كل الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم، وهي علاقة غريزية، علاقة اعتزاز ومحبة وغاية من غايات الحياة الدنيا، يحققها الرجل بأن يكون من صلبه وعلى مثاله أولاد يشدون من أزره ويخلدون اسمه ويستمر بهم

[1]- سورة النساء: الآية رقم 1

[2] - محمد بهائي سليم، مرج سابق، ص165.

[3] - سورة النساء: الآية رقم32.

وجوده، ومن ثم كان أسوأ ما يصيب الإنسان من ألم وبلاء فقد ولد أو أصابته بمكروه كالمرض أو الفشل.

ويمكن الخالق على خلقه بما أنعم عليهم من مال وبنين، وهما قمة نعم الله على الإنسان في حياته الدنيا، ويحذرهم من الافتتان بهما عن ذكر الله وتقواه وينصحهم بإحسان التصرف فيما آتاهم من هذه النعم.[1]

يقول تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾[2]وقال أيضا: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا أملا﴾،[3]وإذ أنعم الله على الآباء بنعمة الولد، فعلى الآباء حمد الله وشكره على هذه النعمة.

ومظهر هذا الحمد والشكر حفظ هذه الأمانة وتزكيتها بالرعاية الواجبة والتنشئة الصالحة. وليس كالخلق القرآني ما يأخذ به الآباء في تربية أبنائهم ينفعون بها أولادهم وينفعون بها مجتمعهم....

وهذا لقمان يعظ ابنه بأداء حق الله عليه بالعبادات الواجبة وينصحه بالتجمل والصبر والثبات في الشدائد والتواضع أمام الناس.

فالزوجة تقوم بالمسؤولية الكبرى في البيت وهي تربية الأبناء ورعاية شؤونهم وكذا القيام بواجباتها الدينية والاجتماعية تجاه بيتها وأولادها، وكذلك الزوج الذي يسعى ويعمل على راحة أبنائه خاصة المادية منها وكذا إعدادهم وإمدادهم بالمبادئ والقيم التي تساعدهم على الاندماج في الحياة الاجتماعية.[4]

[1] – محمد بهائي سليم، مرجع سابق، ص 167.

[2] – سورة آل عمران الآية رقم 14.

[3] – سورة الكهف الآية رقم 46.

[4] – نفس المرجع السابق،168.

2-سلوك الأبناء تجاه الوالدين:

جعل الإسلام البر بالوالدين والإحسان اليهما ورعايتهما في مرتبة بعد توحيد الله وعبادته مباشرة، وهذا يدل على رفعة منزلة الأسرة في الإسلام، وضرورة إحاطتها بسياج من الحماية، حفاظا على سلامة الإنسان والمجتمع قال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا﴾.[1]

اذ يجب أن تقوم هذه العلاقة على الاحترام والتقدير والحب لما تحملا من تعب ونصب في سبيل تربيته ورعايته، بل لقد جعل الله طاعة الابن لوالديه في المرتبة الثانية بعد طاعة الله الذي خلقهم وسواهم ورزقهم.[2]

يقول عز وجل: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما﴾[3]

وليذكر الأبناء فضل والديهم عليهم، وخاصة ما لاقته أمهاتهم من جهد ونصب في حملهم ووضعهم ورضاعتهم، قال تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾[4]

فلولا وجود الآباء لما وجد هنالك أبناء، وما استمر هذا الوجود البشري فوق الأرض، فما أحرى الأبناء برد بعض دينهم لآبائهم، وما أجدرهم بطاعتهم والتماس رضاهم، وما يريد الآباء والأمهات إلا الخير والسعادة، إن الطفل إذا وجد في أبويه القدوة الحسنة والتربية الصحيحة فإنه يتشرب منهم مبادئ الخير والتربية والأخلاق الحميدة التي يشب عليها، فبالسكينة والمودة والرحمة والطمأنينة يشيع الاستقرار النفسي والعائلي، ويكون السلوك العائلي المنشود في الآية قد تحقق.[5]

---

[1] – سورة النساء الآية رقم 36.

[2] – محمد بهائي سليم، ص 168.

[3] – سورة الاسراء الآية رقم 23.

[4] – سورة لقمان: الآية رقم 14.

[5] – السيد حنفي عوض، علم الاجتماع التربوي، مكتبة إية القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1997-1998، ص164.

فمن المعروف أن الفرد يكتسب من طور علاقاته بأبويه مشاعر الأمن والتقدير والانتماء والكفاية، تلك المشاعر التي تساعده على شق طريقه في مستهل حياته نحو تكوين علاقات مرضية بغيره من الناس.

وتتأثر أفكار الطفل عن العلاقات بين الجنسين تأثرا قويا بالعلاقة بين أمه وأبيه، فهو يتعلم كيف يعامل الرجل المرأة من سلوك أبيه تجاه أمه، كما يتعلم كيف تستجيب المرأة للرجل من استجابة أمه لمعاملة أبيه. فإذا كانت العلاقة بين الأم والأب علاقة مشاركة بمعناها الكامل بحيث يتجلى فيها اشتراكهما معا في أعباء البيت ورعاية شؤون الأسرة، وإذا كان كل من الأب والأم يستمتع بصحبة الآخر ويعمل على توسيع نطاق هذه المتعة وتلك المشاركة بحيث تشمل الأطفال أيضا، فإن ما يتعلمه الطفل يتخذ لونا يختلف عن لون ما يتعلمه إذا ما كان أسلوب الأب في البيت يتسم بالاستئثار بالسلطة، أو كان سلوك الأم يتصف بالإسراف في فرض حمايتها على غيرها وفي التسلط أيضا، أو كانت أمور البيت تسيرها الانفعالات دون التفاهم بحيث يقع الطفل نهبا للحيرة والخوف حتى لا يكاد يرى أي الطرق يؤدي به إلى ما تشتهيه نفسه من استحسان أبويه ورضاهما.[1]

ومن خلال هذا السلوك غير السوي للوالدين تبدأ الخلافات العائلية في الظهور بين أفراد الأسرة الواحدة وقد تؤدي إلى زعزعت نظام وأمن واستقرار هذه الوحدة.

المبحث الثاني: العلاقات الإنسانية والاجتماعية وضوابطها كما تضمنتها سورة النساء

المطلب الأول: ضبط علاقة الفرد بخالقه

الجدول رقم:(26)

[1] – المرجع نفسه، ص 165.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
13-14	﴿وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾	-علاقة الفرد بخالقه هي الطاعة.
69	﴿ومَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾	-جزاء الطاعة التامة لله والرسول.

إن الإنسان-بطبيعته-قد تشرق روحه لحظة، قد تأخذه روعة الصبح الوليد مرة، وقد تأخذ بلبه الليلة المقمرة، قد تأخذه ضخامة الكون وانتظام سننه ودقة نظامه... ولكنها لحظات متقطعة لا دوام لها ولا استقرار، والإسلام لا يريد لهذه الاشراقة أن تنطفئ... إنما يري د أن يجعلها منهج حياة، يريد أن يذكي تلك الشعلة المقدسة فتظل على الدوام مضيئة، يريد أن تظل القبسة التي يشتمل عليها الإنسان من روح الله، مشعشعة واصلة لنبعها الأصيل.

ففي الإسلام تتجلى رحمة الله بعباده.. إنه لا يريدهم على المستحيل وهو يعلم الطلاقة الدائمة للبشر مستحيل، فقبضة الطين لها ثقلة، ودفعة الشهوة لها قوة، وثقلة المادة لها ضغط، ومن ثم يقول: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [1]، ويقول: ﴿لا يكلف الله نفس إلا وسعها﴾[2]

وهو في واقعيته -الكاملة التي تحسب حساب الضعف البشري-لا يكف أبدا على المحاولة، لا يكف عن النفخ الدائم لإذكاء شعلة الروح، لأن هذا هو الطريق الوحيد للرفعة، والطريق الوحيد لموازنة ما يهبط بالنفس من الأثقال، والطريق هو عقد الصلة الدائمة بين الإنسان والله. [3]

[1]- سورة التغابن: الآية رقم 16

[2] - سورة البقرة: الآية رقم 286.

[3]- محد قطب، مرجع سابق، ص42-43.

وإن هناك قوة أو نزعة في طبيعة الإنسان تدفعه إلى معرفة الخالق للالتجاء إليه من كل شر بتقديسه وعبادته ويجد في ذلك طمأنينة نفسية وانشراحا في الصدر وكأنه قضي حاجة في نفسه، وهذا يفيد أن الإنسان لديه الاستعداد لمعرفة الله. [1]

وحين يعيش الإنسان في جو الإسلام وجو القرآن لا يملك نفسه من التسليم بالله، فلا يقلق على الرزق فهو بيد الله، ولا على الحياة فالموت والحياة في يد الله ولا على ما يصيبها من أذى الناس.. ولا شيء مما يقلق النفوس على الأرض ويصيبها بالجزع والاضطراب. [2]

وعندئذ ينطلق الإنسان للعبادات التي هي جوهر علاقة الإنسان بخالقه، والطاعات التي تنبع من الحب الخالص لله تعالى فكل محب يطيع محبوبه، وحب الإنسان لله يتمثل في طاعته وتقواه والخوف منه، من أجل تعزيز هذه الرابطة وتقويتها بالعبادات التي تبقي الإنسان على اتصال دائم بخالقه، والتي تقوي في الإنسان إيمانه بالله وتوكله عليه والاستعانة به على كل شرور الحياة.

والذي يطيع الله ورسوله في الدنيا هو من أخذ التكليف وطبقه ويكون الجزاء هو دخول الجنة في الآخرة، لكن إدخال الجنة هل هو منهج الدين؟ أو هو الجزاء على الدين؟ إنه الجزاء على الدين، وموضوع الدين هو السلوك في الدنيا، فالآخرة ليست موضوع الدين، لكن موضوع الدين هو الدنيا، والآخرة هي دار الجزاء. [3]

والإنسان الذي تؤثر فيه ثقلة الطين ودفعة الشهوات وضغط المادة ويحيد عن طريق الله، فلابد له من إصلاح حاله وإصلاح علاقته بربه، لأن هذه العلاقة هي اهم أسس إصلاح العلاقات الاجتماعية على الاطلاق، يقول مالك بن نبي: " فالعلاقات الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان وأنها تلدها في صورة القيمة الأخلاقية، فعلى هذا يمكننا أن ننظر إلى العلاقة الاجتماعية

---

[1]– مقداد يالجن، مرجع سابق، ص275.

[2]– محمد قطب، مرجع سابق، ص60-61.

[3]– محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص2040.

والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية على أنهما حدث، ومن الجهة الكونية على أنهما عنوان على حركة تطور اجتماعي واحد".[1]

جعل الله تعالى رسوله طاعته، وقرن طاعته بطاعته، ووعد على ذلك بجزيل الثواب، وأوعد على مخالفته بسوء العقاب، وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه..

قال المفسرون والأئمة: طاعة الرسول في التزام سنته والتسليم بما جاء به.. وقالوا ما أرسل الله من رسول إلا فرض طاعته على من أرسله إليه. وقالوا: من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه.. ويقال: أطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية، والنبي بالشهادة له بالنبوة[2].

المطلب الثاني، ضبط علاقة الفرد بنفسه

الجدول رقم:(27)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
79	﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾	سن الله المنهج وذل على الخير وحذر من الشر والإنسان يختار.

النسق الاجتماعي الإسلامي يمكن لنا تبيان بعض ملامحه على النحو التالي:

-خلق الإنسان حرا ذا مشيئة واختيار.

-وجعله مسؤولا أي مكلفا بخلافة الله في الأرض.

-وانعم الله على الإنسان بقوى ثلاث: العقل والإرادة والتكوين البدني القويم.

-سخر الكون كله للإنسان.

-وبعد ذلك كله أرسل الرسل لتهديه إلى الصراط المستقيم، وذلك في حالة عدم استطاعته أن يهتدي بموارده الذاتية (العقل-الإرادة-التكوين البدني القويم) فلا عذر للإنسان إذا لم يهتدي إلى الصراط المستقيم.

---

[1]- مالك بن نبي، مرجع سابق، ص56-57.

[2]- جابر قميحة، مرجع سابق، ص 117.

–ومن وسائل الله في احياء عقل الإنسان وفي تغذية ارادته على العمل والجهاد أنه جعل الإنسان محاسبا في عالم آخر وحياة أخرى سرمدية قال تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ [1]. [2]

إن الله هو الذي سن المنهج وشرع الطرق ودل على الخير وحذر من الشر، وحين لا يتبع الإنسان منهج الله الذي سنه ولا يسلك طريقه الذي شرعه، ولا يحاول الخير الذي دل عليه، ولا يحذر الشر الذي حذره، حينئذ تصيبه السيئة سواء في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا، ويكون هذا من عند نفسه، لأنه هو الذي لم يتبع منهج الله وطريقه. [3]

ومن أجل ذلك جعل الله مصائر الإنسان بيده ونوع الحياة التي يحياها في الدنيا أو الآخرة هي ثمرة حتمية بنوع العمل الذي عمل به في الدنيا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر: الإنسان هو السبب الرئيسي في تشكيل مصيره... إلا الابتلاء يكون لفترة قصيرة ثم يأتي بعدها اليسر والخير والانفراج، ولكن فيما عدا ذلك فالإنسان هو المسؤول عن نفسه وعن حياته.

يقول الله عز وجل: ﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾ [4]، إذن فالإنسان هو العامل الرئيسي في تشكيل نوع الحياة التي يعيشها وهو المسؤول عنها وهي الحياة التي يستحقها وهي كذلك نتيجة كسبه المادي والايماني... وكيفما يكون كسب الإنسان وعمله يكون نوع الحياة التي يحياها: وكل تغيير في حياة الإنسان إلى الأحسن أو الأسوء هو المسؤول عنه، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [5].

إن الاجتماع البشري تحكمه قوانين صارمة –لا تقل صرامة من القوانين الطبيعية– ولكن فقط تختلف طبيعتها في أنها تتعلق بالإنسان وهو الكائن ذو الإرادة الحرة في أن يفعل أو لا يفعل، في إطار من الإرادة الإلهية الكلية الشاملة التي تحيط بكل شيء بما في

---

[1]– سورة المؤمنون: الآية رقم 115

[2]– زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص129.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص719.

[4]– سورة فاطر: الآية رقم 29–30

[5]– سورة الرعد: الآية رقم 11

الإنسان، وما يتصف به من مشيئة واختيار، قال تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ [1]، فالإنسان عامل أساسي في تقرير مصيره وإن مصائر الأمم معلق بكسب أفرادها. [2]

المطلب الثالث: ضبط علاقة الفرد بالمجتمع

الجدول رقم:(28)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
1	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾	من النشأة الواحدة التصغيرية إلى التكبير في الجماعة الإنسانية.

إن الحقيقة في هذه المسألة واضحة في الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها فهة–بحكم الفطرة– ذو طبيعة مزدوجة فردية وجماعية معا، وليس بين النزعتين تناقض في كيان الإنسان، وأن حقيقة المجتمع متأصلة في الفترة البشرية من خلال الحاجة الفطرية للانتماء.

فالمجتمع إنما ينشأ في ضمير الفرد، وصورته التي يكون عليها منبثقة من الكيان الداخلي للإنسان، فهو بفطرته التي أودعها الله فيه، يحس بضرورة العيش مع أخيه والتعاون معه، والتآزر المشترك لتحقيق الأهداف النافعة.

كما أن حقيقة الشخصية مرتبطة بالمجتمع، فبالرغم من الاستعدادات الفطرية الهائلة، وبالرغم من روعة خلقها فإنها لا تستطيع أن تمارس وظائفها على الوجه الكامل دون أن تمر بعمليات من التدريب والتنمية التي يتولاها المجتمع، وهكذا فإن إحساس الفرد بفرديته واستقلاليته عن الآخرين، واحساسه بالميل إلى الاجتماع بهم والتعاون معهم، هو إحساس فطري وإن كان يبدو متناقضا. [3]

[1]– سورة النساء: الآية رقم 79

[2]– زكريا بشير إمام، مرجع سابق، ص130–133.

[3]– زعيمي مراد، مرجع سابق، ص292.

ويبدع القصص القرآني في توضيح هذه القضية، حيث أفادنا بأن فرعون علا في الأرض وعمل على أن يكون كل من حوله ضعيفا، مستضعفا، وجعل الناس شيعا متفاوتة وفئات متناحرة، كل ذلك دعما لعلوه وبسطا لسلطته وضمانا لاستمرارية هيمنته: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ [1].

إن القرآن بهذا الخبر أراد أن يري الناس ما ينتج عن طغيان الفردية من آفات اجتماعية ويشعرهم بأعمق أسبابها، وهي استخفاف الطغاة للجماهير وعزلهم من كل سبل المعرفة ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، غير أن الطاغية لا يملك أن يفعل بالجماهير فعله إلا إذا كان القوم مهيئين للتفاني في عبادته، وما حكم القرآن عليهم بالفسق والانحراف إلا لكونهم قد أذعنوا إذعانا تاما لتصوراته وأطاعوه طاعة عمياء، من غير أن يكون لشخصيتهم الاجتماعية أي دور إيجابي يحد من طغيان الفردية.

وإذا كان القرآن رفض بما حكاه عن فرعون أن تطغى الفردية على الجماعية، نراه يرفض أيضا أن تستبد الجماعة بالفرد، وتعتدي عليه بغير حق، فقد أخبرنا بأن فرعون وقومه قرروا التخلص من موسي والقضاء عليه: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم أيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وإن يك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾[2]، إن هذا الخبر يفيد أنه ليس من الحق ولا من العدل أن يقتل رجل لم يزد على أن قال ﴿ربي الله﴾ لأن هذه المقولة باعتبار كونها تعبر عن اعتقاد قلبه واقتناع نفسه ووجهة نظره، لا يستدعي اعتداء ولا يستحق عقوبة.

إذا نظرنا إلى ما يوجد في القرآن من مبادئ عقائدية وتعبدية، ومن توجيهات خلقية، ووصايا تعاملية وأحكام شرعية نراها تهدف كلها إلى تطبيع العلاقات بين الفرد والأفراد الذين يتألف منهم المجتمع وتثبت كلها أن القرآن لا يحابي الفرد على حساب الجماعة، ولا يحابي الجماعة على حساب الفرد. [3]

---

[1]– سورة القصص: الآية رقم 4.

[2]– سورة غافر: الآية رقم 28

[3]– محمد التومي، مرجع سابق، ص194-195.

ومن اجل إصلاح هذه المنظومة إن صح التعبير منظومة الفرد والجماعة، وفرض علاقة التكاملية بينهما لابد من التعامل بقاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في علاقة المؤمن مع المؤمن يقرر القرآن الكريم أن المؤمنين جميعا – رجالهم ونساءهم– يجب أن يعملوا على أن تكون الصلة بينهم صلة الحب والولاء، صلة التكافل والتضامن، صلة التواصي بالمعروف والتناهي عن المنكر.. ويلاحظ أن القرآن يوجب العدل في الصلح بين المتخاصمين فلا يجوز أن تكون هناك محاباة لفريق ضد آخر بسبب أو لآخر، ولهذا لم يغفل القرآن ما قد ينجم عن قوة العلاقة الناتجة عن النسب والدم عندما يواجه المؤمن بخلاف بين قريب له وآخر بعيد عنه ولا تربطه به صلة، فأوجب العدل والقسط على المؤمن في كل حالة وإن كان ضد أقرب الناس إليه وفي صالح البعيد عنه[1].

المبحث الثالث: المشكلات الاجتماعية وطرق معالجتها حسب سورة النساء

إن الإيمان الصادق متى استقر في القلب ظهرت آثاره واضحة في المعاملة والسلوك، والإسلام عقيدة متحركة لا تطيق السلبية، إذ أنها بمجرد تحققها في عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج وتترجم نفسها إلى حركة وإلى عمل في عالم الواقع.

فالسرور ثمرة عملية لمن يتحلى بالعقيدة الصحيحة، والطمأنينة القلبية والشعور بخيرية الذات وخيرية المصير... لأن الإنسان عندما يتصرف بمقتضى عقيدته فيؤدي الواجبات كما ينبغي أداؤها ويتجنب المحرمات يشعر بأنه إنسان خير قوي الإرادة.

وإذا تفحصنا العلاقات الاجتماعية في حياتنا المعاصرة نجد أن الاضطراب في السلوك هو الظاهرة السائدة، وأن الابتعاد عن الاستقامة مما تعج به أكثر المجتمعات الحديثة، وهذا دليل واضح ومؤشر قوي على ابتعاد الناس –حتى كثير من المسلمين – عن صفاء عقيدتهم المؤثرة والتزامهم المنضبط بتوجيهاتها.[2]

وربط الإسلام بين العقيدة والسلوك ربطا قويا فنقرأ قوله تعالى في سورة النساء:

---

[1]– أحمد ابراهيم مهنا، مرجع سابق، ص125.

[2] – إبراهيم علي أحمد محمد خليل، ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك، دار السلام، القاهرة، 2010، ص49.

– قال تعالى: " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا".[1]

بدأت الآية بالأمر بعبادة الله تعالى، وعدم الإشراك به، والأمر بالإحسان إلى الوالدين، والأقرباء، واليتامى والمساكين، والجار بأنواعه سواء القريب منك قرابة حقيقة، أو قرابة مكانية، والجار في السفر، وأمرت كذلك بالإحسان إلى ابن السبيل، وختمت الآية بأن الله لا يحب البخيل الذي يقطع إحسانه عن الناس، المختال المتكبر عليهم. يقول الألوسي: " وقدم الله تعالى الأمر بعبادته، لأنه حق الله تعالى، وهو المراد الأعظم، والعبادة هنا هي أقصى غاية الخضوع لله تعالى، والإحسان المأمور به في الآية للوالدين معناه: أن يقوم بخدمتهما، ولا يرفع صوته عليهما، ولا يخشن في الكلام معهما، ويسعى في تحصيل مطالبهما، والإنفاق عليهما بقدر القدرة، والإحسان إلى ذي القربى، أي بصاحب القرابة من أخ، وعم، وخال ونحو ذلك، أي الذي قرب جواره، والجار الجنب: أي البعيد من الجنابة ضد القرابة، وهي على هذا مكانية، ويحتمل أن يراد بالجار ذي القربى: من له مع الجوار قرب، واتصال بنسب، أو دين، وبالجار الجنب الذي لا قرابة له ولو مشركا، والصاحب بالجنب: وهو الرفيق في السفر، والمنقطع إليك يرجو إليك نفعك ورفدك، وابن السبيل: هو المسافر أو الضيف، وما ملكت أيمانكم: من عبيدكم وخدمكم.[2]

والله سبحانه وتعالى يحب ان ينتشر الاحسان في الكون كله بين عباده، وهذا لا يكون إلا إذا ضبطت العلاقات الإنسانية في المجتمع كما وضحت الآية، والتي تحتوي أيضا على توجيهات أساسية من أجل رعاية الأسرة وحمايتها من كل الأخطار والمشاكل التي قد تؤدي إلى القضاء على أمنها واستقرار أفرادها.

المطلب الأول: التـــمرد

الجدول رقم:(29)

---

[1] – سورة النساء: الآية رقم 36.

2 – نفس المرجع السابق، ص50.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
35-34	﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أهلها إن يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بينهما إن اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾	نشوز المرأة والرجل وطرق العلاج.
128	﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أو إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأنفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾	

عالجت سورة النساء مسألة الخلاف العائلي علاجا دقيقا لما له من آثار سلبية ونتائج غير مرغوب فيها، والتي في الغالب تؤدي إلى عدم استقرار الأسرة وتفككها، فالزوج والزوجة هما محور تكوين الأسرة والحاضن الرئيسي للأبناء فكان لزاما الإصلاح بينهما حين نشوب الخلاف من أجل صلاح الاسرة والمجتمع.

والحديث حول قضية الخلاف العائلي أمر يطول شرحه ولكن يمكن أن نختصره في مشكلة واحدة أو سلوك واحد غير سوي يسلكه الزوج أو الزوجة أو كلاهما فينخر الأسرة ويتسبب في انهيارها وهو النشوز، وإذا تتبعنا آيات سورة النساء وطريقة علاج هذا النشوز تبين لنا أنه ثلاثة أنواع:

أ-تمرد الزوجة:

ومعنى النشوز: يقال نشز من مكانه نهض منه وقام، وأل ذلك النشز للمرتفع من الأرض،

ونشز أحد الزوجين من الآخر: جفاه ونبا عنه، كأن تعصي المرأة زوجها، وكأن يقصر الرجل في حقوق المرأة، أو يؤثر امرأة أخرى عليها. [1]

جاء في قوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ والمنهج الإسلامي لا ينتظر حتى يحدث النشوز بالفعل، وتعلن راية العصيان، وتسقط مهابة القوامة وتنقسم المؤسسة إلى معسكرين...فلابد من المبادرة في علاج مبادئ النشوز قبل استفحاله...وهدا هو الاجراء الأول –الموعظة– وأول واجبات القيم ورب الأسرة عمل تهذيبي مطلوب منه في كل حالة، ولكن العظة قد لا تنفع لأن هناك هوى غالبا أو انفعالا جامحا ...ينسي المرأة أنها في شريكة في مؤسسة وليست ندا في صراع، هنا يأتي الإجراء الثاني وهو الهجر والذي له آدابه وقواعده وهو ألا يكون هجرا ظاهرا ...أمام الأطفال يورث أنفسهم شرا وفسادا، ولا أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستشير كرامتها فتزداد نشوزا. [2]

وحين لا تجدي الموعظة ولا يجدي الهجر في المضاجع لابد أن يكون هذا الانحراف من نوع آخر ...ومن مستوى آخر، لا تجدي فيه الوسائل الأخرى ...وقد تجدي فيه هذه الوسيلة...كما يقول الدكتور ألكسيس كاريل: " فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب نفسها أن تجعله قيما وترضى به زوجا، إلا حين يقهرها عضليا وليست هذه طبيعة كل امرأة ولكن هذا الصنف من النساء موجود وهو الذي قد يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة ليستقيم ...ويبقي على هذه المؤسسة في سلم وطمأنينة. [3]

هذه هي المراحل الثلاث التي عالج بها القرآن الكريم نشوز المرأة وهي الوعظ والهجر وفي الأخير الضرب وهو آخر العلاج.

وأما إذا وصلت مرحلة الشقاق كما في الآية فوجب التحكيم بين الزوجين ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [4]، ومن عظمة القرآن أنه جعل الخطاب هنا للمؤمنين جميعا–لأن المجتمع الإسلامي هو

---

[1]– ابراهيم مدكور، مرجع سابق، ص66.

[2] – سيد قطب، مرجع سابق، 654.

[3] – نفس المرجع السابق، ص654.

[4]– سورة النساء: الآية رقم 35

مجتمع الحب والحرص على مصالح الآخرين–فإذا استطاع الأقارب القيام بمهمة الإصلاح كان بها وإلا لكان الواجب إبلاغ الأمر إلى الحاكم. وهنا المسؤولية بين جماعة المسلمين والحاكم، فالعضو في المجتمع الإسلامي مكلف بأن يلعب دورا إيجابيا بناءً في حياة بقية الأعضاء، فهو إيجابي مشارك، وهذه هي ما يطلق عليها المشتغلون بقضايا التنمية البشرية (المواطنة المشاركة) ولكن بالمفهوم الإسلامي البناء الذي ينبثق من عقيدة محددة.

والله من وراء القصد دائما في عملية الإصلاح ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ وهذا توجيه إلهي كريم بضرورة إخلاص النية وتحري العدل والصبر في التحكيم من أجل الإصلاح، ويشير الله سبحانه وتعالى في نهاية الآية أن الله كان عليما خبيرا، فهو يعلم خائفة الأعين وما تخفي الصدور، وفي هذا حفز ودفع للمحكمين الاخلاص النية والصدق في الإصلاح، والحفاظ على تماسك الأسرة وتجنب الانفصال. [1]

ب–تمرد الزوج:

قال الله تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾[2] ثم نمضي خطوة أخرى في التنظيم الاجتماعي –في محيط الاسرة–...فإذا خشيت المرأة أن تصبح مجفوة، وان تؤدي هذه الجفوة إلى الطلاق ...فليس هنالك حرج عليها ولا على زوجها أن تتنازل له عن شيء من فرائضها المالية أو فرائضها الحيوية، كأن تترك له جزءا من نفقتها الواجبة عليه، أو أن تترك له قسمتها وليلتها إن كانت له زوجة أخرى...هذا كله إذا أرادت هي بكامل اختيارها وتقديرها لجميع ظروفها أن ذلك خير لها وأكرم من طلاقها.[3]

وإذا كان الرجل يأبى أن يكون عادلا بين زوجاته، ورفضت الزوجة الصلح والتنازل عن حقوقها، فحينئذ يكون الفراق خير والطلاق هو البديل إذا تعسر الوفاق وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وإن يتفرقا يغني الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾[4].

---

[1]– نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص100.

[2] – سورة النساء: الآية رقم 128.

[3] – سيد قطب، مرجع سابق، ص769.

[4] – سورة النساء: الآية رقم 130.

ج-تمرد الزوجين:

سبق بيان نوعين من النشوز وفيهما يكون أحد الطرفين راغبا في الإصلاح، كارها للنشوز، ولكن النوع الثالث أصعب كون الزوجين معا متنافرين متناكدين وهو ما وصفه القرآن بالشقاق بينهما، اذ أن الطرفين يتباعدان ويزعمان أن الآخر هو المسيء، تقول الآية الكريمة: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فانبعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها... ﴾ والعلاج في مثل هذا الخلاف حددته الآية: ألا وهو الاحتكام وتدخل الأهل للإصلاح، والتدخل الخارجي شرع عندما لا يجدي العلاج الداخلي بينهما فلا يستحب تدخل الأهل بكل أمورهما إلا بعد نفاذ الجهد والسعي في الإصلاح بينهما.[1]

هذا هو المنهج الرباني في معالجة مثل هذا السلوك غير السوي من طرف الزوجين حماية لهما كي يعيشا في مودة ورحمة، وينعم الأطفال بحياة هادئة وسعيدة ومتماسكة وكذا ضمان الأمن والاستقرار للأسرة.

المطلب الثاني: انحلال الرابطة الزوجية

الجدول رقم:(30)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
130	﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾	انحلال الرابطة الزوجية عن طريق الطلاق

1-لماذا شرع الإسلام انحلال الرابطة الزوجية؟

ليس كل انحلال الرابطة الزوجية محمود في الإسلام، فمنه ما يكرهه بل يحرمه، لما من هدم للأسرة التي يحرص الإنسان على بنائها وتكوينها، ولهذا جاء في الحديث الشريف الذي رواه البخاري: " أبغض الحلال الطلاق".

[1] – عبد الله محمد فهد وانتصار سامي إبراهيم، أسس اصلاح البيت المسلم من خلال سورة النساء، مجلة مداد الآداب، 2019، ص 51-52.

إنما انحلال الرابطة الزوجية الذي شرعه الإسلام هو أشبه ما يكون بالعملية الجراحية المؤلمة التي يتحمل الإنسان العاقل فيها آلام الجراحة، بل بتر عضو منه، حفاظا على بقية الجسد، ودفعا لضرر أكبر، فإذا استحكم النفور بين الزوجين، ولم تنجح كل وسائل الإصلاح ومحاولات المصلحين في التوفيق بينهما، فإن الطلاق –في هذه الحالة–هو الدواء المر الذي لا دواء غيره، ولهذا قيل: إن لم يكن وفاق ففراق، ويقول القرآن الكريم: ﴿وإن يتفقرا يغن الله كلا من سعته﴾ [1].

وما شرعه الإسلام هنا هو ما يفرضه العقل والحكمة والمصلحة، فإن أبعد الأمور عن المنطق والفطرة، أن تفرض بقوة القانون شركة مؤبدة على شريكين، لا يرتاح أحدهما للآخر ولا يثق به، إن فرض هذه الحياة بسلطان القانون عقوبة قاسية، لا يستحقها الإنسان إلا بجريمة، إنها شر من السجن، بل هي الجحيم الذي لا يطاق. [2]

2- انحلال الرابطة الزوجية بيد الرجل

وجعل انحلال الرابطة الزوجية بيد الرجل وحده، هو الطبيعي المنسجم مع واجباته المالية نحو الزوجة والبيت، فما دام هو الذي يدفع المهر والنفقات، كان من حقه أن ينهي الحياة الزوجية إذا رضي بتحمل الخسارة المالية والمعنوية الناشئتين عن رغبته في الطلاق.

والرجل في الأعم الغالب أضبط أعصابا وأكثر تقديرا للنتائج في ساعات الغضب والثورة، وهو لا يقدم على الطلاق إلا عن يأس من إمكان سعادته الزوجية مع زوجته، ومع العلم بما يجره الطلاق عليه من خسارة، فقل أن يقدم عليه إلا وهو على علم تام بالمسؤولية، لذلك نجد إعطاء الرجل وحده حق الطلاق طبيعي ومنطقي ومنسجم مع قاعدة "الغرم بالغنم". [3]

فإذا فشلت كل المحاولات الذاتية الداخلية، كذلك فشلت محاولة التحكيم الصادق ورفض الزوج أن يطلق سراح زوجته وأجبرها على البقاء معه وهي كارهة للمقام معه–دون إيذاء لها أو إضرار بها–فقد شرع الإسلام للزوجة أن تفتدي نفسها بمالها تقدم بعضه للزوج وهو ما

---

[1]– سورة النساء: الآية رقم 130.

[2]– يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة القاهرة، 2001، ص342–343.

[3]– مصطفى السباعي، مرجع سابق، ص90.

يطلق عليه(الخلع) قال الله تعالى: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به، تلك حدود الله فلا تعتدوها﴾ [1]

وشرط الخلع أن يكون بقيام المرأة بافتداء نفسها بإرادتها بدفع جزء من مالها لزوجها بشرط عدم ظلمها أو إيذائها أو إجبارها على دفع هذا المال... ومن المحتمل ألا يكون لدى المرأة ما تفتدي به نفسها، وقد يكون لديها ولكن الزوج لم يقبل واستمر ممسكا لها مع ايذائها وإلحاق الضرر بها، هنا يبيح الإسلام للمرأة أن تلجأ للقضاء الإسلامي مع إثبات أوجه الضرر والإيذاء الذي يوقعه بها زوجها، ويمكن للقضاء أن يحكم بتطليقها. [2]

إذا حين تجف القلوب، فلا تطيق هذه الصلة ولا يبقى في نفوس الزوجين ما تستقيم به الحياة، فالتفرق إذا خير، لأن الإسلام لا يمسك الأزواج بالسلاسل والحبال، ولا بالقيود والأغلال، إنما يمسكهم بالمودة والرحمة، أو بالواجب والتجمل، فإذا بلغ الحال ألا تبلغ هذه الوسائل كلها علاج القلوب المتنافرة، فأنه لا يحكم عليها أن تقيم في سجن من الكراهية والنفرة، أو في رباط ظاهري وانفصام حقيقي. [3]

إن الإسلام يحرص كل الحرص على بناء الأسرة ورعايتها وحفظها، والسهر على سلامتها من كل الأضرار التي يمكن أن تؤدي إلى تفككها، لأنها منبت الحياة الاجتماعية والاستقرار العائلي وصلاح الفرد، غير أن الحياة الاجتماعية خاصة لا تخلوا من المشاكل والصراعات، وهذا طبعا راجع لطبيعة الكائن البشري الذي لا يستقيم حاله على شيء.

فحين تبدأ الخلافات العائلية نجد الإسلام قد وضع لها نظاما فريدا من نوعه، فيبدأ بالإجراءات الوقائية قبل أن يكون هنالك مشكل، ثم تأتي مجموعة من الإجراءات الارشادية، فإن لم تنجح الوقاية والإرشاد يذهب إلى الطرق العلاجية.

المطلب الثالث: العلاقات غير الشرعية

الجدول رقم:(31)

---

[1]– سورة البقرة: الآية رقم 229.

[2]– نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص101.

[3]– سيد قطب، مرجع سابق، ص771.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
15-16	﴿وَاللاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلا، وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾	-الزنا -الشهادة -العقوبة
25	﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	

1-الزنا

إن المفهوم العام للزنا هو (أن يأتي رجل امرأة بفعل الجماع بغير أن تكون بينهما علاقة الزوجية المشروعة) وأنه حرام في كل الشرائع، أما القضية التي فيها الاختلاف هي كون الزنا (جريمة مستلزمة للعقوبة في نظر القانون) فالمجتمعات التي كانت على قرب من الفطرة الإنسانية مازالت تعد الزنا في حد ذاته جريمة قررت لها العقوبات الشديدة، ولكن ظل سلوك المجتمعات نحو الزنا يلين شيئا فشيئا على قدر ما ظلت زخارف المدينة تفسد هذه المجتمعات.

فأول تساهل جيء به عامة في القضية أنهم فرقوا بين (الزنا المحض) و(الزنا بزوجة الغير) فاعتبروا الأول خطيئة أو زلة يسيرة، ولم يعتبروا جريمة مستلزمة للعقوبة إلا الآخر، والزنا المحض هو أن يجامع أيما رجل-بكرا كان أو متزوجا-امرأة ليست بزوجة أحد، فحد هذه الخطيئة أي عقوبتها هين جدا في قوانين مصر القديمة وبابل وآشور والهند، وهذه القاعدة التي أخذت بها اليونان والروم وبها تأثرت اليهود أيضا. فهي لم تذكر في الكتاب

المقدس لليهود إلا كخطيئة يلزم الرجل عليها غرامة مالية لا غير، فقد جاء في كتاب الخروج: " وإذا راود رجل عذراء لم تخطب فاضطجع معها يمهرها لنفس زوجة، إن أبى أبوها أن يعطيه إياها يزن له فضة كمهر العذارى" غير أنه إذا زنا أحدهم ببنت القس عوقب بالشنق بموجب القانون اليهودي، وعوقبت البنت بالإحراق. [1]

كانت هذه في عجالة لمحة عن مفهوم الزنا في المجتمعات القديمة وبعض الديانات السماوية، وكيف كانت عقوبتها، والتسهيلات التي مارستها المعتقدات والديانات القديمة واللين في التعامل مع هذه الظاهرة، حتى شاعت –هذه الفاحشة– وأصبحت على ما هي عليه الآن.

والزنا في الإسلام أكبر الفواحش وأعظم الآثام ففيه ست خصال كلها خطيرة ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الأولى فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر، وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب والعذاب بالنار قال تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾[2] ، فالملحوظ أنه تعالى نهى في هذه الآية عن مقدمات الزنا من لمس وقبلة ومداعبة بالمنطوق، ونهى عن نفس الزنا بمفهوم الأولى ولا شك في أن هذا النظام أبلغ في افادة الحرمان والذي يظهر أن المرء لا يزني إلا بمن توافقه أخلاقا وتشاكله غريزة وتناسبه صفة، فإن الطيور على أشكالها تقع ولعل قوله تعالى: ﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾[3] يشير إلى ذلك.[4]

والقانون الإسلامي يقرر الزنا جريمة مستلزمة للمؤاخذة والعقوبة، ويغلظ في نظره شدة هذه الجريمة أن يرتكبها رجل محصن أو امرأة محصنة بالزواج، لا على أساس أنه نقض العهد أو تعدى على فراش غيره، ولكن على أساس أنه سلك لقضاء شهوته طريقا غير مشروع، على كونه متمكنا من قضائها بطريق مشروع، والنظرة التي بها ينظر الإسلام إلى فعلة الزنا هي أنها إذا أطلق عنان الناس لإتيانها متى شاءوا فإنها لا تلبث أن تستأصل شأفة نوع الإنسان وتمدنه معا.

---

[1]– أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، دار الفكر، 1959، ص32–34.

[2]– سورة الاسراء: الآية رقم 32

[3]– سورة النور: الآية رقم 36

[4]– محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، 1982، ص268.

فمما يستلزم الاستبقاء على نوع الإنسان وتمدنه أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة محدودة إلى علاقة قابلة للاعتماد عليها حسب القانون، ولا يمكن أن تكون هذه العلاقة محدودة مادام المجال واسعا معها للعلاقة الحرة، فإن الناس إذا كان من الميسور لهم أن يقضوا شهواتهم بدون ان يتحملوا أعباء الحياة العائلية وتبعاتها، لا يمكن أن يرجى منهم بحال ان يرضوا بتحمل هذه الأعباء والتبعات لمجرد قضاء هذه الشهوات نفسها. [1]

والإسلام يمضي هنا على طريقه في تطهير المجتمع وتنظيفه، وقد اختار عزل الفاحشات من النسوة وإبعادهن عن المجتمع، متى ثبت عليهن ارتكاب الفاحشة، وإيذاء الرجال الذين يأتون الفاحشة الشاذة ويعملون عمل قوم لوط، ولم يحدد نوع الإيذاء ومداه، ثم اختار عقاب هؤلاء النسوة والرجال أيضا عقوبة واحدة هي حد الزنا... الجلد أو الرجم والهدف الأخير من هذه أو تلك هو صيانة المجتمع من التلوث والمحافظة عليه نظيفا عفيفا شريفا. [2]

إن الانحراف عن الفطرة هو انحراف عن منهج الله وقوانينه وسننه التي تنظم وتضبط حياة الإنسان على هذه الأرض، ويبدو انحراف الفطرة واضحا في فعلة قوم لوط، حتى أن لوطا ليجبههم بدع دون خلق الله فيها، وأنهم في هذا الانحراف الشبيع غير مسبوقين: ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾[3]، الخطيئة المنكرة التي جاء بها قوم لوط هي الشذوذ الجنسي بإتيان الذكور وترك النساء، وهو انحراف في الفطرة شنيع، فقد برأ الله الذكر والأنثى وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام، الذي يجعل كل من في الكون في حالة تناسق وتعاون على انفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود، فأما إتيان الذكور الذكور فلا يرمي إلى هدف ولا يحقق غاية ولا يتماشى مع فطرة هذا الكون وقانونه.[4]

---

[1]– أبو الأعلى المودودي، مرجع سابق، ص41.

[2]– سيد قطب، مرجع سابق، ص599.

[3]– سورة الأعراف: الآية رقم 81

[4]– أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت، 1992، ص243.

إن هذا الانطلاق البهيمي ينتهي دائما بتدمير الحضارة وتدمير الأمة التي يشيع فيها، كما وقع في الحضارة الاغريقية والحضارة الرومانية والحضارة الفارسية قديما، وكما يقع اليوم في الحضارة الأوروبية وفي الحضارة الأمريكية كذلك، وقد أخذت تتهاوى على الرغم من جميع مظاهر التقدم الساحق في الحضارة الصناعية، الأمر الذي يفزع العقلاء هناك وإن كانوا يشعرون–كما يبدوا من أقوالهم–بأنهم أعجز من الوقوف في وجه التيار المدمر. [1]

هذا الانحلال الخلقي الذي تعاني منه أوروبا وأمريكا، والذي ينتشر بسرعة في كل أرجاء العالم كانتشار الفيروس في الجسم، سببه الفراغ الروحي أو الأمراض الروحية لتلك المجتمعات التي توغلت في الحياة المادية، وبعد أن بحث العلماء عن أسباب تلك الأمراض وجدوها ترجع إلى إهمالهم أو تجاهلهم الحياة الروحية، وهذا ما يقرره الدكتور **ألكسيس كارل** مبينا ما يترتب على إهمال التربية الروحية من الانحلال الأخلاقي، يقول: " فهم يتوهمون أن تربية الذكاء تضاهي تربية الروح وقد ردت الحياة على هذا الجهل بجواب بطيء صامت بدت مظاهره جلية في القرى والمدن وهو الزحف التدريجي للقبح والقذارة والفظاظة والسكر وشهوة الترف وحب السلامة والحسد والنميمة والبغض المتبادل وتلك الرذائل التي يعدها دانتي أحط ما يتسم به البشر وهي النفاق والكذب والخيانة هكذا أجابت الحياة بطريقة آلية على رفض الخضوع لقانون الارتقاء الروحي فقضت على نفسها بالانحطاط والانحلال" .[2]

هذا هو الحل الذي جاء به الإسلام منذ مئات السنين، للقضاء على الرذيلة والانحلال الخلقي، وتطهير المجتمع من الفاحشة والقضاء على الفوضى الجنسية التي كان يسبح فيها العرب أثناء الجاهلية، هذا الحل يعترف به بعض علماء الغرب اليوم ويجعلونه حلا لكل مشاكلهم وأزماتهم الأخلاقية والمادية وهو الرجوع إلى الله.

ليس في الإسلام حرية للفواحش والمنكرات فالزنا جريمة عقوبتها لغير المحصن (غير المتزوج) مائة جلدة، قال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص602.

[2]– مقداد يالجن، مرجع سابق، 240.

المؤمنين﴾[1]، وعقوبة المحصن "المتزوج" الرجم على رأي جمهور العلماء، وهناك من خالف وجود الرجم كعقوبة ثابتة، وقد رأى بعض العلماء أن عقوبة الزنا هي الواردة في الآية وما ورد في السنة من الرجم فيحمل على التعزير الذي هو صلاحية الإمام عندما يرى مبررا لتشديد العقوبة للإعدام بالرجم.. وحد الزنا حق خالص لله لا يملك الحاكم العفو عنه بعد ثبوته أو إقرار الفاعل به[2].

2- الشذوذ الجنسي (اللواط)

ذهب المالكية والحنابلة في أظهر الروايتين عن أحمد إلى أن عقوبة اللائط هو الرجم والإعدام بكل حال (أي سواء كان محصن أو غير محصن، لقوله عليه الصلاة والسلام: (من وجدتموه يعمل عمل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به)، وفي لفظ فارجموا الأعلى والأسفل، أما الشافعية فقالوا حد اللواط هو مثل حد الزنا من غير فرق لحديث (إذا جاء الرجل الرجل فهما زانيان وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان)[3].

وقد ترتب على هذه العلاقات غير الشرعية وغيرها من السلوكات غير السوية أنواع من الجزاءات ونذكر منها:

الجزاء الاجتماعي: إن لكل فعل ردة فعل هذا التعبير يصلح عادة في العلوم الحية (الطبيعية والفيزيائية) ولكن إذا قلنا لكل جريمة عقاب. فالجريمة فعل والعقاب رد فعل، فلذلك قرر الشارع الحكيم الجزاء على كل فعل يضر بالنفس والمجتمع.

والجزاء غير المباشر: هو ما يجده كل فرد في المجتمع من جراء انتشار الانحلال الأخلاقي مثل الكذب النفاق والبغض والمحاباة والخيانة والمحسوبية والرشوة والحسد وعدم الإخلاص والأنانية وما إلى ذلك.

---

[1] – سورة النور: الآية رقم 2.

[2]– محمد سيد طنطاوي، مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام منعقد في الفترة من 22-23 فبراير 2003، تقديم محمد عبد الله المهدي، دار القلم، الكويت، 2004، ص 312.

[3]– محمد سيد الطنطاوي، مرجع سابق، ص 313

فالحياة الاجتماعية تصبح عندئذ جحيما لا يطاق إذ تزول عندئذ من هذه الحياة البهجة والمودة والمحبة والأمن والاطمئنان. لهذا فقد أرجع علماء الاجتماع بعض الأمراض الاجتماعية ومنها مشكلة الانتحار إلى انحلال العلاقات الاجتماعية. الأخلاقية.

وقد قرر الإسلام عقوبات مختلفة للمنحرف حسب جريمته وطلب من المجتمع تنفيذها فقال: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا...﴾ [1]. وذلك أن الجزاء الجماعي أشد وقعا على النفوس، ثم إنه يكشف للجمهور الفاسقين والفاجرين. والفاسق إذا عرف أن الناس كشفوا فسقه يذل نفسه ويحتقرها أكثر ما لو لم يعرف الناس حقيقته.

الجزاء الأدبي هو عدم الاعتداد بشخصية الفاسقين وعدم الثقة بهم وعدم قبول شهادتهم ويترتب عليه عدم إسناد الوظائف الهامة إليهم وهذا الجزاء ليس أمرا سهلا ذلك أن المجرم يفقد عندئذ شخصيته الأدبية في المجتمع إنسانا يعتمد عليه ويوثق به، زد على ذلك لا يجد الاحترام أو القبول من الناس كما كان من قبل، وهذا أمر صعب على النفس الإنسانية وبصفة خاصة على الذين يتمتعون بالإحساس الأدبي الرفيع في مجتمعهم[2].

المطلب الرابع: الأضرار النفسية والاجتماعية والصحية للعلاقات غير الشرعية على المجتمع

الجدول رقم:(32)

[1]– سورة النور الآية رقم 2.

[2]– مقداد يالجن، مرجع سابق، 373–374.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
15	﴿والتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾	إن ثبتت جريمة الزنا بالشهود فتحبس المرأة في البيت حتى الموت، أو يجعل الله لها مخلصا أو حكما آخر.

نتيجة ارتكاب المعاصي والفواحش تظهر أمراض كثيرة وخطيرة تهدد حياة الإنسان والمجتمع والأمة بأكملها، بسبب عدم تطبيق شرع الله والذي يقضي بحبس المرأة التي ثبتت عليها جريمة الزنا في بيتها إلى أن تموت، أو يجلد أو يرجم الزاني والزانية كما جاء في سورة النور، وهذا العقاب العلني يؤدي إلى القضاء على هذه الفواحش واستئصالها من المجتمع أو التقليل منها على الأقل، ومن الأمراض المنتشرة بسبب هذه الفواحش نذكر منها:

1-مرض القلب والنفس

يقول الله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ [1]، الآية تدل دلالة واضحة على أن كثرة المعاصي ومؤالفتها تجعل القلوب قاسية والعقول طامسة والنفوس جافية وتبعد الإنسان عن التوبة وتنسيه ذكر الله، وذلك أن كل معصية يفعلها الإنسان تسود طرفا من قلبه، فإذا غمره السواد، صارت الموبقات غب ذلك تتراكم على القلب وتتلبد بعضها على بعض فيألفها القلب فتصبح طبعا له وخلقا لا يمكن ازالته وتنحيته.

قال الامام الغزالي: " وكل شهوة اتبعها إنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه، كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة الصقيلة، فإن تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس في وجه المرآة عند تراكمه خبثا كما قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم

[1]- سورة الحديد: الآية رقم16

ما كانوا يكسبون﴾ [1]، فإذا تراكم الرين صار طبعا، فيطبع على قلبه كالخبث على وجه المرآة إذا تراكم وطال زمنه غاص في جرم الحديد وأفسده، وصار لا يقبل الصقل.

ويشير إلى هذا قول الرسول ﷺ: " إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾". [2]

2-مرض وضعف المجتمع

إن للزنا باعتباره فوضى جنسية علاقة بعلم تحسين النسل لأن الفوضى الجنسية تضعف نسل الأمة ومن ثم تؤدي إلى نشأة جيل ضعيف وذلك بسبب ما تؤدي إليه من انها كالقوة ثم من انهيار قوة الاصلاب كما يقرر ذلك **ول ديورانت** ويعد ذلك من عوامل انهيار الحضارة، لأن الحضارة لا تقوم إلا على أكتاف أفراد مجتمع أقوياء، أصحاء من الناحية الجسمية والعقلية والنفسية هذا لأن علم الأخلاق له علاقة بعلم الاجتماع من حيث أن التحلل الأخلاقي يؤدي إلى تفكك الأسرة، كما يقول **دوركايم**، وكما يقرر أيضا **ألكسيس كارل**: " يجب نبذ الخيانة الزوجية نبذا تاما أولا لأنها تفصم الرابطة الاجتماعية التي لا غنى عنها لسعادة الأطفال، وثانيا لأنها قد تدخل دما موبوءا في سلسلة ذرية صالحة". كما تؤدي الفوضى الجنسية إلى تأخر المجتمع وانصراف الناس عن أداء الواجبات إلى الانغماس في الحياة الجنسية وخاصة الشباب، ثم تمتص قواهم الجنسية ومن ثم لا يستطيعون الاضطلاع بالأعباء الملقاة على عاتقهم. [3]

ومما يضعف المجتمع أيضا ويفقده توازنه نتيجة لهذه الفواحش والرذائل انتشار الأبناء غير الشرعيين، وهي ظاهرة لازمة لانطلاق الغرائز وذوبان الحواجز بين الفتيان والفتيات، وقد قامت بعض المؤسسات في أمريكا، بعمل إحصاء للحبالى من طالبات المدارس الثانوية، فكانت النسبة مخيفة جدا، تقول الاحصائيات: " إن أكثر من ثلث مواليد سنة 1983في نيويورك هم أطفال غير شرعيين، أي أنهم ولدوا خارج نطاق الزواج، وأكثرهم ولدوا لفتيات

---

[1]- سورة المطففين: الآية رقم 14

[2]- محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص288.

[3]- مقداد يالجن، مرجع سابق، 252.

في التاسعة عشرة من العمر وما دونها، وعددهم112، 353طفلا أي بنسبة 37 بالمائة من مجموع مواليد نيويورك.[1]

الزنا أو الفاحشة هو من حيث أنه اتصال غير مقيد يمكن أن يتسع مجاله إلى أشخاص لا يعدون ولا يحصون، ومن ثم يمكن أن يجلب الزاني على نفسه كل الأمراض المعدية أو أن ينقل إليهم ما عنده من هذه الأمراض، لأن طريقة الاتصال هنا ليست كأي اتصال، بل إنه من الناحية الطبية عامل مساعد لانتشار جميع الأمراض المعدية في المجتمع كله إضافة إلى الأمراض السرية الخاصة بالزنا مثل السيلان والقرحة والزهري، فقلما ينجو من الإصابة بها أو بأحد منها على أقل تقدير من يرتكب هذه الفاحشة.

وقد وصلت نسبة زيادتها في المجتمعات التي تزيد فيها نسبة الإباحية إلى 70% من أفراده، ويقول الدكتور **توماس باران** في تقريره عن خطورة مرض الزهري وحده وكثرة انتشاره في المجتمع الأمريكي: " أنه أفتك وأخطر بمائة مرة من مرض فالج الأطفال وإن خطره في أمريكا مثل خطر السرطان والتهاب الرئة حتى إن واحد من أربعة أشخاص إنما يذهب ضحية الموت بسبب الزهري بطريق مباشر أو غير مباشر".

ومن قبل الدكتور **توماس** قد أثبت هذه الحقيقة الرسول ﷺ عندما قال: "ولم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع"[2]، وقال الله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ [3].**(4)**

---

[1]– يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص378.

[2]– رواه ابن ماجه في سننه (4019)، كما أخرجه الطبري في المعجم الأوسط (4671)، وأخرجه الحاكم (8623) باختلاف يسير.

[3]– سورة الإسراء الآية رقم 32.

[4]– مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتب، الرياض، ص248–249.

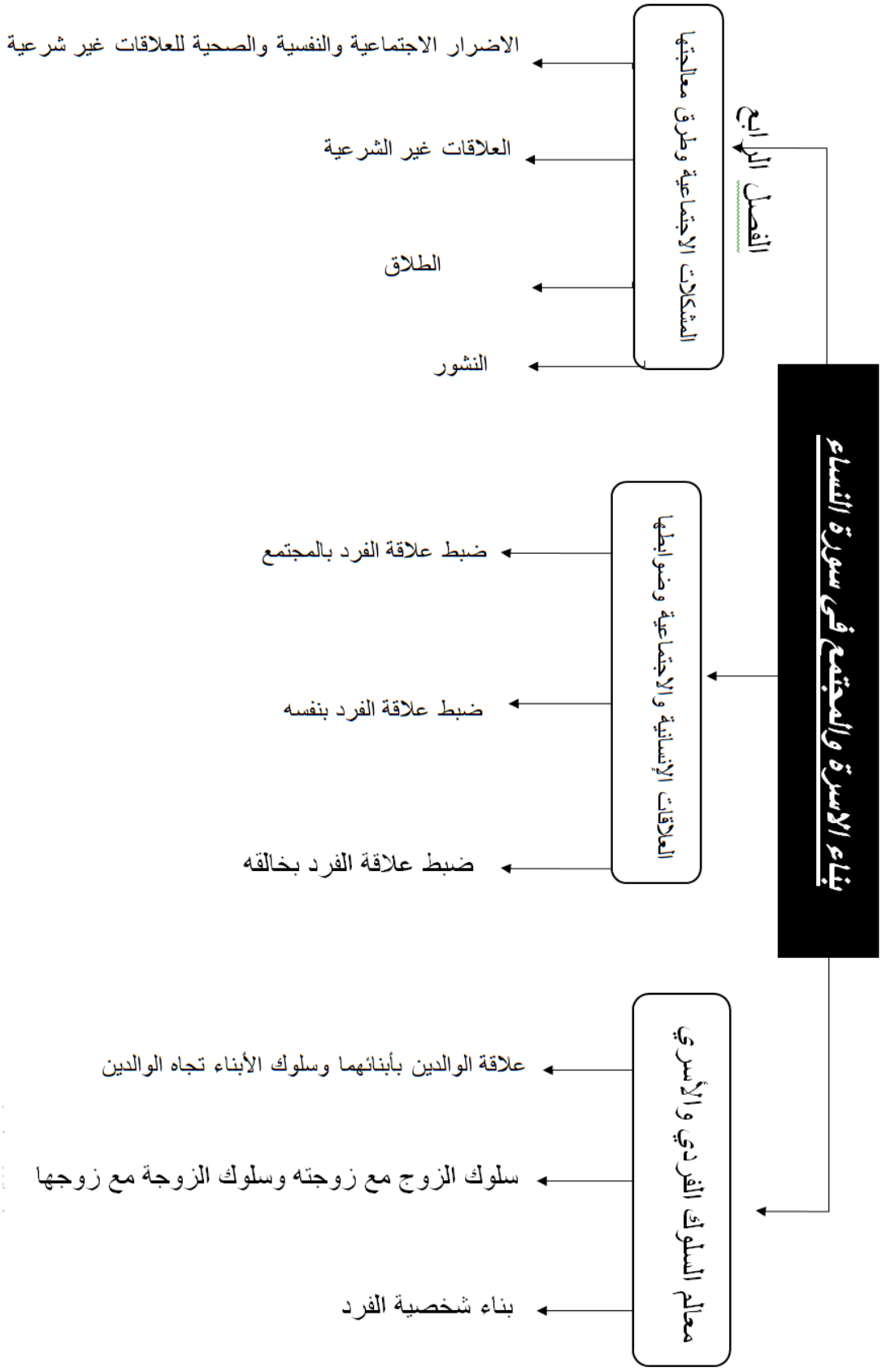

الشكل رقم :(04) بناء الأسرة والمجتمع في سورة النساء

الفصل السادس:

البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء

المبحث الأول: رسم الصور المنفرة للكافرين

المطلب الأول: مظاهر السلوك غير السوي (الرياء)

المطلب الثاني: عرض النماذج السلوكية (النفاق)

المبحث الثاني: رسم صور المؤمنين المحببة

المطلب الأول: مظاهر السلوك السوي (قيمة الصدق)

المطلب الثاني: الصلاة وضبط السلوك

المبحث الثالث: بعض الأبعاد الاجتماعية الأخرى المستنبطة من سورة النساء

المطلب الأول: العدل

المطلب الثاني: الأمانة

المبحث الأول: رسم الصور المنفرة للكافرين

تتميز الخليقة البشرية بوحدة إنسانية كاملة في التكوين الجسدي، والطبائع والمشاعر، والإحساسات والتطلعات، والآلام والآمال، والحاجات والضرورات...ووحدة الخلق الإلهي للإنسان تقتضي تقرير مبادئ المساواة والحرية والإخاء والعدالة في الاسرة وغيرها، والتعاون

المثمر والمستمر بين أفراد المجتمع، لدفع عجلة الحياة ومسيرتها نحو الخير والسعادة، والقوة والمجد، والعز، والطمأنينة، والألفة والمودة، والسكن النفسي. [1]

ولكن هذا السكن النفسي وهذه الطباع الحسنة لا تبقى على حالها إذا لم يضبط الإنسان سلوكه وفق النظام الاجتماعي الذي ينتمي اليه، ويسي وفق منهج الله الذي حدده للبشر، فأن هذا الإنسان سيظل الطريق ويكون هدفا سهلا لنزوات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ونجد مثل ذلك في المنافقين.

المطلب الأول: مظاهر السلوك غير السوي (الرياء)

الجدول رقم:(33)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
38	﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾	الانفاق مفاخرة وشهوة الرياء سلوك غير سوي الرياء يؤدي إلى مصاحبة الشيطان

من محبي السيطرة وعشاق الظهور في المجتمع من يلجأ إلى وسائل الإعلان عن نفسه بما أعطى للناس مما أعطاه الله: ويتخذ مما أحسن به إلى الناس وسيلة لهذا الإعلان ولهذه الشهرة، ويرمي بذلك إلى اكتساب شهرة دنيوية عاجلة تظهره أمام الملأ بمظهر الرجل السخي النافع، بل أنه قد يتعمد العطاء أمام أكبر عدد ممكن من الناس، إمعانا في توسيع دائرة ظهوره وشهرته، لا ابتغاء مرضاه الله فحسب، ولا يدري هذا المسكين أنه بهذا النوع من العطاء قد أذل من ظن أنه قد أحسن إليه، وقد يدفع حب الشهرة بصاحبها إلى الإعلان عن كرمه واحسانه بالكلمة والصورة على صفحات الصحف والمجلات، إن مثل هذا الإحسان لا يقبله الله لأن صاحبه قد بذله لغرض غير مرضاة الله، ويكفي صاحب هذا الإحسان جزءا ما ناله من شهرة دنيوية موهومة[2].

– العبد الصالح حين يعطي فهو يعلم أن يده هي العليا ويده خير من اليد السفلى، فليستر على الناس المحتاجين سفلية أيديهم، ولا يجعلها واضحة. ولكن الحق سبحانه وتعالى

[1]– وهبة الزحيلي، الاسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2006، ص13.

[2]– محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 31.

لا يريد أن يضيق مجال الإعطاء فقال: ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾ [1]. فإبداء الصدقات لا مانع منه إن من يفعل ذلك يريد أن يكون أسوة، المهم أن يخرج الرياء من القلب لحظة إعطاء الصدقة، فالحق يوضح: إياك أن تنفق وفيك رئاء، أما من يخرج الصدقة وفي قلبه رياء فالله لا يحرم المحتاجين من عطاء معط، لأنه سبحانه يؤكد: خذوا منه وهو الخاسر، لأنه يأخذ ثوابا، لكن المجتمع ينتفع [2].

الرياء صفة عامة تشاهد في كثير من المستضعفين من الرجال والنساء، وأسبابه الاجتماعية تحدث لكل ضعيف يقهره غيره فلا يخص المرأة دون الرجل ولا ينحصر في فئة دون فئة أخرى وقد يحدث للحيوان الضعيف ويلجئه للمراوغة والملق، وهو لا يتكلف لذلك كما يكلف الإنسان الذي يفكر فيما يعمل وفيما يقصد إليه. [3]

والرياء بالعمل غني عن التوضيح لفشوه بين الناس، وكم من صلاة وزكاة وحج، لم يبتغي بها فاعلوه سوى التظاهر أو التحصيل على اللقب، أو البلوغ إلى المطلب: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [4]

ويجب أن نشير أن الرياء على ثلاث درجات:

1-أن يرائي بأصل الايمان كالمنافق يظهر الايمان وقلبه خلو منه وهذه الدرجة أعظم وأغلظ. وسنفصل فيها في المطلب القادم.

2-أن يرائي بأصل العبادات كمن يصلي أمام الناس والله يعلن أنه لو انفرد عنهم لم يفعل ذلك.

3-وهي أدناها، أن يرائي بغير الفرائض وهي النوافل كمن يصوم تطوعا أو يجتهد والله يعلم أنه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئا من ذلك. [5]

---

[1]- سورة البقرة: الآية رقم 271.

[2]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي مرجع سابق، المجلد 4، ص2232-2233.

[3]- عباس محمود العقاد، المرأة في القرآن، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ص14.

[4]- سورة الكهف: الآية رقم105.

[5]- محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص229.

وفي الآية الكريمة تتضح اللمسة الأساسية في المنهج الإسلامي، وهي ربط كل مظاهر السلوك، وكل دوافع الشعور، وكل علاقات المجتمع بالعقيدة، فإفراد الله بالعبادة والتلقي، يتبعه الاحسان إلى البشر، وابتغاء وجه الله ورضاه، في أدب ورفق ومعرفة بأن العبد لا ينفق إلا من رزق الله، فهو لا يخلق رزقه ولا ينال إلا من عطاء الله، والكفر بالله واليوم الآخر يصاحبه الاختيال والفخر والبخل والأمر بالبخل، وكتمان فضل الله ونعمته بحيث لا تظهر آثارها في إحسان أو عطاء، أو الانفاق رياء وتظاهر طلبا للمفخرة عند الناس... وتحدد جانب الأخلاق أيضا، فالباعث على العمل الطيب هو الايمان بالله وباليوم الآخر، والتطلع إلى رضاء الله.[1]

وقد يسلك الإنسان طريق الرياء ليخادع الناس بالقول دون العمل، ويحاول الظهور عليهم بالتباهي بعلمه وحكمته فيلقي إليهم بالنصائح والمواعظ وينسى أن يبدأ بنفسه ليعظها العمل بالتي هي أحسن وأقوم، أو قد ينسب لنفسه عملا عظيما نافعا وهو لم يمارسه ولم ينجزه، إنما يريد بكل هذا أن يظهر على المجتمع ويثبت وجوده وهو القليل الحيلة، كل بضاعته في الدنيا كلام مزوق هو أبعد الناس عن الأخذ به، فما يكسب من سلوكه هذا إلا غضبا من الله ومقتا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[2]

ومما سبق يمكن القول إن الرياء آفة من أكبر الآفات والأمراض التي تطرأ على القلوب بسبب خبوء جذوة الايمان فيها فتفسد النيات أو تخدشها، وعلاج هذه الآفة ودفعها يكون بعدة أمور أهمها:

-استحضار عظمة الخالق جل وعلا، وأنه هو الذي بيده النفع والضر، وليس بيد خلقه من ذلك شيء، فلا يستحق أحد منهم أن يراءى فيطلب ثناؤه، لأنه لا يترتب على ذلك إيصال نفع أو دفع ضر لم يكتبه الله للعبد أو عليه.

-تذكر عاقبة مراءاة الخلق في الدنيا والآخرة، وأن يعلم العبد أن" من تزين للناس سوى ما يعلم الله منه شانه الله عز وجل" كما يقول الامام الحسن البصري، ويقول الامام ابن القيم

[1]- سيد قطب، مرجع سابق، ص661.

[2]- سورة الصف: الآية رقم2-3.

معلقا على هذا القول: " لما كان المتزين بما ليس فيه ضد المخلص، فإنه يظهر للناس أمرا، وهو في الباطن بخلافه، عامله الله بنقض قصده، فإن المعاقبة بنقيض القصد ثابتة شرعا وقدرا"، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: " من راءى راءى الله به". رواه البخاري

-معرفة مداخل الرياء وخفاياه ودقائقه، حتى يتمكن المرء من الاحتراز منه وعدم الوقوع فيه.

-من الأسباب الأساسية للوقاية من الوقوع في الرياء إخفاء الأعمال وعدم إظهارها ولا سيما النوافل، ويتأكد ذلك مع خشية الرياء كما في قوله تعالى: ﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ [1]

-ولعلى من أعظم أسباب الوقاية من الرياء الالتجاء إلى الله عز وجل والاستعاذة به، وسؤاله الخلاص والسلامة منه، أرشد إلى هذا الدواء الناجع أصدق الخلق وأنصحهم لربه وأمته ﷺ: " يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه"

-من أهم أسباب تحصيل الإخلاص ودفع الرياء والخلاص منه أن يزهد المرء فيما عند الناس من عطاء أو ثناء، فإنه لا يجتمع في القلب الإخلاص ومحبة المدح والثناء، والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار. [2]

إذا فمن أهم أساليب ضبط هذا السلوك غير السوي ودفعه عن حياة الفرد والمجتمع لابد من اتباع وطاعة الله ورسوله في كل شيء، حتى يتمكن الايمان من قلب المؤمن فيعينه على جلب المصالح ودرء المفاسد.

ويقول الله سبحانه وتعالى لعلاج مثل هذه الأمراض النفسية: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾[3]، ويقول الامام الرازي في تفسير الآية:

---

[1]- سورة البقرة: الآية رقم271.

[2]- أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب، ذم الرياء في الأعمال، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 1416هـ، ص48-49.

[3]- سورة الاسراء: الآية رقم82

" أعلم أن القرآن شفاء من الأمراض الروحانية والشفاء أيضا من الأمراض الجسمية، أما كونه شفاء للأمراض النفسية فذلك ظاهر لأن الأمراض الروحانية نوعان: الاعتقادات الباطلة والعادات المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريف ما فيها من المفاسد والارشاد إلى الأخلاق الفاضلة الكاملة والأعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من الأمراض، فثبت أن القرآن شفاء لكل الأمراض النفسية".[1]

إن الإنسان إذا أدرك حقيقة وجوده وخلقه واستخلافه على هذه الأرض، وعرف خبايا نفسه ودوافع سلوكه وأهدافه في هذه الحياة، استطاع أن يختار ما هو أصلح له في الدنيا والآخرة، وأن يتخذ القرآن منهجا وسبيلا لتسوية سلوكه وتقويم حياته للحفاظ على سلامة الإنسان والمجتمع من هذه السلوكيات المرضية، حتى لا يستولي المرض على كل أعضاء المجتمع وبسهل بذلك القضاء عليه وعلى وحدته.

المطلب الثاني: عرض النماذج السلوكية (النفاق)

الجدول رقم:(34)

[1]– مقداد يالجن، مرجع سابق، 117.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
63-60	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا وإذا قيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾	-النفاق مرض القلوب -النفاق ظلم -المنافقون يرفضون تحكيم الله ورسوله -المنافقون لا يريدون أن يثبت دين الله في الأرض. -المنافقون فتنة خطيرة على الإسلام.
88-87	﴿فمالكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا﴾	-المنافق إذا حدث كذب -إذا وعد أخلف -إذا اؤتمن خان
138-137	﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾	
142-141	﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾	

المنافقون هم الذين يحيطون بالمؤمنين ويظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، وهم بذلك يريدون فائدة دنيوية، ويريدون أن يحصلوا بدون وجه حق على خير مما يصيب المؤمنين أما

يملكونه، وهم بهذا قد دخلوا مدخلا إيمانيا بدعوى أنهم آمنوا أو يريدون أن يؤمنوا، ومن هذا المدخل الإيماني، ومن جلوسهم مع المؤمنين رأوا نور الله.. كان لا بد في هذه الحالة أن إيمانهم يرى على ضوء ذلك الهدى، ولكن الإيمان في القلب ليس سليما، ولذلك فإن القلب لا يستقبل.. والنور لا يصل.. فهم رغم وجودهم في مجال الإيمان، وجلوسهم وسط النور الإيماني، فإنهم لا يرون شيئا، لأن الله سبحانه وتعالى قد ذهب بنورهم[1].

هناك صنف من الناس الذين حاولوا خداع الله ورسوله وخداع المؤمنين فنطقوا بما يفيد إيمانهم، وتظاهروا في أعمالهم بما يدرجهم في عداد المؤمنين وهم حقيقتهم مصرون على الكفر، مجدون في العمل على إيذائهم والكيد لهم، وبذلك نافقوا[2].

يرسم لنا القرآن في العديد من السور نفسية المنافق سواء في وضعية ثابتة مثل ما هو عليه الحال في سورة المنافقون، ولكن في أغلب الأحيان يصفهم في وضعية تتصف بالحركية وبالخطر على الأمة، الأمر الذي يسمح بغربلة مواقف الناس وعرفة صدق إيمانهم وتطابق أعمالهم مع تصريحاتهم ووعودهم.

يلجأ القرآن في عرضه إلى وضع تقابل بين موقف المؤمنين وموقف المنافقين. إذ يتسم الأول بالانصياع لأوامر الله وطاعة الرسول في أصعب الظروف أي الغزوات أمام عدو يفوقهم عددا وعدة وبالتراحم بين المؤمنين والتشدد مع الأعداء والانفاق من أموالهم، في حين أن موقف المنافقين هو نقيض ذلك ويتسم بالقبول اللفظي والشكلي المظهري لأوامر الله ورسوله ورفضها عمليا والتشكيك في جدواها واتخاذ كل الأعذار لتجنب الالتزامات الصعبة كالجهاد، بل أكثر من ذلك ينقضون وعودهم ويتواطؤون مع العدو شقاقا للصفوف في حين يحتقرون المسلمين ويرفضون الاتفاق لصالح المؤمنين المحتاجين له أو لمساعدة الدولة في مهامها[3].

يقدم القرآن صورة شبه "سيميولوجية" للمنافق تضم دلالات نابعة من وضعية الجسم أو جزءا منه كإيماءات الرأس وملامح الوجه وحركات تعبر عن مشاعره الباطنية الحقيقة

---

[1]– محمد متولي الشعراوي، معجزة القران، الكتاب الثاني، ص 354.

[2]– أحمد ابراهيم مهنا، الإنسان في القرآن الكريم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1981، ص89.

[3]– رشيد ميموني، مرجع سابق، 289.

وتفضح اضطرابه وتبين ازدواجية خطابه النابع حسب القرآن من "مرض في القلب" وهو الشك والتكبر ورفض اتباع الحق بعد أن تبين، يقول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام[1].﴾ [2]

كان الرسول ﷺ على علم بما تظهر من مكائدهم ولكنه لم يكن في وضع يسمح له معاقبتهم... يقول watt: " لم يكن باستطاعة الرسول معاقبة المنافقين ما داموا لم يرتكبوا ذنبا قابلا للعقاب وبما أنهم كانوا جزءا من نظامه الأمني". يجب ألا ننسى أنه لا يوجد في الإسلام هيئات تحاكم الضمائر مثل محاكم تفتيش في أوربا الكاثوليكية، يتعامل الإسلام والرسول ﷺ حسب المظاهر والله يتولى السرائر، ولذلك يفترض أن من بين أسباب التعرض المكثف والإمعان في رسم صور ومواقف المنافقين في القرآن بسبب تعزيز الصف الداخلي للأمة (هيكليا ومعنويا) وتحذير المسلمين الصادقين منهم لتجنب أذاهم وعزلهم المعنوي[3].

يقول سيد قطب في تفسير آيات المنافقين في سورة النساء: تبدأ الجملة بهذا التهكم الواضح في استعمال كلمة "بَشّر" مكان كلمة "أنذر"، وفي جعل العذاب الأليم الذي ينتظر المنافقين بشارة! ثم بيان سبب هذا العذاب وهو ولايتهم للكافرين دون المؤمنين، وسوء ظنهم بالله، وسوء تصورهم لمصدر العزة والقوة[4].

﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا﴾[5]، في الدرك الأسفل إنه مصير يتفق مع ثقلة الأرض التي تلصقهم بالتراب، فلا ينتقلون ويرتفعون، ثقلة المطامع والرغائب، والحرص والحذر والضعف والخور، الثقلة التي تهبط بهم إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين والوقوف في الحياة ذلك الموقف المهين (مذبذبين)، فهم كانوا في الحياة الدنيا يزاولون تهيئة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير المهين[6].

---

(1)– سورة البقرة الآية رقم 204.

(2)– رشيد ميموني، مرجع سابق، 289.

(3)– رشيد ميموني، مرجع سابق، ص288.

(4)– سيد قطب، مرجع سابق، ص779.

5 – سورة النساء: الآية رقم145.

(6)– سيد قطب، مرجع سابق، ص785.

وأول مراتب النفاق أن يجلس المؤمن مجلسا يسمع فيه آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فيسكت ويتغاضى... فمن سمع الاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله، فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة، وهو المعبر بين الإيمان والكفر على قنطرة النفاق. ثم يأخذ في بيان سمات المنافقين، فيرسم لهم صورة مزرية منفرة، وهم يلقون المسلمين بوجه ويلقون الكفار بوجه، ويمسكون العصى من وسطها وموقف الذبذبة والأرجحة والاستهزاء وعدم الاستقرار والثبات في أحد الصفين... موقف لا يثير إلا الاحتقار والاشمئزاز كذلك في نفوس المؤمنين، كما أنه يوحي بضعف المنافقين الذاتي، هذا الضعف الذي يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا أو هناك... ولا على المصارحة برأي عقيدة وموقف[1].

ومن أحوال المنافقين وصفاتهم التي لا تعد كثرة ما نزل من الآيات البينات –انهم يقولون آمنا بالله ورسوله–واطعناهما في كل ما حكما به ثم يتولون عن ذلك ويعرضون كأنهم لم يقولوا، لأن ذلك لم يكن إلا مجرد ادعاء باللسان وغير اعتقاد بالجنان، وأنهم كانوا إذا دعوا إلى الرسول ليحكم بينهم يعرضون عنه ويأبون المحاكمة اليه، إذا علموا أن الحق للخصم وإن ثبت أن الحق لهم يسرعوا اليه مذعنين، ويكشف عن ذلك قوله تعالى: ﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله والرسول ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفقي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾[2]

ولا يحتاج إلى بيان أن هذه الطائفة من البشر هم آفة العمران البشري وعائقة تقدم الأمم ورقيها، ومنجم البلايا والمصائب، فسدت فطرتهم الإنسانية التي من شأنها حب الفضائل والكمالات وسلوك منهج السعادة السوي، فصاروا كأنهم ليسوا من نوع الإنسان، يعادون الخير ودعاته، ويهوون الشر وطلابه. [3]

---

[1]– سيد قطب، مرجع سابق، ص780–784.

[2]– سورة النور: الآية رقم 47–50.

[3]– محمد الصالح الصديق، مرجع سابق، ص294–295.

إن إعراضهم عن الاحتكام إلى ما أنزل الله، وذلك في الخصومات والقضايا التي يكون فيها الحق على المنافقين، صورة من صور ظلمهم، فهم لا يذعنون لحكم الله إلا إذا كان الحق لهم... فهم يقدمون الهوى على ما أنزل الله سبحانه وتعالى، فيسعون وراء أحكام الجاهلية ويفضلون الاحتكام إلى القوانين غير الشرعية. [1]

هؤلاء مرضى القلوب الذين عميت أبصارهم وبصيرتهم عن معرفة الله، وسلكوا طريق الضلال يفسدون في المجتمع ويكيدون للرسول الكريم المكائد من أجل الإطاحة بنظامه وإضعاف أتباعه بمحاولة إشعال نار الفتنة وتضليلهم عن دينهم، ولكن الله سبحانه وتعالى بينهم لرسوله الكريم(ص) وفضح خباياهم، وقد أنزل سورة قرآنية عظيمة وأسماها سورة المنافقون، وقد كانت أشد وقعا على قلوبهم من السهام في جسم العدو.

ويقول الله عز وجل في آية أخرى: ﴿أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾ [2]، أي لا يكون السبب في مثل هذا السلوك إلا أحد الأمور الثلاثة:

أولا: ان يكون الإنسان لم يؤمن أصلا وإنما أظهر إسلامه مخادعة لأفراد المجتمع المسلم واستغلالا لمنافع الشركة فيه.

ثانيا: أن يكون على إيمانه مرتابا في كون الرسول رسولا من الله، وكون القرآن قد نزل من عند الله، وكون الحياة الآخرة بعد الموت، بل وفي وجود الله تعالى.

ثالثا: أن يكون على إيمانه بالله والرسول يخاف منهما الظلم والجور في الحكم فيعتقد أن الله قد أوقعه في مصيبة كبرى. [3]

كما وصفهم الله عز وجل في الآية السابقة بوصف الظلم، أي ظلم النفاق، وهذا النوع من النفاق ظلم اعتقادي، لأن المنافقون يظهرون الايمان والطاعة ويبطنون الكفر والعصيان.

---

[1]– نورة بن حسن، الظلم في ضوء القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التفسير، 2008–2009، ص124.

[2]– سورة النور: الآية رقم50

[3]– أبو الأعلى المودودي، مرجع سابق، ص210.

وصدق علماء اللغة عندما شبهوا أساليب المنافقين بجحر الضب، فجحر الضب طرق في باطن الأرض خفي مظلم كثير الالتواءات، وأساليب المنافقين خفية مظلمة ليس فيها وضوح ولا صراحة.

ويبدو أنه لا يوجد نفاق عملي لأن النفاق يتعلق بجانب الله عز وجل، أما حديث النبي ﷺ:" آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان." أخرجه البخاري في صحيحه، فما ورد فيه فهو عبارة عن علامات على النفاق، ولا يمكن أن يكون كل من فيه هذه الآيات منافقا، إنما هي خصال للمنافق قد نجدها في غيره. [1]

إن إعمال العقل في مثل هذا السلوك غير السوي يجعلنا ندرك أن سلوك الإنسان يترتب على فكرة في نفسه، وسواء كانت هذه الفكرة صحيحة أو خاطئة، إلا أنه يتوهم صدقها وحقيقتها، فتتوغل في داخله، فتصبح المحرك لسلوكه وتصرفاته.

المبحث الثاني: رسم صور المؤمنين المحببة

المطلب الأول: مظاهر السلوك السوي (قيمة الصدق)

الجدول رقم:(35)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
121	﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا﴾	من مظاهر السلوك السوي عند المسلمين الصدق.

من مظاهر سلوك المؤمن الصدق واليقظة للحق، وعدم الخداع أو الغفلة، الصدق واليقظة مع ربه ومع نفسه ومع الناس [2]:

[1]– نورة بن حسن، مرجع سابق، ص114.

[2]– محمد بهائي سليم، مرجع سابق، ص 148–149– 150.

1- المؤمن الصادق مع ربه هو من أدى له ما فرض عليه من عبادات حق أدائها ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى، وليس رئاء أو تظاهرا أمام الناس بالورع والتقوى، ثم يسير في حياته صادقا مخلصا لما تهدف إليه هذه العبادات من بر بربه وبر بنفسه وبر بالناس، فلا يكون مثله مثل أولئك المنافقين.

2- صدق المؤمن مع نفسه من أهم مقومات السلوك الشخصي السليم الذي يجب أن يأخذ به كل مؤمن صدق إيمانه ولا يفوز بهذا الصدق وينعم به إلا من عرف حقيقه النفس البشرية من حيث نواحي ضعفها ونوازعها الهوجاء التي لا تخدع بضغوطها ويتبعا إلا كل من ضعف إيمانه أو صدَّق نفسه وهو في الواقع خادعها، وهو إذ يترك نفسه على سجيتها ويتبع هواها تنعكس انفعالاتها في تصرفات عملية خاطئة وسلوك غير سليم لا يتلاءم مع ما يجب أن يتصف به المؤمن من تقوى وورع، إذ يربكه الغرور بالنفس والتعالي على الناس وإهدار حقوق الغير فيبوء بكراهية الخالق والخلق

ومن مظاهر صدق المؤمن مع نفسه أن ينتصح بما ينصح الناس بعمله وأن يفعل بما يقول، وأن يأخذ نفسه بالبر قبل أن يطالب الناس بالبر والتقوى. قال الله تعالى: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ [1].

3- الصدق مع الناس فلا ينطلق المؤمن عن الهوى، أو بما يسمع، بغير وتبصر، حتى لا ينحدر بنفسه إلى استهانة الناس به وبما يقول فيفقد ثقتهم. ومن مظاهر الصدق مع الناس أداء الشهادة بالحق بعيدا عن أي تأثير معنوي أو مادي، إرهابا كان هذا التأثير أو إغراء، فلا يتحر لصاحب سلطان خوفا من بطشه، ولا تظلم بريئا فقيرا طمعا في مال ظالم غني. والصدق في القول عدة المؤمن الصادق يوم الحساب يثاب عليه خير ثواب، قال الله تعالى: ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ [2].

4- وصدق المؤمن في العمل حافز على أداء ما يوكل إليه من أعمال في صدق وأمانة وحماسة ما وسعه جهده فيتقنه، بل إنه ليسعى إلى مزيد من الإتقان بالاستزادة من

[1]- سورة البقرة الآية رقم 44.

[2]- سورة المائدة: الآية رقم 119.

العلم بما ينفعه ويعينه على مزيد من الاتقان، ومظاهر الصدق في العمل محافظة العامل على مواعيد العمل المحددة وألا يضيع دقيقة من وقت العمل فيما لا جدوى منه، والمحافظة على أدوات العمل وخاماته، فلا إتلاف ولا تبذير، وليضع العامل نصب عينه أن صدقه في عمله إنما يعود عليه بالخير في شكل أجر ثابت يعيش منه أو تشجيع مادي أو معنوي من أصحاب العمل الذين يقدرون فيه حرصه على مالهم، كما يعود هذا الصدق على المجتمع إذ يحصل على مقابل عادل لما يدفع من ثمن، ومن آيات صدق المؤمن مع مجتمعه عدم النفاق فيه، فلا يظهر بوجه في موقف أو مع جماعة من الناس ثم لا يلبث أن يظهر بوجه مخالف كل المخالفة في موقف آخر يشابهه أو جماعة أخرى، أو يظهر أمام الناس بمظهر التقي الورع ويعلم الله أنه كذاب أشر.. قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾ [1].

5- ومن مظاهر صدق المؤمن مع نفسه ومع الناس، اعتداله وتوسطه في مأكله وملبسه، فلا خير في مؤمن قد جعل كل همه ومتعته ومقصده في حياته الدنيا ملء بطنه بما يمكنه الحصول عليه من طعام حتى لقد ينفق في سبيل ذلك كل ماله وكسبه وقد يحرم أولاده مما يشتهون.

واطمئنان النفس يرجع إلى اقتناع هذا المؤمن بعمق ايمانه وصدق إحساسه برضا الله تعالى عنه، واطمئنانه مرجعه إلى سيره في فكره وقوله وعمله على صراط

وضد الصدق الكذب، وهو جرثومة تدخل إلى نفس الإنسان وتبدأ بالعمل عندما تحدثه نفسه أن يكذب مرة للكسب الأدبي أو المادي أو لدفع تهمة وجهت إلى نفسه أو إلى غيره، فإذا كذب فعلا دخلت هذه الجرثومة الأولى في نفسه واستقرت، وبعد ذلك يسهل عليه الكذب لمصلحة أكبر... بعد ذلك يسهل عليه إخلاف وعده وخيانة الأمانة والعهود والحنث في يمينه... وهكذا يبدأ بالتحلل من جميع الروابط الأخلاقية عندئذ يحس في نفسه أنه أصبح إنسانا غير شريف، وإذا شعر بزوال شرفه داخل نفسه عندئذ تحدثه بأنه لا مانع من عمل كل الأعمال التي تهواها وتشتهيها، ولهذا قال رسول الله ﷺ وهو يأمر بالتزام الصدق: "

[1]- سورة البقرة: الآية رقم 204.

تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة" رواه مسلم.[1]

من أهم عوامل استقرار وثبات المجتمع الإسلامي الصدق، فهو كفيل بأن يسبغ جوا من الثقة يتخلل كل أبنية الجماعة، ومن أهم الوظائف السوسيولوجية للصدق:

-أن تتم المواقف الاجتماعية بين الأفراد في بساطة ويسر، دون تعقيدات أو ضمانات كثيرة وتنتشر هذه الوحدة البنائية في كل أنماط العلاقات البنائية، حيث تعتبر وحدة أساسية في البناء السياسي، لأنه من الضروري أن تقوم أنماط العلاقات التبادلية بين الصفوة في المجتمع وبين القاعدة على أساس الصدق، كما يجب أن تلتزم كل المؤسسات السياسية بالصدق وإلا فسدت الجماعة.

-الصدق وحدة أساسية في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وفي النظام القرابي والعائلي، ثم يتحور لكي يصبح وحدة بنائية بديلة في النظام الاقتصادي حيث يأخذ صورة الوفاء بالكيل والميزان والتعامل بما يرضي الله، ولهذا نجد الله سبحانه وتعالى يدعو للتخلق به فيقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ [2]. [3]

كما قلنا سابقا فإن السلوك ينبع من نفس الإنسان، وتصبح تصرفاته نتيجة أفكاره، فالإيمان الصادق في القلب والفطرة السليمة، هما قوام السلوك السوي عند الإنسان المؤمن، والفكرة التي تغير سلوك الإنسان هي التي تطبع وجوده في المجتمع.

المطلب الثاني: الصلاة وضبط السلوك

الجدول رقم:(36)

[1]- مقداد يالجن، مرجع سابق، ص247-248.

[2]- سورة التوبة: الآية رقم119

[3]- محمد علوان، مرجع سابق، ص82-83.

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
101- 102- 103	﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا، وإذا كنت فيهم وأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتات طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا، فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾	-السفر للغزو أو التجارة يوجب القصر من الصلاة. -صلاة الخوف في الحرب. -الحذر والتأهب لقتال العدو. -في حالة المطر أو المرض لا إثم عليكم في وضع الأسلحة. -الصلاة في وقتها.

الصلاة فرضها الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ في أعلى مكان وصل إليه البشر، وفي أفضل ليلة لرسول الله ﷺ وبدون واسطة أحد وفرضها الله عز وجل على رسوله الكريم خمسين مرة في اليوم والليلة، ولكن الله سبحانه وتعالى خففها على عباده، حتى صارت خمسا بالفعل وخمسين في الميزان، وهذا يدل على مكانتها ومحبة الله لها، وأنها جديرة بأن يصرف الإنسان شيئا كثيرا من وقته فيها.[1]

وهي عماد الدين ولب القربات ورأس الطاعات، من أقامها كاملة غير منقوصة فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين، قال صلى الله عليه وسلم: " خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن

1-محمد بن صالح العثيمين، فقه العبادات، مداد الوطن للنشر الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425هـ، ص143.

يدخله الجنة، ومن لم يأتي بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة" رواه مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه.

الصلاة ليست مجرد حركات ظاهرية تؤدى فيصبح المصلي مؤمنا ومسلما لله حقا أو حائزا لرضائه وغفرانه، إنما الصلاة جوهر، هي تذكرة لمن يذكر للقيام بصالح الأعمال، والبر بالناس والبعد عما نهى الله، لذلك نجد من محكم التنزيل أن أمر الله للمؤمنين بالصلاة يأتي دائما مقرونا بالعمل الصالح، فرضى الخالق على المؤمن لا يتأتى بمجرد العبادات الحركية، بل أوجب الله على المؤمن الصلاح في سلوكه مع الناس. [1]

فالصلاة إذا فرغت من الروح لا تكاد تعد حركات رياضية يؤديها الإنسان لتحسين الصورة الجمالية الخارجية له، دون مراعاة الجانب الداخلي المعنوي للإنسان الذي هو أساس ضبط السلوك وترشيد التصرفات.

وامتازت الصلاة الإسلامية بالجماعة والآذان:

-ولأهمية الجماعة هم الرسول ﷺ أن يحرق على قوم بيوتهم بالنار لأنهم كانوا يتخلفون عن الجماعات ويصلون في بيوتهم، وقال ابن عباس في الجماعة: " لقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا مريض أو منافق معلوم النفاق".

-ولأهمية صلاة الجماعة حرص الإسلام على إقامتها ولو في أثناء الحرب فشرع (صلاة الخوف) وهي صلاة خاصة بالحرب والمعارك، تؤدى خلف إمام واحد على مرحلتين: تصلي في المرحلة الأولى طائفة من المقاتلين ركعة وراء الامام ثم تنصرف إلى مواقعها، ثم تأتي الطائفة التي كانت في مواجهة العدو فتصلي بقية الصلاة خلف الامام كل هذا مع لبس السلاح وأخذ الحذر، وهذا كله حتى لا يفوت المجاهدين فضل صلاة الجماعة، وأيضا لا نعطي الفرصة للعدو للإغارة على المسلمين وهم عزل، فهذا حفظ للنفس والمال. [2]

-ثم إن العيش في حياة جماعية تضامنية مسؤولة في ظل قيادة رشيدة مأمونة موثوق بها في المجتمع كل ذلك خدمة اجتماعية فريدة، هذه القيادة يمثلها الإمام الذي تتحرك الصفوف بحركته وتستمع إليه حين ينطق، ولكنها في الوقت ذاته إذا رأت خللا يهدد النظام

[1]- محمد بهائي سليم، مرجع سابق، ص61.

[2] - يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص48 (بتصرف).

العام نبهت الامام، وهذه اليقظة واجب الجميع وعلى الإمام أن يصلح المسار ويعالج الخطأ، وحرصا على رعاية الحياة الجماعية ورفض الانفرادية التوقيعية حث الرسول ﷺ على صلاة الجماعة حين قال:" صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة".

وبالإضافة إلى صلاة الجماعة يوميا هناك صلاة الجمعة التي تعرض فيها الحياة الاجتماعية في مدى أسبوع لتعالج إسلاميا من طرف الامام حين يخطب، حتى يكون المسلم على علم بكل المستجدات في حياة مجتمعه وعلى استعداد مستمر لإصلاح الأخطاء ومعالجة القضايا وفق شرع الله.[1]

–وامتازت الصلاة الإسلامية أيضا بالآذان: ذلك النداء الرباني الذي ترتفع به الأصوات كل يوم خمس مرات، معلمة بدخول وقت الصلاة، هذا الآذان بمنزلة النشيد القومي لأمة الإسلام. [(2)]

وشرع الله سبحانه وتعالى صلاة الخوف والسفر للتخفيف والتيسير على المسلمين ورفع الحرج والمشقة عليهم، فدينه يسر وليس عسر.

وفيما يتصل بقانون الارتقاء الروحي الذي يشمل الحاسة القدسية وجميع مظاهر الحياة الروحية فهو ضروري للحياة الإنسانية كضرورة الحياة المادية، بل إن الحياة الروحية من أهم مميزات الحياة الإنسانية التي يفترق فيها الإنسان عن الحيوان، وهي التي تضفي على حياة الإنسان شعورا بالانشراح والبهجة والسرور الدائم، لأنها حاجات الروح وحاجات الروح مستمرة وليست محدودة كمحدودية الحياة المادية.

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ [(3)]، وبين أنه لن تطمئن القلوب مادامت محرومة من الحياة الروحية: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [(4)]، ولن تنجوا هذه القلوب من الشعور بالكآبة والحزن إلا إذا مارست هذه

[1] –محمد الأكحل شرفاء، البعد التربوي الاجتماعي في العبادات الإسلامية، مجلة دعوة الحق، العدد 276، سبتمبر 1999، ص3.

[(2)]– يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص49(بتصرف).

[(3)]– سورة طه: الآية رقم124

[(4)]– سورة الرعد: الآية رقم 28

الحياة الروحية: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [1]. [2]

والصلاة –كما شرعها الإسلام–ليست مجرد صلة روحية في حياة المسلم، إنها بما سن لها من الآذان والإقامة، وما شرع لها من التجمع والانتظام، وما أقيم لها من بيوت الله، وما اشترط لها من نظافة وطهارة، وأخذ الزينة واستقبال القبلة، وتحديد المواقيت، وما وجب فيها من حركات وتلاوة، وأقوال وأفعال، تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم، بهذا كله أصبحت أكثر من عبادة مجردة، إنها نظام حياة، ومنهج تربية وتعليم متكامل، يشمل الأبدان والعقول والقلوب... فالأبدان تنظف وتنشط، والعقول تتعلم وتتثقف، والقلوب تتزكى وتتطهر.

الصلاة تطبيق عملي لمبادئ الإسلام السياسية والاجتماعية المثلى، فتحت سقف المسجد تتجلى معاني الإخاء والمساواة والحرية، وتبرز معاني الجندية والطاعة المبصرة والنظام الجميل. [3]

الصلاة تنأى بالمؤمن عن الغرور بمتاع الدنيا والاستعلاء على غيره من خلق الله وظلمهم والطغيان فيهم، حين يقف بين يدي الواحد الديان، خاشعا مكبرا متزلفا، ومتجردا ومنصرفا عن كل متاع الدنيا وزخرفها، إيمانا منه بعظمة الله وجلاله وقدرته وفضله على العالمين، وإيمانا بأن العزة كلها لله وهو سبحانه الغني المغني [4].

يقول أبو زهرة: "نقرر أن العبادات في الإسلام شرعت لتهذيب النفوس وتربية روح المساواة وروح الاجتماع الذي لا اعتداء فيه، إذا كانت العبادات لا تحقق تلك الأهداف التهذيبية فهي ليست عبادة خالصة يقبلها الله تعالى ويثيب عليها. ولنضرب لذلك مثلاً بالصلاة...فقد وضحها القرآن وبين غايتها بأنها تمنع الجرائم الاجتماعية، وتمنع كل منكر لا

[1]– سورة البقرة: الآية رقم 277

[2]– مقداد يالجن، مرجع سابق، ص239.

[3]– يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص51.

[4]– محمد بهائي سليم، مرجع سابق، ص60

تعرفه العقول السليمة، بل تستنكره، وأنها يجب أن تؤدي هذه الغاية فإن لم تؤد إليها فصاحبها مذموم وصلاته مصدر عقاب له، لأنها صلاة هو ساه عن معناها وعن غايتها".[1]

هذه الشعيرة الإسلامية الكبرى تربية فردية اجتماعية حيوية شاملة لكل مقومات البناء الإسلامي للشخصية الإسلامية المتميزة، إنها تعود الانسان على احترام الوقت وتقدير عامل الزمن في انجاز الأعمال والقيام بالمهام: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾[2] إنها تربية تطهيرية لخلق المسلم وسلوكه حين يقف ليؤدي حساب أعماله أمام ربه ويجدد العهد على التزام الخط المستقيم في حياته: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾[3].

وفي الأزمات والأحداث كانت الصلاة علاجا منهاجا وبالجملة فإن المصلي يستمد من الله في صلاته الطاقة التي تمده بالقوة المعنوية التي يواجه بها أحداث الحياة، وهي موزعة على أجزاء النهار في أوقات حساسة يتوقف المسلم في محطاتها ليستريح من وعثاء السفر وليتزود بما يجب للمراحل القادمة. [4]

الصلاة إذا ما أديت بصدق وابتغاء مرضاة الله وحده وتقواه تطهير للنفس وتحصين لها من وسوسة الشيطان، وحين يقف المرء في صلاته خمس مرات كل يوم، بين يدي خالقه خاشعا مستسلما ومتوجها إليه بالذكر والعبادة إنما يجنب نفسه ما حرم الله من فواحش ومنكرات، وبتجنب هذه الفواحش والمنكرات حافظ على مجتمعه نظيفا نقيا، وتعالت فيه الأخلاق والقيم وتأسست فيه شبكة العلاقات الاجتماعية التي بدورها تكون الرباط الاجتماعي.

[1] –أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص13–14.

2 –سورة النساء: الآية رقم124.

3 –سورة العنكبوت: الآية رقم45.

4 –محمد الأكحل شرفاء، مرجع سابق، ص2.

المبحث الثالث: البعد القيمي في سورة النساء

المطلب الأول: العدل

الجدول رقم:(37)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
58	﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾	-العدل قيمة إنسانية. -العدل أساس الملك ونظام الحياة.
135	﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾	-العدل أساس المسؤولية الاجتماعية

جاءت كلمة العدل من الحسي، العدل: نصف الحمل، أي حمل معدول بمساو له، وعدل الشخص الحمل: وازنه بما يساويه، ومنه كان العدل. [1]

ومن هنا يعلم أن العدل في الحكم بين الناس هو انصاف كل من الخصمين ومراعاة المماثلة بينهما بحيث لا يعطى أحدهما إلا حقه ونصيبه ولا يرجح على الآخر ولو بقيد انملة، والجدير بالالتفات هنا ما ذكره الرازي نقلا عن الامام الشافعي رضي الله عنه حيث قال: " ينبغي للقاضي أن يسوي بين الخصمين في خمسة أشياء في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم عليهما". [2]

والعدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام وجعلها من مقومات الحياة الفردية والاسرية والاجتماعية والسياسية، حتى جعل القرآن إقامة القسط -أي العدل-بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، يقول تعالى: ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا

[1]- إبراهيم مدكور، مرجع سابق، ص413.

[2]- محمد الصالح الصادق، مرجع سابق، ص543.

معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ [1]، وليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصد الأول من إرسال الله تعالى رسله وإنزاله كتبه. [2]

والعدل وحدة بنائية بديلة لأن صور العدل متعددة ومتشعبة، فإذا كان العدل وحدة بنائية بديلة لأنماط العلاقات السياسية في الإسلام، فهو أيضا وحدة بنائية في أنماط المعاملات والسلوكيات، كما يعتبر شرطا ضروريا لأنماط العلاقات الاقتصادية، وأيضا وحدة بنائية هامة في أنماط العلاقات الأخلاقية وفي أنماط العلاقات القرابية العائلية لأنه وحدة بنائية هامة في بناء الاسرة المسلمة وفي معاملة الزوجة والأولاد من الجنسين... وتتداخل وتنتشر وترتبط أنماط العلاقات التبادلية للنظام الإسلامي عن طريق الوحدات البنائية التي يمكن أن توجد في كل الأنماط حتى ولو أخذت شكل البدائل في داخل الشكل البنائي العام. [3]

ويدعو أفلاطون إلى أن يكون الإنسان عادلا في معاملة غرائزه ودوافعه كعدالة الحاكم في أفراد مجتمعه فيقول: " إن العدالة لا تتناول مظاهر أداء الإنسان لعمله الخاص وإنما تتناول البواطن التي تخص الرجل نفسه ومصالحه الخارجية بحيث لا يسمح الرجل العادل لعناصره المتعددة أن تعمل عملا غير عملها ولا للطبقات المميزة في نفسه أن يتدخل بعضها في بعض، ولكنه ينظم بيته حقا وبالتحكم في نفسه ينظم خلقه".

وعلى هذا يجب على الإنسان أن يعد كل دوافعه أو ميوله الفطرية كمجتمع وأن يعرف لكل واحد حقه ووظيفته، وأن يعرف ما يصلحه وما يفسده...وكما أن عدم العدالة في المجتمع يؤدي إلى فساد الحياة الاجتماعية فكذلك عدم العدالة في مجتمع غرائزه يؤدي إلى فساد الحياة الباطنية، وإذا فسدت الحياة الباطنة فسدت الحياة الظاهرة للإنسان، ولذلك قال رسول الله ﷺ لعبد الله بن عمر بن العاص عندما علم أنه انقطع للحياة الروحية تاركا الحياة المادية على جنب فقال: " يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل قلت نعم قال

---

[1]– سورة الحديد: الآية رقم25

[2]– يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص133.

[3]– محمد علوان، مرجع سابق، ص103.

فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حق، وإن لعينك عليك حق وإن لزوجك عليك حق" رواه البخاري.[1]

وجملة القول إن العدل أساس الملك ونظام الحياة، وما من أمة كان العدل ميزانها في المعاملة وفي إقامة الحقوق إلا علا شأنها وانتظم تدبيرها وكانت مطمح الأمم مفخرة التاريخ في كل عصر وجيل وان دولة الإسلام لأكبر شاهد على ذلك. [2]

وتبين من خلال هذه الآيات طبيعة المعركة التي كان القرآن يخوض بها الجماعة المسلمة وطبيعة الأساليب المنهجية في قيادته لمعركة والنفوس وهي المعركة الدائمة المتصلة بين الإسلام والجاهلية في كل زمان وكل مكان وبين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين تتغير أشخاصهم ووسائلهم ولكن لا تتغير طبيعتهم ومبادئهم. [3]

ويأمر الإسلام بالعدل في كل الأمور الصغيرة قبل الكبيرة، لأن الخطأ الصغير ينجر عنه الخطأ الكبير، فقد أمر بالعدل مع:

-الأسرة: مع الزوجة أو الزوجات، مع الأبناء والبنات، يقول الله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النشاء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾[4] ويقول ﷺ: " اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" متفق عليه. [5]

-الناس: يأمر الإسلام بالعدل مع الناس عدل المسلم مع من يحب وعدله مع من يكره، لا تدفعه عاطفة الحب إلى المحاباة بالباطل، ولا تمنعه عاطفة الكره من الإنصاف وإعطاء الحق لمن يستحق، يقول الله تعالى في العدل مع من نحب: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾ [6].

---

[1]- مقداد يالجن، مرجع سابق، ص295-296.

[2]- محمد الصالح الصادق، مرجع سابق، 546.

[3]- سيد قطب، مرجع سابق، ص775.

[4] - سورة النساء: الآية رقم 3.

[5]- يوسف القرضاوي، مرجع سابق، ص134.

[6]- سورة النساء: الآية رقم 135.

-القول: يأمر الإسلام بالعدل في القول فلا يخرجه الغضب عن قول الحق ولا يدخله الرضا في قول الباطل يقول تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة﴾ [1]، ﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ [2].

-الحكم: يأمر الإسلام بالعدل في الحكم، كما قال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾ [3]، وقد استفاضت الأحاديث في فضل (الامام العادل) فهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

-ومن أبرز العدل الذي شدد فيه الإسلام ما سمي في عصرنا: العدل الاجتماعي، ويراد به العدل في توزيع الثروة، وإتاحة الفرص المتكافئة لأبناء الأمة الواحدة، وإعطاء العاملين ثمرة أعمالهم وجهودهم دون أن يسرقها القادرون وذوو النفوذ منهم، وتقريب الفوارق الشاسعة بين الأفراد والفئات بالحد من طغيان الأغنياء، والعمل على رفع مستوى الفقراء.

وهذا الجانب سبق فيه الإسلام سبقا بعيدا، حتى إن القرآن منذ عهده المكي لم يغفل هذا الأمر الحيوي، بل أعطاه عناية بالغة ومساحة واسعة، فمن لم يطعم المسكين كان من أهل سقر المعذبين في النار: ﴿قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين﴾[4]، ولا يكفي أن تطعم المسكين، بل يجب أن تحمل نصيبك في الدعوة إلى إطعامه والحض على رعاية ضروراته وحاجاته: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾[5]، وإهمال هذا الحض يضعه القرآن جنبا إلى جنب مع الكفر بالله تعالى: ﴿خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراع فأسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾[6]

---

[1]- سورة الطلاق: الآية رقم 2

[2]- سورة المائدة: الآية رقم 8

[3]- سورة النساء: الآية رقم 58

[4]- سورة المدثر: الآية رقم 43-44

[5]- سورة الماعون: الآية رقم 1-3

[6]- سورة الحاقة: الآية رقم 30-34.

والمجتمع الجاهلي مجتمع مذموم مسخوط عليه من الله تعالى، لضياع الفئات الضعيفة فيه وانشغال الأقوياء بأكل التراث وحب المال: ﴿لا بل لا تكرمون اليتيم، ولا تحاضون على طعام المسكين، وتأكلون التراث أكلا لما، وتحبون المال حبا جما﴾ [1].

لقد اهتم الإسلام بالطبقات الضعيفة في المجتمع، فشرع لهم من الأحكام والوسائل ما يكفل لهم العمل الملائم لكل عاطل، والأجر العادل والطعام الكافل لكل جائع، وفرض لذلك حقوقا مالية في أموال الأغنياء وأولها وأعظمها الزكاة والتي تعتبر من أهم مقومات العدل الاجتماعي في الإسلام. [2]

ونعلم –إلى درجة اليقين– أن مهمة الإنسان في الأرض محصورة في عبادة الله، ثم يتسع علمها فتعلم أن عبادة الله ليست هي ساعة التعبد التي لا تستغرق وقت الإنسان ولا جهده، إنما هي الحياة كلها حتى الموت، بل الموت ذاته كذلك–بأن يموت على طاعة الله وفي سبيل الله–: ﴿قل إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾[3]، وأن العبادة الحق هي القيام بكل التكاليف الربانية كما أمر الله بها، سواء أكانت هي عمارة الأرض، أو السعي للرزق أو انشاء اسرة وتحمل متاعبها، أو إقامة الحق والعدل في الأرض ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾[4].[5]

وتدلنا سورة النساء على أنه من يرغب في اتباع منهج الله عليه بالعدل ورحمة الفقراء والضعفاء، هذه الفئات الضعيفة التي يتكون منها المجتمع، والتي دائما يحط من مكانتها ولا تلقى الترحيب ولا حسن المعاملة، ولقد رأينا سابقا كيف كانت هذه الفئات تعامل في الجاهلية وكيف كانت تؤكل حقوقها.

---

[1]– سورة الفجر: الآية رقم 17–20

[2]– يوسف القرضاوي، مرجع سابق، 137–138.

[3]– سورة الأنعام آ162–163

[4]– سورة النساء: الآية رقم 58

[5]– محمد قطب، مرجع سابق، ص577.

فالمنهج الرباني جاء في سورة النساء وبين هذه الفئات من نساء ويتامى وضعفاء، وشرع لهم ما يكفيهم حاجتهم ويضمن كرامو عيشهم مبينا أن العدل والرحمة أساس المسؤولية في الأرض وبه تتحقق أمانة الاستخلاف التي خلق الإنسان من أجلها.

المطلب الثاني: الأمانة

الجدول رقم:(38)

رقم الآية	نص الآية	المحتوى
58	﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾	-ربط الأمانة بالعدل

جاءت كلمة الأمانة من أمن صاحبه-كفهم-وأمنه على ماله وأمنه بماله: وثق به، ومصدره الأمانة ضد الخيانة. [1]

عرفت الأمانة بأنها ما يؤمن عليه الإنسان وهي من الأمن الذي هو طمأنينة النفس وعدم الخوف وقد وردت آيات عديدة في القرآن كقوله تعالى: ﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾ [2]، ويعلم من هذا أنه يقال أمنته على الشيء وائتمنته على الشيء لأمنته عليه، وغني عن البيان أن كل ما يؤمن عليه الإنسان يجب أن يصان ويحافظ عليه ثم منه ما يحفظ فيؤدى إلى صاحبه ومنه ما يحفظ فقط كالسر فانه يبج أن يكتم ويصان. [3]

والأمانة هي كل الواجبات التي يجب على الإنسان أن يقوم بأدائها نحو الله ونحو الناس بحكم تلك الإمكانيات من الحرية والقدرة وجاء تفيل هذه الأمانة في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾ [4]، ويقول الفخر الرازي في شأن هذه الآية: " معنى الآية ايجاب أداء التكاليف بأسرها على

---

[1]- إبراهيم مدكور، مرجع سابق، ص28.

[2]- سورة يوسف: الآية رقم 64

[3]- محمد الصالح الصادق، مرجع سابق، ص539.

[4]- سورة الأنفال: الآية رقم27

سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال، واما الوجوه المذكورة في سبب نزول الآية فهي داخلة فيها، لكن لا يجب قصر الآية عليها إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

ولكن الإنسان ظلم نفسه عندما خان الأمانة وتعدى الحدود التي رسمها الله: ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[1]، ولكنه تعدى تلك الحدود لقدرته على التعدي ولجهله حينا: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾[2]، ولضعفه أمام الشهوات والنزوات حينا آخر: ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾[3]، ولعدم تدقيقه فيما يترتب على أعماله من خير أو شر: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[4]، ثم من عدم خوفه من تجرع الظلم وما يترتب عليه من العواقب الوخيمة: ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾[5].[6]

وظلم الإنسان نفسه لتحمله هذه المسؤولية الخطيرة، قال الله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾[7]، هذه هي الأمانة حملها الإنسان، مطلق الإنسان، تحقيقا لذاته وممارسة لخلافته في الأرض، ولو كان قبل التسخير لأعفاه من المسؤولية والحساب، لكنه أبى إلا أن يتحمل أمانة إنسانيته، وان جهل خطرها وقصر في الوفاء التام بكل حقوقها ﴿إنه كان ظلوما جهولا﴾ فالإنسان فيما يحمل من أمانة إنسانيته، يخاف الخيانة وهو خاضع لرقابة خالقه، مسؤول أمام ضميره، ومن هنا كانت مشقة الأمانة وصعوبتها إذ تلوح الفرص للإنسان مغرية بالنفاق تهربا من المسؤولية أمام الناس ومن ثم يتعرض لامتحان عسير وبلاء مبين.

---

(1)– سورة البقرة: الآية رقم229

(2)– سورة الاسراء: الآية رقم85

(3)– سورة النساء: الآية رقم 28

(4)– سورة الاسراء: الآية رقم36

(5)– سورة إبراهيم: الآية رقم 34

(6)– مقداد يالجن، مرجع سابق، 336-337.

(7)– سورة الأحزاب: الآية رقم 72-73

ولا يعني قصور إدراك الإنسان لتبعة الأمانة، أو تقصيره في أداء حقها على الوجه الأكمل أن يؤثر السلامة ويشفق من حمل الأمانة ويأبها، بل لا بأس عليه من مخاطر الابتلاء وعثرات الجهل، فإنما العبرة بصدق النية ويقظة الضمير وصحة الايمان، ومجال التوبة مفتوح أمام الإنسان الذي يتعثر ويخطئ فتصهره التجربة ويهتدي بالخطأ إلى طريق الحق.

والإثم كل الإثم على من يخون الأمانة عمدا، مجاهرا بالخيانة أو منافقا يتقي حساب الناس ولا يتقي حساب الله والنفس اللوامة. [1]

وهذه الاستعدادات الفطرية الموجودة في الإنسان هي التي تجعله يتحمل هذه الابتلاءات والعثرات والمشقة، فبالرجوع إلى صفات الإنسان التي عرضناها سابقا نجدها ملخصة في هذا الموقف الذي يبين طبيعة الإنسان وما جبلت عليه من الضعف والجهل وحب الدنيا والشهوات، وتجربة المحظور والمنع والجزع...كل هذه الملامح من شخصية الإنسان جعلته يقبل الامتحان ويتحمل الأمانة ليعمر بها الأرض

والمخاطرة في سبيل تحقيق ما خلق من أجله وهو طاعة الله واستخلافه في الأرض.

ولقد قرر أهل العلم أن الأمانة على أنواع ولأجل ذلك جاءت بصيغة الجمع في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾ [2]، وجعلها فريق من المفسرين ثلاث أنواع:

1-أمانة العبد مع ربه وهي فعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه، فاذا امتثل العبد لأوامر الله تعالى ونواهيه فقد أدى ما عهد اليه حفظه وكان مطيعا أمينا وان تهاون في ذلك وفرط كان عاصيا خائنا.

2-أمانة العبد مع سائر الخلق ويدخل فيها رد الودائع وترك التطفيف في الكيل والوزن واجتناب الغش وعدم افشاء عيوب الناس وأسرارهم... ويدخل في هذا القسم عدل الامام مع رعيته، وعدل العلماء مع العوام.

---

[1]- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، مرجع سابق، ص73-74.

[2]- سورة المؤمنون: الآية رقم 8

3-أمانة الإنسان مع نفسه، وهي ألا يختار لها إلا ما ينفعه في الدين والدنيا وألا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة، ويدخل في ذلك مراعاة الإنسان قوانين حفظ الصحة وتوقيه لأسباب الأمراض والأوبئة وكل ما يفضي به إلى التهلكة.

ويقول الرسول ﷺ مبينا فضل وتعظيم شأن الأمانة: " ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم إني بك فلا اقطع، والأمانة تقول اللهم إني بك فلا أخان، والنعمة تقول اللهم إني بك فلا اكفر" رواه البزار، ومن المعلوم أن بقاء النوع الإنساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال، وروح المعاملة والمعاوضة هو الأمانة فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الإنسان إلى الفناء العاجل. [1]

إن الله سبحانه وتعالى قرن الأمانة بالعدل في آية واحدة، ومن دون أن نشعر نتكلم عن العدل والأمانة والظلم والخيانة في سياق واحد وفي معنى واحد، هذا من أروع أساليب القرآن الكريم في استعمال الثنائيات الضدية لتجميل المعنى وترسيخ الدرس، هذا ان دل على شيء إنما يدل على أن هذه القيم لصيقة ببعضها ولا يتم أحدها إلا بالآخر، فالإنسان إذا كان عادلا أدى الأمانة ولم يخنها، وإذا أدى الأمانة لم يظلم نفسه ولا غيره، وبذلك يكون قد حافظ على كيان المجتمع من أن تهزه رياح الظلم والخيانة وتعبث به وتغرقه في ظلمات الجهل والصراعات.

[1]- محمد الصالح الصادق، مرجع سابق، ص541.

خاتمـــــــــة

الحمد لله الذي أنعم علي وأعانيني على إكمال هذا العمل البحثي الذي كان موضوع دراسته القرآن الكريم عامة وسورة النساء خاصة، حيث تناول هذا البحث مشكلة من أهم المشكلات التي حاول علماء الاجتماع والانثروبولوجيا دراستها وهي المجتمع وكل ما يتعلق به من نشأة وأبعاد ومقومات...

جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإثبات أن النصوص القرآنية كان لها السبق أو هي الأولى التي نظرت ووضعت المفاهيم وحللت كل القضايا ذات الطابع الاجتماعي التي لم ينتبه لها إنسان العصر الحديث إلا مؤخرا، وإن قام بدراستها وتحليلها، إلا أن هذه الدراسات كانت مبنية على مرجعية دينية وفكر اجتماعي غربي بعيد كل البعد عن النصوص القرآنية، التي لم تغفل عن أي جانب من جوانب حياة الإنسان، ولا بعدا من أبعاد وجوده الاجتماعي إلا ووضعت له المنهج الصحيح الذي يسير عليه الفرد من أجل الوصول إلى بناء اجتماعي رصين يكون سلوكه الجمعي وحرية اختياره الأساس في تجمعه، مبنيا على طاعة الله .

وقد انتهت الدراسة بحمد الله إلى الإجابة عن التساؤل الرئيسي:

ما هي الأبعاد الاجتماعية المستنبطة من خلال سورة النساء؟

ومن خلال هذه الدراسة تم استنباط عدة أبعاد اجتماعية تضمنتها سورة النساء والتي جاءت كما يلي: البعد الإنساني والبعد الأمني، البعد الاقتصادي والبعد الأسري والبعد العقائدي والبعد الأخلاقي وأخيرا البعد القيمي.

وقد تمت الإجابة أيضا على الأسئلة الفرعية كالتالي:

1- كيف تتجلى معالم البعد الإنساني في سورة النساء؟

يتجلى البعد الإنساني في سورة النساء من خلال التركيز على الآية الأولى من سورة النساء التي توضح نشأة الفرد والمجتمع من نفس واحدة ورحم واحدة مرد كل ذلك إلى تقوى الله، وهذا ما أشارت أليه الدراسة السابقة بعنوان الدين من خلال القرآن الكريم وتطبيقاته الاجتماعية.

وجانب انساني آخر وهو الفئات الضعيفة التي يتكون منها المجتمع وكيف نظمت السورة حياتهم وبينت حقوقهم المادية والمعنوية، وهذا ما توصلت اليه الدراسة السابقة بعنوان: التربية الاسرية المتضمنة في سورة النساء.

2-كيف تتجلى معالم البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء؟

وتتجلى معالم البعد الأمني في سورة النساء في الجهاد الذي شرعه الله سبحانه وتعالى لحماية المجتمع خاصة والأمة عامة كما تشير إلى ذلك الآيات84،74،73،72،71،وركز كذلك على تقسيم التركة حتى لا تتصدع الاسرة ويحدث الانشقاق بين أفرادها، إذ تعتبر التركة وسيلة لحماية الأبناء وحفظهم من التشرد وسؤال الناس، والبعد الاقتصادي في السورة يتجلى من خلال التركيز أيضا على الميراث الذي يعتبر منظومة مالية ترفض تكديس الأموال إذ تقسم بين أفراد الأسرة والمجتمع كما وضحت السورة حتى يعم التعاون والتكافل وتسود الأخوة بين أفراد المجتمع، هذا التنظيم في توزيع التركة من النقاط التي توصلت اليها الدراسة السابقة بعنوان: مبدأ التنظيم في القرآن الكريم.

كما كفل للمرأة حقوقها المادية وجعل لها ذمة مالية خاصة بها ومنع الاعتداء عليها وأخذ مالها بالقوة.

3-كيف تتجلى معالم البعد الأسري والبعد العقائدي في سورة النساء؟

تمثل البعد الاسري في سورة النساء في القوامة، وهي قوامة الرجل للمرأة حتى يصلح حالها وتكون مصدرا للإنتاج العاطفي الذي يتربى فيه الأبناء، كما حدد العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة ووضع الضوابط والقوانين التي تحكمها، ومن جهة أخرى توضحت معالم السلوك الفردي والسلوك الأسري وكيفية التعامل مع المشكلات الاجتماعية التي تهدد أمن واستقرار الأسرة، وهذا ما توصلت اليه الدراسة السابقة: التربية الأسرية المتضمنة في سورة النساء.

أما البعد العقائدي فتحدد في ضبط علاقة الانسان بخالقه ومعرفة مهمته ومسؤوليته في هذه الأرض والأمانة التي كلف بها وهي استخلافه فيها، والحفاظ على حياته وحياة المجتمع الذي ينتمي إليه لأنهما جزء من الأمانة التي كلف بها.

4-كيف تتجلى معالم البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء؟

البعد الأخلاقي تتجلى معالمه في الصدق في التعامل بين أفراد المجتمع والتعاون على نبذ كل صور السلوك غير السوي الذي من شأنه القضاء على توازن المجتمع وإحلال الفوضى فيه كالنفاق والرياء، والصلاة من أهم أساليب حماية المجتمع والحفاظ عليه من هذه الأمراض.

والقيم جزء لا يتجزأ من الكيان الاجتماعي السليم المبني على العدل الذي هو أساس الملك ونظام الحياة، وقد اقترن في مواضع كثيرة بالأمانة التي هي أساس المعاملات فإذا ذهبت الأمانة فسدت المعاملة وإذا فسدت المعاملة بدأ النفاق والكذب وهما من الأسباب الرئيسية في فساد المجتمع.

والملاحظ في تقسيم الفصول أن الأبعاد الاجتماعية المستنبطة متداخلة ومترابطة ومتشابكة في تسلسل رائع لا يمكن الفصل بين محتوياتها لذلك حاولت قدر المستطاع وضع بعد أو إثنين في فصل واحد حسب أهمية وتقارب البعدين والمواضيع التي يتناولها كل بعد.

كانت هذه أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ومن خلالها يمكن القول إن القرآن الكريم أسس نشأة الأمة وأظهر خصائص الانسان والمجتمع عامة، أما سورة النساء رسخت للنظام الاجتماعي خاصة حتى يؤدي دوره من خلال كل الأبعاد الاجتماعية التي تجلت لنا وكذا الطرح القرآني للقضايا الاجتماعية وكيفية معالجتها.

تم بحمد الله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابتسام الكتبي وآخرون، النوع الاجتماعي وأبعاد تمكين المرأة في الوطن العربي، تحرير رويدا المعايطة، القاهرة: صادر عن منظمة المرأة العربية، 2010.
2. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1968
3. أبو الأعلى المودودي، تفسير سورة النور، دار الفكر، 1959.
4. أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991
5. أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضراب، ذم الرياء في الأعمال، دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، 1416هـ، ص48-49.
6. أحمد ابراهيم مهنا، الإنسان في القرآن الكريم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1981.
7. احمد علي مدكور، منهج التربية في التصور الإسلامي، دار الفكر العربي القاهرة، 2002.
8. أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة بيروت، 1992.
9. ألكسيس كاريل، الإنسان ذلك المجهول، الدار القومية للطباعة والنشر، ترجمة عادل شفيق، 1939.
10. إيمان عكوز، التمكين الاقتصادي للمرأة الواقع والآفاق وزارة العمل الأردنية نموذجا، منظمة العمل الدولية.
11. بدر بن ناصر البدر، اليتيم في القرآن الكريم، كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود، مجلة العلوم الشرعية، العدد 14.
12. بغدادي بلقاسم، المعجزة القرآنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992
13. توفيق الواعي، استراتيجيات في تربية الأسرة المسلمة، مصر: شروق للنشر والتوزيع، 2005.
14. حرزالله محمد لخضر، حتى يغيروا ما بأنفسهم...النفس محور الإصلاح الكوني، الجزيرة نت.

15. حسن إبراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية التربية والطبيعة الإنسانية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1985.
16. الحسين بن محمد الدامغاني، إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة الأولى، 1970.
17. حلمي فودة محمد وعبد الرحمان صالح عبد الله، المرشد في كتابة الأبحاث، دار الشروق، جدة، 1410هـ
18. رشيد ميموني، البعد الاجتماعي في القرآن مقاربة سوسيومعرفية، مخبر علم اجتماع الاتصال، 2009.
19. زكريا بشير إمام، أصول الفكر الاجتماعي في القرآن الكريم، مكتبة روائع مجدلاوي، الخرطوم 1999.
20. السيد حنفي عوض، علم الاجتماع التربوي، مكتبة إية القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، 1997-1998
21. سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، دار الشروق، بيروت، 1995
22. سيد قطب، في ضلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1990، المجلد الأول، الأجزاء 1-4.
23. صلاح مصطفى الفوال، التصوير القرآني للمجتمع الأنساق والنظم الاجتماعية، الجزء الأول، دار الفكر العربي، 1985، ص62-63.
24. عباس محمود العقاد، الانسان في القرآن الكريم، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
25. عبد العزيز عزت الخياط، المرأة ومن ترعاه في رحاب القرآن أسرة وطفلا، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2010.
26. عبد الله الحمد الجلالي، العلاقات الاجتماعية في القرآن الكريم، مكتبة دار السلام الرياض، 1995.
27. عصام محمد فهيم جمعة، الدعاء وأثره في صناعة الأبناء الصالحين، شبكة الألوكة آفاق الشريعة، مقال بتاريخ 2021/03/24.

28. عقيل حسين عقيل، المنهج العلمي وطريقة تحليل المضمون، سوريا: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، 2011.
29. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، الجزء الأول شبكة العلاقات الاجتماعية، طرابلس، لبنان، 1974.
30. محمد التومي، المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، تونس: الدار التونسية للنشر، 1986.
31. محمد الشحات الجندي، الميراث في الشريعة الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة.
32. محمد الصالح الصديق، مقاصد القرآن، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة الجزائر، 1982.
33. محمد الطاهر ابن عاشور، النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 2010.
34. محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، الجزء الثالث، 1984.
35. محمد الغزالي، قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار الشروق القاهرة، 1990.
36. محمد بن صالح العثيمين، فقه العبادات، مداد الوطن للنشر الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425هـ
37. محمد بهائي سليم: القرآن الكريم والسلوك الإنساني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.
38. محمد سعيد رمضان البوطي: من روائع القرآن، تأملات علمية وأدبية، مؤسسة الرسالة بيروت، 1999
39. محمد سيد طنطاوي، مؤتمر تحرير المرأة في الإسلام منعقد في الفترة من 22-23 فبراير 2003، تقديم محمد عبد الله المهدي، الكويت: دار القلم، 2004.
40. محمد عبد الجبار، المجتمع بحوث في المذهب الاجتماعي القرآني، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1987.
41. محمد عزمي صالح، الرعاية الاجتماعية لليتامى في الإسلام، مكتبة وهبة، 1986.

42. محمد علوان، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع، الجزء الأول، دار الشروق، الطبعة الأولى 1983.
43. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، بيروت، دار الجيل، 2001.
44. محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، 2001.
45. محمد متولي الشعراوي، الجهاد في الإسلام، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة، الطبعة الأولى، 1998.
46. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، القاهرة: أخبار اليوم قطاع الثقافة، المجلد 4.
47. محمد متولي الشعراوي، معجزة القران، الكتاب الثاني،1988.
48. محمد مجاهد طبل، آداب معاملة اليتيم، دار الصحابة للتراث بطنطا، 1992.
49. مراد زعيمي، التنشئة الاجتماعية، الجزائر: مشورات جامعة باجي مختار، عنابة، 2006.
50. مراد زعيمي، علم الاجتماع رؤية نقدية، الجزائر: مخبر علم اجتماع الاتصال، 2004.
51. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 2003.
52. مصطفى الصيرفي، أبعاد التربية الإسلامية، اسلام ويب المقالات، 01-01-2002.
53. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق، القاهرة، 1981.
54. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004، ص63.
55. مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتاب الرياض، الطبعة الثالثة 2002.
56. نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي ونظمه، دراسة في علم الاجتماع الإسلامي، السعودية: دار الشروق، 1998.

57. هياق إبراهيم، التكفل النفسي والاجتماعي للطفل اليتيم في الوسط المدرسي في الجزائر الواقع والآفاق، مجلة تطوير العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلد 10ع 1، 2017.
58. وهبة الزحيلي، الاسرة المسلمة في العالم المعاصر، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2006، ص13.
59. ياسمين يوسف، المحارم، مرصد ومدونات عمران، 2021/02/01.
60. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة القاهرة، 2001.
61. Boguna,Maria, Romualdo Pastor-satorras, Aler . Diaz-Guilra, and Alex Arenas
Models of social networks based on social distance attachment. Phisical review70,1-8. (2004).
62. Robert I Park 1924
"The Concept of Social Distance As Applied to the study of Racial Attitudes and Racial Relations" Journal of Applied;8Sociology339-344

الرسائل الجامعية:

63. بشير عثمان، الدين من خلال القرآن الكريم وتطبيقاته الاجتماعية، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العلوم تخصص: الكتاب والسنة، جامعة الحاج لخضر- باتنة، كلية العلوم الإسلامية، (غير منشورة)، 2015/ 2016.
64. زكية عقري، مبدأ التنظيم في القرآن الكريم، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الاجتماعية، (غير منشورة)، 2014/ 2015.
65. علي عبده شاكر أبو حمدي، التربية الأسرية المتضمنة في سورة النساء، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، (منشورة)، 1415/1416.

66. نورة بن حسن، الظلم في ضوء القرآن الكريم، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التفسير، 2008-2009.

المجلات

67. محمد الأكحل شرفاء، البعد التربوي الاجتماعي في العبادات الإسلامية، مجلة دعوة الحق، العدد 276، سبتمبر 1999

68. عبده محمد يوسف، فقه التعامل مع السفهاء في ضوء القرآن الكريم، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، جامعة صنعاء اليمن، العدد15، 2007.

69. عبد الله محمد فهد وانتصار سامي إبراهيم، أسس اصلاح البيت المسلم من خلال سورة النساء، مجلة مداد الآداب، 2019

70. عبد القادر بلي، جسم الإنسان في القرآن الكريم بحث في دلالة الأسماء، مجلة قراءات للبحوث الأدبية والنقدية واللغوية، العدد6، جوان 2016.

71. عبد الحميد محمد الهاشمي، لمحات نفسية في القرآن الكريم، دعوة الحق سلسلة شهرية، السنة الثانية، 1402، العدد11.

المواقع الالكترونية

72. اليتيم، موقع موسوعة التفسير الكريم، الموضوعي للقرآن https: //modoee.com/show-book-scroll/492

73. موقع مع الله، مفهوم السفاهة في القرآن الكريم، 05 فيفري2023 com .https://maa-allah

74. رفيق المصري، مقال: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم، موسوعة الاقتصاد والتمويل الإسلامي، 04أفريل2010.17020=p

lefpedia.com/arab

75. Alukah.net/sharia/0/111548 التشاؤم من البنات//17/01/ 2017،

76.http://www.aljazeera.net/blogs/27/04/2020/15/03/2023.

https://www.islamweb.net/ar/article/11276

الفـــــهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الجداول

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة		رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة			
﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾		13	151
﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾		30	76
﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾		36	107
﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾		44	234
﴿وأيدناه بروح القدس﴾		87	52
﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة﴾		128	73
﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾.		129	146
﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾		130	152
﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾		137	34
﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾		142	151
﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾		170	56
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين آتى المال		177	93 180

على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾			
﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام﴾	204		230 235
﴿كان الناس أمة واحدة، فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم﴾	212		77
﴿يسألونك ماذا ينفقون، قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل، وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾	215		180
﴿وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾	216		68
﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم﴾	218		140
﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾	221		126
﴿فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف﴾	229		124
﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾	229		211 248

﴿وإن تعفوا أقرب للتقوى﴾	237		93
﴿إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾	247		49
﴿ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾	251		162
﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾	257		46
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾	264		155
﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير﴾	271		224 226
﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾	277		240
﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل﴾	282		153
﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾	284		66
﴿لا يكلف الله نفس إلا وسعها﴾	285		198
سورة آل عمران			
﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾	9		74
﴿وقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله	13		163

وأخرى كافرة ترونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾			
﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾	14		195
﴿إذ قالت امرأة عمران ربي إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم، فلما وضعتها قالت ربي إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا﴾	37-35		111
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾	102		93
﴿أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾	195		130
سورة النساء			
﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾	1		65-77-95-105-112-139-193
﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾	2		178 182
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أو مَا	3		138 178

﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ﴾			244
﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا﴾	5		149 150 152 153
﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا﴾	6		178 182 178
﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾.	7		179 168 169
﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾	8		155 179 180
﴿وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾	9		143
﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾	10		140 179 182
﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾	11		179
﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن	12-11		168

نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين ءابائكم وأبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما، ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فأن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾			170
﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾	18		191
﴿وعاشروهن بالمعروف﴾	19		123
﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا، ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾	19		124
﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾	20		119 128
﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾	21		119
﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم	22		126

وبنات الأخ وبنات الأخت﴾			
﴿ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء﴾	22		126
﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾	22		126
﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾	23		126
﴿وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾	23		126
﴿وان تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾	23		126
﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة﴾	24		118
﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾	28		248
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾	29		153
﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾	32		130 194
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾	35		207
﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحًا يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾	35		207
﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجاري ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾	36		137 196 205
﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا﴾	58		245 246
﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثباتا أو انفروا	72-70		159

جميعا، وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا، ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما﴾			
﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالأخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾	74		161
﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا، الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾	76-75		163
﴿ألم ترى إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكون يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾	77		164
﴿ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾	79		202
﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد	84		161

تنكيلا﴾			
﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما، درجات منه ومغفرة ورحمة، وكان الله غفورا رحيما﴾	96-95		167
﴿قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الواسعة فتهاجروا فيها﴾	97		165
﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مل لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾	104		165
﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾	124		241
﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾	126		138
﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا﴾	128		208
﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾	129		115
﴿وإن يتفرقا يغني الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما﴾	130		208 210
﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾	135		244
﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ولن تجد لهم نصيرا﴾	145		230
﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد	165		48

الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾			
﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾	171		52
﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن إمرؤا هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيء عليم﴾	176		169 170
سورة المائدة			
﴿كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾	8		245
﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾	8		93
﴿ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾	32		109
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾	45		94
﴿كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون﴾	70		66
﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كنوا يفعلون﴾	79-78		62
﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾	119		234
سورة الأنعام			

﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾		140	109 152
﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾		152	184
﴿قل إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له﴾		163-162	246
سورة الأعراف			
﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءتهما﴾		20	107
﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لن تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾		23	107
﴿قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين﴾		66	152
﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾		81	214
﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار﴾		148	49
﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالو بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين﴾		172	45
﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾		189	105
﴿إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾		196	146
﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية﴾		205	66

سورة الأنفال			
﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾	25		62
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون﴾	27		247
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾	29		93
﴿واعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، والله على كل شيء قدير﴾	41		181
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم.. وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون﴾	60		160
﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم﴾	63		87
﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصر وكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾	73		82
سورة التوبة			
﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾	7		93

﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله﴾		24	73
﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾		33	74
﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾		34	172
﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾		71	106
﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾		111	162
﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به﴾		111	162
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾		119	236
سورة يونس			
﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾		13	72
﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾		19	96
﴿إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾		44	66
سورة يوسف			
﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾		53	67
﴿هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل﴾		64	247
﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾		87	68
﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب﴾		111	69

سورة الرعد			
﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾		11	79 201
﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾		28	68 239
سورة إبراهيم			
﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾		25-24	123
﴿كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾		26	123
﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾		34	248
﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾		35	145
﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء﴾		40	145
﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾		48	40
سورة الحجر			
وإذ قال ربك للملائكة أنى خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾		29-28	39 49
سورة النحل			
﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾		2	52
﴿خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾		4	45

﴿من عمل صالحا من ذكر وأنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾		13	106
﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾		59	108
﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾		72	81
﴿قل نزله روح القدس﴾		102	52
سورة الاسراء			
﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾		14-13	190
﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن الكبر عندك أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾		23	98 196
﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾		32	213 220
﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾		36	56 248
﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾		82	226
﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من		85	52

العلم إلا قليلا﴾			248
﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله﴾	88		71
سورة الكهف			
﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم به﴾	19		73
﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾	29		163
﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا﴾	46		172 195
﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والارض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾	51		35
﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك، وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا﴾	81		144
﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾	105		224
سورة مريم			
﴿قال ربي إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك ربي شقيا، وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا، يرثني ويرث من ءآل يعقوب واجعله ربي رضيا﴾	6-3		81

﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾		67-66	40
﴿أولا يذكر الإنسان أن خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾		67	36
سورة طـــه			
﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾		121	107
﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يظل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾		124	85
﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾		124	239
﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾		188	49
سورة الأنبياء			
﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾		8	49
سورة المؤمنون			
﴿والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون﴾		8	249
﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾		14-12	37
﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وإنكم إلينا لا ترجعون، فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾		115	68 201
سورة النـــور			
﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾		2	216 217

﴿الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾		36	213
﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله والرسول ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفقي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون﴾		50-47	231 232
سورة الفرقان			
﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا﴾		51	73
﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾		67	151
سورة الشعراء			
﴿وقيل للناس هل أنتم مجتمعون﴾		39	71
سورة القصص			
﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾		4	203
﴿وابتغي فيما أتاك الله الدار الآخرة. ولا تنسى نصيبك من الدنيا. وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغي الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾		77	39
سورة العنكبوت			
﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾		58	65
﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون﴾.		45	241
سورة الروم			
﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها،		21	82

وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾			97 110 123
﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾	22		96
﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾	29		44
﴿خلقكم من ضعف، ثم جعل من بعد ضعف قوة، ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾	54		40
سورة لقمان			
﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير﴾	14		97 196
سورة السجدة			
﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾	8-6		36 45
سورة الأحزاب			
﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة أجرا عظيما﴾	35		106
﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا﴾	62		64
﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله، وقولوا قولا سديدا﴾	70		92

﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما﴾		73-72	76 248
سورة سبأ			
﴿ولقد أتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبئي معه والطير وألنا له الحديد، أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير، ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾		13-10	46
﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾		20	40
سورة فـاطـر			
﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور﴾		29 30-29	162 201
سورة الصافات			
﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾		11	36
﴿رب هب لي من الصالحين﴾		100	145
﴿فبشرناه بغلام حليم﴾		101	145
سورة ص			
﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾		34	49

﴿إذ قال ربك أنى خالق بشرا من طين. فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾		72-71	38
﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين. إلا عبادك منهم الصالحين﴾		83-82	39
سورة الزمر			
﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾		10	68
سورة غـافر			
﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم أيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم، وإن يك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾		28	203
﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾.		64	43
سورة الشورى			
﴿لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور﴾		49	108
﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾		52	52
سورة الزخرف			
﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾		23	56
سورة الجاثية			
﴿وترجون من الله ما لا يرجون﴾		14	165
سورة الاحقاف			
﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾		15	110
سورة الفتح			
﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على		17	167

المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار﴾			
سورة الحجرات			
﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾	13		73 95 105
سورة ق			
﴿وهو أقرب إليه من حبل الوريد﴾	16		34
﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾	16		40
سورة الذاريات			
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	56		74
سورة الرحمان			
﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾	12		36
سورة الحديد			
﴿آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾	7		153
﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾	16		218
﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾	25		243
سورة المجادلة			
﴿وأيدهم بروح منه﴾	22		51
سورة الصف			
﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتا عند	3-2		225

الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾			
سورة المنافقون			
﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾	4		50
سورة التغابن			
﴿خلق السماوات والأرض بالحق، وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾	2		44
﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾	17		92 198
سورة الطلاق			
﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة﴾	2		245
سورة الملك			
﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا، ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت، فأرجع البصر هل ترى من فطور ثم أرجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير﴾	4-3		80
﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾	14		34
﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾	15		80
﴿قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلا ما تشكرون﴾	23		56
سورة الحاقة			
﴿خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراع فأسلكوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على	34-30		245

طعام المسكين﴾			
سورة المعارج			
﴿إن الإنسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون﴾	23-19		42
سورة نوح			
﴿ومكروا مكرا كبارا﴾	22		40
سورة الجن			
﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا﴾	4		152
سورة المدثر			
﴿قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم المسكين﴾	44-43		245
سورة القيامة			
﴿لا أقسم بالنفس اللوامة﴾	2		67
﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾	36		37
سورة الانسان			
﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا﴾	01		36
﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾	2		38
﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا، إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نظرة وسرورا﴾	11-8		139
سورة النبأ			
﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفا﴾	38		52
سورة التكوير			

﴿وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت﴾		9	109
سورة المطففين			
﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾		14	219
سورة الفجر			
﴿فأما الإنسان إذا ما بتلاه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحظون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما﴾		22-15	41 133 134 246
﴿يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾		28-27	67
سورة البلد			
﴿فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾		17-11	133 139
سورة الشمس			
﴿قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾		10-9	68
سورة التين			
﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل السافلين﴾		4-3	39 43
سورة العلق			
﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم، كلا إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى، إن إلى ربك الرجعى﴾		8-1	37 40 45 67

سورة القدر			
﴿تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾	4		52
سورة العاديات			
﴿إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد﴾	8-6		40
سورة الماعون			
﴿أرءيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾	3-1		135 245
سورة الكافرون			
﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾	3-1		47

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
أ	
" اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة "	184
" اتقوا الله واعدلوا في أولادكم "	244
" اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات "	182
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "أريد الجهاد في سبيل الله، فقال له الرسول: "هل أمك حية؟" قال: نعم، قال: " الزم رجلها فثم الجنة "	110
" استوصوا بالنساء خيرا "	106
" اغتربوا ولا تضووا" وقال: " لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا"	128
"المجاهد من جاهد نفسه"	190
" المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"	3
" أما لو أن احدكم قال إذا أتى أهله–أو قال حين يأتي أهله–بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر بينهما في ذلك ولد لم يضره شيطان أبدا "	143
" إن الله يقول لكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصرون فلا أنصركم"	62
" إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"	92
" إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه فذلك الران الذي	219

ذكره الله في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾"	
" أنا دعوة أبي إبراهيم "	146
" إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أنك تتركهم عالة يتكففون الناس "	144
" آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان "	233
ب	
"بالثلث والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة فقراء يسألون الناس"	145
ت	
" تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة، واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة "	236
ث	
" ثلاث متعلقات بالعرش الرحم تقول اللهم إني بك فلا اقطع، والأمانة تقول اللهم إني بك فلا أخان، والنعمة تقول اللهم إني بك فلا اكفر "	250
خ	
" خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأتي بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة "	237
" خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيوت المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه "	140
ط	
" طلب المال جهاد وطلب كسب الحلال زينة "	150
" كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته "	62
م	
" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعا له سائر الجسد بالسهر والحمى"	3

" من أحق الناس بصحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أبوك"	110
" من راءى راءى الله به"	226
" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان"	62
" من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعهن وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة "	111
ن	
" نعم العون على تقوى الله المال "	150
" نفس المؤمن مرتهنة في قبره بدينه حتى يقضى عنه "	175
و	
" ولم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع "	220
" وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"	71
ي	
" يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل"	226
" يا عبد الله ألم أخبرك أنك تصوم النهار وتقوم الليل قلت نعم قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم فإن لجسدك عليك حق، وإن لعينك عليك حق وإن لزوجك عليك حق "	243

فهرس الجداول

رقم الجدول	عنوان الجدول	الصفحة
جدول رقم1	البيان والفصاحة والبلاغة في سورة النساء	16-21
جدول رقم2	آيات التدبر	59
جدول رقم3	آيات الحكمة من التشريع	61
جدول رقم4	الآيات التي تحث على الرقابة والتكافل الاجتماعي	62
جدول رقم5	الآيات التي تدعوا الى النظر في أحوال الأمم ودراسة عوامل الفناء والبقاء في المجتمعات	64
جدول رقم6	وحدة الأصل الإنساني	91
جدول رقم7	التقوى في سورة لنساء	91
جدول رقم8	المساواة في التكوين والنشأة	105
جدول رقم9	نظام التعدد	113
جدول رقم10	الذمة المالية للمرأة	118
جدول رقم11	توريث المرأة	121
جدول رقم12	رفع الظلم عن المرأة ماديا ومعنويا	122
جدول رقم13	نظام المحارم في سورة النساء	125
جدول رقم14	سنة التفضيل في الخلق	129
جدول رقم15	الحقوق المادية والمعنوية لليتامى	133
جدول رقم16	أموال السفهاء بين التقوى والتبذير	147
جدول رقم17	آيات السفيه في سورة النساء	149
جدول رقم18	الجهاد في سورة النساء	158
جدول رقم19	فضل الجهاد	166

جدول رقم20	الميراث: للذكر مثل حظ الأنثيين	173
جدول رقم21	الدين والوصية	175
جدول رقم22	اختبار اليتامى	178
جدول رقم23	بناء شخصية الفرد	189
جدول رقم24	سلوك الزوج مع زوجته وسلوك الزوجة مع زوجها	192
جدول رقم25	علاقة الوالدين مع أبنائهم	194
جدول رقم26	ضبط علاقة الفرد بخالقه	198
جدول رقم27	ضبط علاقة الفرد بنفسه	200
جدول رقم28	ضبط علاقة الفرد بالمجتمع	202
جدول رقم29	التـــمرد	206
جدول رقم30	انحلال العلاقة الزوجية	209
جدول رقم31	العلاقات غير الشرعية	212
جدول رقم32	أضرار العلاقات غير الشرعية	218
جدول رقم33	الريـــاء	223
جدول رقم34	النـــفاق	228
جدول رقم35	الصـــدق	233
جدول رقم36	الصـــلاة	237
جدول رقم37	العـــدل	242
جدول رقم38	الأمـــانة	247

فهرس المحتويات

الأبعاد الاجتماعية في القرآن الكريم "سورة النساء أنموذجا"..... 1
شكر وتقدير..... 3
إهــداء..... 4
مقدمـــة..... 1
الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة..... 8
أولا: تحديد الإشكالية..... 9
ثانيا: أهمية الدراسة..... 10
ثالثا: أهداف الدراسة..... 11
رابعا: تساؤلات الدراسة:..... 11
خامسا: أسباب اختيار موضوع الدراسة..... 11
سادسا: موضوع الدراسة..... 12
1-مفهوم القرآن الكريم:..... 12
2- سورة النساء:..... 14
3-مفهوم البعد:..... 16
4-مفهوم الأبعاد الاجتماعية:..... 16
5-البيان والفصاحة والبلاغة في سورة النساء..... 17
سابعا: منهج الدراسة..... 22
ثامنا: الدراسات السابقة..... 23
الفصل الثاني: الإنسان والمجتمع في القرآن الكريم..... 33

المبحث الأول: الإنسان في القرآن الكريم..... 34
المطلب الأول: خلق الإنسان..... 36
المطلب الثاني: طبيعة الإنسان:..... 38
المطلب الثالث: خصائص الإنسان..... 43
المطلب الرابع: مكونات الإنسان..... 48
1-أنواع الأنفس في القرآن الكريم..... 66
2-إصلاح النفس في القرآن..... 67
خلاصة..... 69
المبحث الثاني: المجتمع في القرآن الكريم..... 71
المطلب الأول: مفهوم المجتمع..... 71
المطلب الثاني: نشأة المجتمع..... 74
المطلب الثالث: طبيعة المجتمع ووظيفته..... 78
المطلب الرابع: مكونات المجتمع..... 80
1-الأفراد..... 80
2-العلاقات الاجتماعية..... 82
3-النظم..... 83
4-العقيدة..... 86
الفصل الثالث: البعد الإنساني في سورة النساء..... 90
المبحث الأول: وحدة الأصل الإنساني في سورة النساء..... 91
المطلب الأول: الأمر بتقوى الله..... 91
المطلب الثاني: وحدة النشأة..... 94
المطلب الثالث: صلة الرحم..... 97
المطلب الرابع: تنظيم الأسرة (الأسرة كبعد اجتماعي)..... 98
المبحث الثاني: الضوابط الإنسانية للعلاقات الاجتماعية في سورة النساء 102

المطلب الأول: النساء في سورة النساء..... 102
1-مكانة وواقع المرأة..... 102
2-المساواة في التكوين والنشأة..... 105
3-الإصلاح..... 107
المطلب الثاني: اليتـامى في سورة النساء..... ..132
1-اليتـامى في الجاهلية..... 133
2-العناية باليتامى من خلال سورة النساء..... 136
المطلب الثالث: السفهـاء في سورة النساء..... 147
1-من هو السفيه؟..... 147
2-صفات السفيه..... 151
3-التعامل مع السفهاء حسب ما جاء في سورة النساء..... 153
الفصل الرابع: البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء..... 157
المبحث الأول: الجهاد قواعده وفضله كأسلوب لحماية فئة الضعفاء في سورة النساء
..... 158
المطلب الأول: قواعد الجهاد في سورة النساء..... 158
المطلب الثاني: فضل الجهاد كما جاء في سورة النساء..... 166
المبحث الثاني: الميراث المنظومة المالية لحماية الضعفاء كما تضمنتها سورة النساء
..... 168
المطلب الأول: الأسرة هي محور التوريث وانتقال الملكية 169
المطلب الثاني: الميراث نظام يرفض تكديس الأموال:..... 171
المطلب الثالث: للذكر مثل حظ الأنثيين..... 173
المطلب الرابع: الديـن والوصيـة..... 175
المبحث الثالث: اختبار اليتامى وقدرتهم على إدارة أموالهم كما جاء في سورة النساء
..... 178

المطلب الأول: أموال اليتامى..... 178

المطلب الثاني: القدرة على إدارة الأموال..... 183

المطلب الثالث: صيانة أموال اليتامى وتطويرها..... 184

الفصل الخامس: البعد الأسري والبعد العقائدي في سورة النساء 188

المبحث الأول: معالم السلوك الفردي والأسري في سورة النساء 189

المطلب الأول: بناء شخصية الفرد في سورة النساء 189

المطلب الثاني: سلوك الزوج مع زوجته وسلوك الزوجة مع زوجها 192

1-القوامة للرجل..... 192

2-سلوك الزوج مع زوجته:..... 193

المطلب الثالث: علاقة الوالدين بأبنائهم وسلوك الأبناء تجاه الوالدين..... 194

1-علاقةالوالدين بأبنائهم:..... 194

2-سلوك الأبناء تجاه الوالدين:..... 196

المبحث الثاني: العلاقات الإنسانية والاجتماعية وضوابطها كما تضمنتها سورة النساء 197

المطلب الأول: ضبط علاقة الفرد بخالقه..... 197

المطلب الثاني، ضبط علاقة الفرد بنفسه..... 200

المطلب الثالث: ضبط علاقة الفرد بالمجتمع..... 202

المبحث الثالث: المشكلات الاجتماعية وطرق معالجتها حسب سورة النساء 204

المطلب الأول: التـمرد..... 205

المطلب الثاني: انحلال الرابطة الزوجية..... 209

المطلب الثالث: العلاقات غير الشرعية..... 211

المطلب الرابع: الأضرار النفسية والاجتماعية والصحية للعلاقات غير الشرعية على المجتمع..... 217

الفصل السادس: البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء 222

المبحث الأول: رسم الصور المنفرة للكافرين..... ..222
المطلب الأول: مظاهر السلوك غير السوي (الرياء) 223
المطلب الثاني: عرض النماذج السلوكية (النفاق)..... 227
المبحث الثاني: رسم صور المؤمنين المحببة..... .233
المطلب الأول: مظاهر السلوك السوي (قيمة الصدق)..... 233
المطلب الثاني: الصلاة وضبط السلوك..... ...236
المبحث الثالث: البعد القيمي في سورة النساء..... .242
المطلب الأول: العدل..... 242
المطلب الثاني: الأمانة 247
خاتمـــة..... 251
قائمة المصادر والمراجع..... 255
الفـهارس..... ...262
ملخص الدراسة..... 299

ملخص الدراسة

باللغة العربية

باللغة الانجليزية

الملخص:

جاءت هذه الدراسة كمحاولة للبحث في موضوع: الأبعاد الاجتماعية في القرآن الكريم–سورة النساء أنموذجا– وقد اعتمدت في هذه الدراسة كأساس أول للانطلاق في هذا البحث هو القرآن الكريم مصدر كل العلوم، وبالتحديد سورة النساء –مجال الدراسة– لاستخراج استنباط أهم الأبعاد الاجتماعية التي احتوت عليها السورة والأحكام الشرعية التي تساعد على الفهم الصحيح لمحتوى هذا العمل.

فالبحث في مجال القرآن الكريم ليس بالأمر السهل والهين، فنحن أمام كتاب الله وكلامه المنزه المطهر، إذا فلا مجال للخطأ، ويجب التحري والبحث الجيد والتعامل الحذر مع آيات الله والاعتماد بدرجة ثانية على كتب التفسير، وخاصية التفسير الموضوعي الذي في نظري هو الأقرب لمثل هذه الدراسات الاجتماعية، حيث نجد فيه تلك اللمحة السوسيولوجية التي تساعد على فهم أحسن للآيات القرآنية ذات الطابع الاجتماعي.

ومن أجل معالجة هذا الموضوع قسمنا البحث إلى ستة فصول، جاءت على النحو التالي:

–الفصل الأول: يحتوي على تحديد إشكالية الموضوع والتي اتسمت بالأبعاد الاجتماعية الموجودة في سورة النساء بصورة عامة والفئات الاجتماعية والحالات النفسية السلوكية بصفة خاصة، ثم تحدثنا عن أهمية الدراسة مع بيان أهدافها التي حددت في:

1– معرفة معنى كلمة انسان ومجتمع في القرآن الكريم.

2– بيان مواضيع سورة النساء ذات الطابع الاجتماعي.

3–استنباط أهم الأبعاد الاجتماعية التي تحتوي عليها سورة النساء.

4– ربط الابعاد الاجتماعية في سورة النساء بالواقع الاجتماعي المعاصر.

رابعا: تساؤلات الدراسة:

وتتمثل تساؤلات الدراسة في السؤال الرئيسي الذي يتمثل في:

ما هي الأبعاد الاجتماعية المستنبطة من خلال سورة النساء؟

ثم الأسئلة الفرعية:

1- كيف تتجلى معالم البعد الإنساني في سورة النساء؟

2-كيف تتجلى معالم البعد الأمني والبعد الاقتصادي في سورة النساء؟

3-كيف تتجلى معالم البعد الأسري في سورة النساء؟

4-كيف تتجلى معالم البعد الأخلاقي والبعد القيمي في سورة النساء؟

وقامت الدراسة باستنباط أهم الأبعاد الاجتماعية في سورة النساء والتي لها علاقة بالموضوع، فتفسير الآيات التي تحتوي على الابعاد الاجتماعية لا يكون فيها المعنى تاما ولا واضحا إلا إذا عدنا إلى تفسير الآية التي قبلها والتي بعدها، إذا هو القرآن كل لا يتجزء، فمن المستحيل الأخذ ببعضه وترك البعض الآخر.

وهنا تكمن الصعوبة في التعامل مع آيات الذكر الحكيم، فالآية الواحدة قد تحمل عدة أحكام وعدة أبعاد، وتجدها تعالج بدل الموضوع اثنين أو ثلاث، والكلمة فيه لا يتوقف مدلولها على المعنى الواحد كذلك يتعدى إلى عدة معاني، وهذا هو الاعجاز القرآني الذي لا يمل الإنسان من البحث فيه ولا ينتهي منه لأنه ازلي خالد، أحكامه صالحة لكل زمان ومكان.

الفصل الثاني: جاء بعنوان الإنسان والمجتمع في القرآن الكريم

هذا الجزء يعتبر بمثابة المدخل النظري لهذا البحث، حيث تم التطرق إلى كل المصطلحات والجزئيات التي نحتاجها لفهم الموضوع مثلا الإنسان مكوناته وخصائصه وطبيعته....

الفصل الثالث: بعنوان البعد الإنساني يحتوي على أهم العينات من القضايا الاجتماعية التي تم استخراجها من سورة النساء التي تزخر بهذا النوع من المواضيع والتي نزلت خصيصا لمعالجتها ونفض غبار الجاهلية عنها، واعادتها إلى فطرتها السليمة، وفق منهج رباني ثابت لا يتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص.

الفصل الرابع: احتوى على البعد الأمني والاقتصادي لما لهما من أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، إذ لا يمكن بأي حال العيش دون نظام يحمي الأمة و الافراد من الأخطار الداخلية والخارجية وكذا توفير نظام اقتصادي يضمن حياة الفرد والجماعة.

الفصل الخامس: حددت فيه الآيات الدالة على البعد الأسري في سورة النساء، والتي جاءت من أجل تثبيت بناء الأسرة والمجتمع وضبط سلوك الأفراد داخل هذه المنظومة الأساسية، واللبنة الأولى لبناء الفرد والمجتمع.

الفصل السادس: تعرض لأبرز أساليب التنشئة الاجتماعية التي تبين البعد الأخلاقي والبعد القيمي بعرض بعض الصور السلوكية المحببة للمؤمنين التي تحتوي عليها سورة النساء كالصدقة والصلاة والزكاة والصدق والأمانة والعدل، وغيرها من الأساليب والسلوكيات الحسنة التي توجد في السورة ولا يسعنا المجال لذكرها كلها وتناولها بالدراسة.

وذكرت كذلك بعض الصور المنفرة للكافرين كالنفاق والرياء والمفاخرة والكذب والبخل وإثارة الفتنة، وهي كذلك مواضيع كثيرة عالجتها السورة لا يمكن ذكرها أو تناولها بالدراسة.

ثم أتممت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة والتي ركزت على أن هذه الأبعاد الاجتماعية في سورة النساء قائمة على عقيدة ثابتة لا تتغير، كما أنها صالحة للتطبيق على كل المجتمعات في كل الأزمنة، فالإنسان هو نفسه مذ خلق الله عز وجل آدم إلى يومنا هذا، نفس الطباع ونفس الصفات والمميزات، إذا يطبق عليه شرع الله الذي لا يوجد فيه تمييز ولا تفضيل ولا محاباة.

إن الضعف الإنساني والبعد عن منهج الله، هو الذي يجعل صاحبه يحيد عن طريق الحق، وهذا هو مصير مجتمعنا اليوم بعد أن ضعف فكريا وعقائديا وعلميا أصبح يرى في الغرب ملاذه الوحيد بعد أن انبهر بأضوائه وحضارته وتطوره، فيرى بمنظوره وينظر بفكره حتى ضاعت كل قيم وضوابط المجتمع التي نزلت سورة النساء من أجل تثبيتها ودعم ركائزها في المجتمع.

SUMMARY :

This study came as an attempt to research the topic: The social dimensions in the Holy Qur'an - Surat An-Nisa as a model - and in this study I adopted as the first basis for starting this research, which is the Holy Qur'an, the source of all sciences, specifically Surat An-Nisa - the field of study - to extract the most important social dimensions that it contained. It contains the surah and the legal rulings that help in correctly understanding the content of this work.

Research in the field of the Holy Qur'an is not an easy and easy matter. We are faced with the Book of God and His pure and pure words, so there is no room for error. It is necessary to investigate, research well, deal with caution with the verses of God, and rely, secondly, on the books of interpretation, and the characteristic of objective interpretation, which in my opinion is the closest to such studies. Social, as we find in it that sociological glimpse that helps to better understand the Qur'anic verses that have a social nature.

In order to address this topic, we divided the research into six chapters, as follows:

-The first chapter: It contains defining the problem of the topic, which is characterized by the social dimensions present in Surat An-Nisa in general and the social groups and behavioral psychological states in particular. Then we talked about the importance of the study while stating its objectives, which were specified in:

1- Knowing the meaning of the word “man and society” in the Holy Quran.

2- Explaining the topics of Surat An-Nisa of a social nature.

3- Extracting the most important social dimensions contained in Surat An-Nisa.

4- Linking the social dimensions in Surat An-Nisa to contemporary social reality.

Fourth: Study questions:

The study questions are represented in the main question:

What are the social dimensions deduced through Surat An-Nisa?

Then the sub-questions:

1- How are the features of the human dimension evident in Surat An-Nisa?

2- How are the features of the security dimension and the economic dimension reflected in Surat An-Nisa?

3-How are the features of the family dimension reflected in Surat An-Nisa?

4-How are the features of the moral dimension and the moral dimension reflected in Surat An-Nisa?

The study deduced the most important social dimensions in Surat An-Nisa that are related to the topic. The interpretation of the verses that contain the social dimensions does not have a complete or clear meaning unless we return to the interpretation of the verse before it and the one after it. If the Qur'an is an indivisible whole, it is impossible to take some of it into account. Others left.

Here lies the difficulty in dealing with the verses of the Holy Qur'an. One verse may carry several rulings and several dimensions, and you find that it addresses two or three instead of the subject. The meaning of the word in it does not depend on one meaning, and it also extends to several meanings. This is the Qur'anic miracle that a person never gets tired of. Research into it will never end because it is eternal and eternal, and its rulings are valid for all times and places.

Chapter Two: It was entitled Man and Society in the Holy Qur'an.

This part is considered a theoretical introduction to this research, as all the terms and details that we need to understand the subject, for example, the human being, its components, characteristics, and nature, were discussed....

The third chapter: entitled The Human Dimension, contains the most important samples of social issues that were extracted from Surat An-Nisa, which abounds with this type of topics and which was revealed specifically to address them, shake off the dust of ignorance from them, and return them to their sound nature, according to a fixed divine approach that does not change with the change of time, place, and people.

Chapter Four: It contained the security and economic dimensions because of their great importance in the life of the individual and society, as it is in no way possible to live without a system that protects the nation and individuals from internal and external dangers, as well as providing an economic system that guarantees the life of the individual and the group.

Chapter Five: In it, the verses indicating the family dimension were identified in Surat An-Nisa, which came in order to stabilize the structure of the family and society and control the behavior of individuals within this basic system, which is the first building block for building the individual and society.

Chapter Six: It presents the most prominent methods of socialization that demonstrate the moral dimension and the moral dimension by presenting some of the behavioral images that are beloved to believers that Surah An-Nisa contains, such as charity, prayer, zakat, truthfulness, honesty, justice, and other methods and

good behaviors that are found in the Surah, and we do not have the space to mention all of them and study them.

It also mentioned some repulsive images of unbelievers, such as hypocrisy, hypocrisy, bragging, lying, miserliness, and stirring up strife. These are also many topics addressed in the Surah that cannot be mentioned or studied.

Then I completed the research with a conclusion that included the most important findings of the study, which focused on the fact that these social dimensions in Surat An-Nisa are based on a fixed belief that does not change, and it is also applicable to all societies at all times. Man has been the same since God Almighty created Adam until our day. This is the same nature and the same characteristics and characteristics, if God's law is applied to him, in which there is no discrimination, preference, or favour.

It is human weakness and distance from God's path that causes its owner to deviate from the path of truth, and this is the fate of our society today after it has become weak intellectually, ideologically and scientifically. It has come to see the West as its only refuge after being dazzled by its lights, civilization and development, so it sees from its perspective and considers with its thought until all values and controls are lost. The society in which Surah An-Nisa was revealed in order to establish it and support its pillars in society.